تأويل الفكر والقلوب

تأويل الفكر والقلوب

الكاتب: عمار مبارك

رقم الإيداع: 2018 / 23845

ISBN: 978 - 977 - 798 - 008- 1

الطبعة الأولى يناير 2019

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

9 789777 980081

تأويل الفكر والقلوب

الكاتب

عمار مبارك

الحلم
للنشر و التوزيع

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

"من سلك طريقاً يلتمس سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وأن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر".

" إن الحوت فى البحر و الطير فى السماء ليصلُّون على معلِّم الناس الخير " صدق ﷺ .

و لكن تعلم أنَّ خلف هذا المعلِّم أو طالب العلم إن جاز التعبير أناسٌ لا يراهم النور و لا يشهدهم الزور ، و لكنهم مثل الكواكب فى السماء كالنجوم البعيدة فى العلياء !!

فأمى التى لطالما آمنت بى و دعمتنى و رأت مستقبلى بدون سابق علم أو ملحق تأويل ، و لكن بحاسة أمومة لم أدرك لها من قبل مُشتَق تفصيل !

و أبى و أخوتى و جدتى و أحبابى من أقاربى و أصدقائى ، و كل من يبحث عن أصل الحقيقة و كيفية الطريقة أو إهتم بما وراء الخلائق و الطرائق ، وكل من آمن بما قلت يوماً من قبل و ما سأقول ، أرسل إليكم جميعاً تحياتى و أُهدى إليـــــكم أول مــؤلفاتى ...

عمّار مبارك

❁ ❁ ❁

الفهرس

مدخل إلى علم التأويل 11

نظرتي في علم التأويل 22

باب الكلمة والحرف 28

السر المتوارث 65

الاصطفاء 76

الألوان 91

نظرة تأويلية للألوان 129

الأوَّلون المُئولون 140

الباب الثاني تأويل الحب والقلوب 152

من تأويل الحُب 172

البستان 221

مداخل الحب والهوى 234

❁ ❁ ❁

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

خير ما أبدأ بها كلامي وخير ما أستفتح بها أفهامي هى البسملة، تتمثل فى تسعة عشر حرفاً، فمن أدركها فقد نـــال من كل شيءٍ حظاً، فبها اسما الله و الرحمن، فهما الأولان فى القرآن، مفتاحا الأرض والأكوان فمجمع الأسماء في الله و الرحمن باب التوبة والغفران في كل زمان ومكان، ورسالة النبي سليمان والتي بها ملك الإنس والجان.

سبحانه كتب على نفسه الرحمة فكان الرحيم وأحاط بكل شيء علماً فهو العليم!!

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد رسول الله رحمة الله للعالمين السفير البشير والسراج المنير وبعد:

بالإشارة إلى ما لاحظناه في الآونة الأخيرة من تقدم في شتى أنواع المعارف سواء كانت الفيزيائية أو الكيميائية أو علوم الأرض والجيولوجيا أو حتى علم الإنسانيات والعلوم الاجتماعية إلا أن العلم نفسه الذي وضعه الله في الأرض مازال يحمل الكثير في جوانبه، بل على العكس فإن الأمم السابقة فاقتنا علماً وحضارةً وبطشاً وقوةً وإيماناً وكفراً أيضاً!!

ونظرت في هذه الطفرة الحضارية لكثير من الشعوب القديمة على الرغم من قِدَم الأدوات والآلات والإمكانيات وبدائيتها ولكنهم بالطبع كان لديهم ما لم يكن لدينا، ألا وهو العلم، وليس العلم النظري وحسب ولكن العلم بمصادره المختلفة بدءاً بالأسماء ومكوناتها وتنبؤاتها انتهاءاً إلى البناء وهندستها مروراً بالطب وأدويتها، ولتعلم أن كل ما

نحن فيه من تقدم وتكنولوجيا ما هو إلا ضرب من ضروب المعرفة فقط، وليست العلوم فما ذكرته آنفاً وذكرت أنها علوم ما هي إلا أنواع معارف وعلى حسب تنوعاتها، ولست أرى أصلاً أن الله قد يعطي العلم إلا لأوليائه أو أنبيائه، ليزينوا به الحياة الدنيا، فهم صفوة الله من خلقه (**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**) فارتبطت صفة الخشية بالعلماء والعلم ولست أرى علماء اليوم الملحدين بالعلماء الذين يخشون ربهم وإنما للصفوة، وأيضاً لتوصيل الرسالة وبناء الحضارة ولَّما اختلط الأمر واستخدم بعض أعداء العلم قديماً العلم في الكفر بالله أرسل الله إليهم أنبياءً ورسلاً منهم ليحذرهم من غضب الله وجزاء عصيانه (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**) وجزاء سوء استخدام ما أتاهم الله من علم وفكر وقوة فلذلك نجد تنوع أنواع العذاب والبطش لتلك الأمم وهو ما فاق علمهم ولكنه بالطبع من جنس أعمالهم فإنه سبحانه قد احاط بكل شيءٍ علما.

فكلما زاد العلم والقوة مع الكفر زاد العذاب والعقاب لتلك الأمم (**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) سورة غافر. لذلك نحن الآن في قعر بئر العلم فتجد أغلب العلماء و المفكرين اليوم ملحدين فى كثير من الأمم، لذلك فإن العلم سوف يعود للزيادة حتى يصل أشده وصولاً إلى المسيح الدجال في آخر الزمان فيكون العقاب أشده أيضاً ويقابله المسيح عيسى بن مريم وهو ما ينذر بقيام الساعة بين شدة الإيمان مع العلم وشدة الكفر مع العلم أيضاً!!.

ولنعود للأمم السابقة والحضارات القديمة فما هو العلم الذي أتاهم الله إياه وأتاه الله لرسله لكي لا يعبدوا سواه!.

وما هو العلم الذي فاقهم ليعذبوا بمثل هذه الأنواع من العذاب؟

وما هو العلم الذي فاتهم، ليسوءوا التدبر والفكر وما هو العلم الذي أتاه الله لأنبيائه ليأتوا بمعجزات لم يرها كفار قومهم من قبل، ولعلك لاحظت أن الكثير من معالم هؤلاء الأقوام مازالت موجودة بيننا شاخة تدل على عظمة وقوة علم هؤلاء الأقوام وما وصلوا إليه من تقدم وازدهار حتى أننا إلى اليوم لا زلنا لا نعلم الكثير من خباياهم و أسرارهم مثل عاد وثمود والفراعنة و غيرهم، و لكن أين ما أتى به الأنبياء والرسل والأولياء، هل اندثر وبقيت قصصهم فقط لتُحكى، بالطبع لا ولكن هذا العلم بيننا ولكنه يحتاج إلى تأويل فما هو هذا العلم..

بالطبع هذا العلم هو العلم الأول على الأرض ألا وهو "علم الأسماء" والذي ينشق منه و هو أهم فروعه وهو"علم التأويل".

فأخذت نظرة من "**علم التأويل**" الذي هو العلم الأول على الأرض منذ هبوط آدم بعلم الأسماء من السماء وهو العلم الذي يسير به الكون ويسود وتنمو به الخلائق وتعود إلى يوم الوقت الموعود..

ووجدت فى هذا العلم ما لم أجده في غيره، وأحمد الله على ما أتاني فيه **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)** فبحثت فيه واجتهدت على هدىً من لله وحده لأعلم الماضى و تأويله و الحاضر و ما سيئول إليه فرأيت آثاره الجلية في شتى أنواع العلوم والفنون فالتقطت بعضاً من المفاهيم والمركبات والأسس الإنسانية المهمة لتكون مدخلاً في هذا الجزء الأول والذي ركزت فيه على أول المصطلحات الخلقية في الكون والتي بداخلها كل

معيار من المعايير "الدينية والفلسفية والاجتماعية" فالكل مترابط في ترس واحد يشد بعضه بعضاً مسخراً للبشر (**وَكُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**).

وهذا العلم بما أنه أول العلوم وأصلها فهو مفتاح الألغاز جميعها وباب الحلول كلها،فنظرت في الأسماء وحاولت أن أجمع بين التدبر والفلسفة مزيناً بالعلم والهدي والمعرفة في مواجهة الهزيان والتفه رداً على الجهل والسفه .

فانطلقت في رحلة للسماء لطلب العلم بالعناء، فرأيت القمر والنجوم فاتضح الفكر من الغيوم وتذكرت قوله (۞ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**) الوقعة 75.

وشاهدت الكثير من الدلالات من بين الأرض والسموات فانكشف العلم من الظنون وقرأت (**وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**) النحل 16.

و قبل أن ننطلق في رحلة مع بحر التأويل أود تنويهك إلى بعض الملحوظات التى تعينك أكثر فى الفهم وهى كالآتي:

- من الأفضل أن تقرأ أبواب الكتاب مرتبة لتحصِّل أكثر من هذا العلم الغامض العميق العتيق ..
- قد تمر على بعض الآيات والعناصر قد لا تفهمها من أول مرة فحاول قراءتها ثانية وثالثة و خاصة فى مقدمة علم التأويل فإن بها الكثير من الآراء و إن لم تستطع فمر عليها سريعاً فلا بأس بذلك..
- حاول أن تجمع تركيزك أثناء القراءة، فإن ما وراء السطور أعمق مما ستراه أمامك مسطور..

- بعض من الآيات والدلالات قد لا ترى أهمية لها الآن في حياتك لكنك حتماً ستجد تأثيرها لاحقاً فالكل مؤثر فيك دون أن تشعر وذلك سبب وجوده أصلاً ..
- تركت خلف كل باب سؤالاً غامضاً سهلاً ممتنعاً يقيس مدى فهمك للتأويل ويحفز تفكيرك فخذ فيه بعضاً الوقت ولا تتسرع!!

مدخل إلى علم التأويل

التأويل لغة : هو الإرجاع والذي يئول إليه الشيء وأصله من الأول ومنه المآل: أى الموضع الذي يرجع إليه.

وتأوله يعني: فسَّره وقدَّره .. والتأويل هو: رد الشيء إلى أصله وإلى الغاية المراد منه علماً كان أو فعلاً وبما أن الله هو الخلاق البارئ فـ (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**) فهو الأعلم الأوحد بكل مصادر العلوم والأسماء وتأويلها.

فبالنسبة للتأويل لدى علماء الكلام : "هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به " وهذا يفرض وجود غموض في النص الديني يستلزم ذلك، وهذا يعنى إرجاع الكلمة إلى أصل أبعد من المعنى الحرفي لها أي إرجاع ثنائي فالإرجاع الأول هو المعنى والإرجاع الثاني هو التأويل مثلاً أي "معنى المعنى".

** وأرى أن التأويل هو إرجاع سباعي للمعاني والجُمل وكل درجة لها زمن وفكر وأمر معين محفوظ في السماء و سوف نتطرق لذلك لاحقاً!!

بينما التأويل اصطلاحاً فهناك اختلاف واضح بين العلماء في تعريفه ومفهومه فمنهم من قال يراد به التفسير ومنهم من قال بأن التأويل غير التفسير مثل قول الثعلبي "التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً والتأويل تفسير باطن اللفظ ".

وبالنسبة للفظ الهيرمونيطيقاHERMENEUTICS والتى تعنى التأويلية فهى اشتقاق لغوي لـ HER MENEUIN وهو فعل يدل على عملية كشف غموض يكتشف شيئاً ما، وهو عملية إعلان رسالة أو كشف النقاب عنها وهي مستنبطة من المسمى الإله "الإغريقي" هرمس HERMES كما زعمت الأساطير اليونانية والذي يعد إلهاً متعدد المواهب ومن أبرز هذه المواهب:

- الوساطة بين حرفين والقدرة على استخدام الحيل في الوصول للغاية القصوى ومنه جاءت الـ HERMENEUTICS "نظرية التفسير"، وكلها التباسات أساساً لا أصل لها فالتأويل لفظ قديم ظهر كما قلنا بنزول العلم إلى الأرض مع آدم وبدء ظهور النصوص بتتابع الزمان مع صحف إبراهيم والزبور والتوراة والإنجيل والقرآن!

فلذلك لم يجدوا أصلاً ما يطبقون عليه هذه المفاهيم فألَّفوا الأساطير والحكايات ووضح جلياً أن "القرآن الكريم" هو النص و الكتاب الوحيد على االأرض الذي يحتاج إلى تأويل!!

وعودة إلى اختلاف الاصطلاح، فبالنسبة للإسلاميين فواكبت ظواهر التأويل نزول القرآن الكريم وظهرت التيارات العديدة التي تعرضت لظاهر الآيات وباطنها، واحتوى النص القرآنى نصوصاً لا تحتاج إلى تأويل وهي المحكم من المنصوص "أي التي يفهمها

عامة الناس" ونصوصاً تحتاج إلى تأويل وهي الباطن المتشابه الذي يحتاج لفئة خاصة من العلماء.

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) (آل عمران 7).

يرى البعض أن التأويل: هو أركان فهم القرآن الأربع (الظهر/ البطن/ الحد/ المطلع) ويرى آخرون بأنه صرف الآية عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة مثل (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ**).

فإن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً وإن أراد أخراج المؤمن من الكافر كان تأويلاً!!

وأعجبني من يرى بأن التأويل وارد "رحماني" يأتي من الله الملك الحق إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الأولياء الربانيين ليروا منظور آخر لما يحتمله التنزيل فهو تنزيل على التنزيل وليس ناسخاً له بل يعزز التنزيل من وجه يقابل به حاجة الزمان والمكان لأن كلمات الرحمن أريد لها أن تلبي حاجة كل زمان ومكان لتناسب كل العصور والأزمان، فالتأويل هو درجات العلم المقدرة من الرحمن لتناسب اختلاف العصور للكلام وتأويلاته لا يعطيها الله إلا لمن هم أقرب إليه نجياً..

ويرى بعض الصوفية : أن التأويل هو علم من علوم الباطن يعطيه الحق كوجه من وجوه الشريعة بطريقة الكشف وخاصة لأوليائه وهو أصل علم الشريعة وروحه ومنهم من رأى بأن التأويل غير التفسير فالتفسير شرح معاني الألفاظ وتوضيحها والتأويل توجيه ألفاظ القرآن النصوص إلى معاني غير تلك التي يدل عليها ظاهرها.

والسلف يرى التأويل هو ما كان راجعاً إلى الدراية أي التفسير بالرأي إذ أن تفسير القرآن لا يجزم به إلا إذا ورد عن النبي محمد ﷺ أو عن الصحابة الذين شهدوا الوحي وعلموا ما أحاط به من وقائع وأحداث فالآية لا تحتمل إلا معناها لا جدال فيها والتأويل يتوصل إليه بالاجتهاد بمعرفة مفردات الألفاظ في لغة الغرب واستنباط المعاني من تلك المحاولات.

وقال قوم منهم البغوي: هو صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

وذكر ابن فارس رأيه فقال الدلالة إلى ثلاثة معاني: المعنى، التفسير، التأويل، فأما المعنى فهو القصد والمراد، وأما التفسير فهو التفصيل، وأما التأويل فآخر الأمر وعاقبته.

وهذا يدل على أن التأويل يأتي في مرحلة لاحقة بعد فهم المراد (القصد) ومعرفة (تفسيره أو تفصيله) ثم يأتي التأويل، مما يدل على أن التأويل يحتاج إلى فهم أعمق يتجاوز السطح إلى أعمق ولذلك وجدنا أن التأويل في القرآن كان من نصيب الراسخين في العلم فقط.

ويرى ابن الأعرابي أن التأويل والتفسير بمعنى واحد، ولكننا نرى الأمر بخلاف ذلك، فالتفسير هو بيان وشرح اللفظ المشكل، وإظهار المستغلق من الكلام بعبارة واضحة

مفهومة، أما التأويل فهو استبصار وترجيح لمعنى من المعاني التي يحتملها اللفظ بوجه من الوجوه، وتغليب هذا المعنى على سائر معاني اللفظ..

ويرى الجبلي "إمام صوفي" : أن هناك نوعين من التأويل، الأول: هو التأويل الذي لم يسند معارفه إلى الله ويحذر من هذا التوجه فيقول "إياك والتأويل فإنه دهليز الإلحاد والزندقة، والنوع الثاني: التأويل القائم بالحق على طريقة الإشارة فيقول: وإذا أوَّلت على طريقة أهل الإشارة؛ فإياك أن تنفي الظاهر فإنه مراد الشارع بلا شك، أي لا تنفي المعنى الظاهر للنص ولكن اعمل به ولكن ابحث عن باطنه أيضاً!!

ونريد أن نشير أيضاً إلى آراء بعض المفكرين المعاصرين حول مفهوم التأويل، وأغلبهم يتفقون حول معناه الرئيسي، باعتباره فعلاً عقلياً، لا يقف عند المعنى المتبادر والظاهر للكلمة أو النص بل يتعدى إلى الغوص في المعاني العميقة واستخراجها.

فمثلاً أحمد عبد الغفار يرى " باختصاص التأويل بالمعنى الثاني أو الدلالة المجازية للكلمات وهذا أقرب للتعريف عند الصوفية بحيث يصبح التأويل "العثور عن طريق الظاهر الحرفي إلى الباطن الإشاري (الرمزي) حيث يسمح النص بتحويل المعنى الموضوعي إلى المعنى الروحي".

ومحمد الكتاني فقد اعتبر التأويل "منهجاً في فهم القرآن وإدراك معانيه المتشابهة".

وينتهي التأويليون المعاصرون إلى أن هناك حاجة ماسة للتأويل، وخاصة التأويل الديني، والنصوص التأسيسية في التراث عموماً، من خلال اقتراح تقنيات القراءة وأدوات

فهم النص، لكشف التوظيفات الأيديولوجية والوثوقية للنصوص المقدسة من طرف حراس الحقيقة، وإبراز الفرق بين التأويل والنص، والقراءة واللغة، فالتأويل مغاير للنص والقراءة مختلفة عن اللغة "فالنص لا يتوقف عن كونه محلاً لتوليد المعاني واستنباط الدلالات، ولا مجال لأحد أن يقبض حقيقته ومآل ذلك أن الأصول والمراجع لا يستنفذها تفسير واحد أو شامل ولا يمكن حصر معرفتها عن طريق واحد بعينه أو تقييد النظر إليها على مذهب مخصوص أو في اتجاه معين، فالنصوص التي هي موئل الفكر الحق يصعب إفراغه في نسق منطقي صارم، أو ضبط معانيها، وحصر دلالتها. وهذا من وجهة نظر الكاتب علي حرب ..

ومن أبلغ من تحدثوا في التأويل:

الغزالي : فيرى التأويل هو الكشف عن الدلالة الخفية للأفعال كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام والأحاديث كما مع يوسف عليه السلام وهذه الدلالة الخفية الباطنة لا تنكشف إلا من خلال أفق غير عادي وهو العلم اللدنِّي.

وهناك ابن رشد الذى حدده بأنه "هو أخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسميه الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مكانه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي".

ونصر حامد أبوزيد يميز بين الهيومونيطيقا والتفسير، فالهيومونيطيقا "مصطلح قديم بدأ استخدامه في دائرة الدراسات اللاهوتية، يشير إلى مجموعة من القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني وهي بهذا المعنى تختلف عن التفسير الذي يشير إليه المصطلح".

كما يفرقه أيضاً بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي "التأويل"، فالأول: بهدف الوصول إلى معنى النص عن طريقة تجميع الأدلة التاريخية واللغوية التي تساعد على فهم النص فهماً موضوعياً، أي كما يفهمه المعاصرون لنزول هذا النص من خلال المعطيات اللغوية التي يتضمنها النص وتفهمها الجماعة، أما التفسير بالتأويل غير موضوعي لأن المفسر لا يبدأ من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية بل يبدأ بموقفه الراهن محاولاً أن يجد في القرآن سنداً لهذا الموقف".

أي أن التفسير الموضوعي هو الذي يستند إلى الحقائق اللغوية والتاريخية التي حكمت ظهور هذا النص أما التأويل فهو عبارة عن جهد عقلي من أجل تملك النص وإخضاعه لمفاهيم وتصورات القارئ.

وأيضاً علي حرب في كتابه "التأويل والحقيقة" فيقول "إن التأويل يعني أن الحقيقة لم تقل مرة واحدة وأن كل تأويل إعادة تأول أو يعني كما في الحالة الإسلامية أن الوحي لم يقل فيه مرة واحدة وعلى كلٍ فإن التأويل ينبني على الفرق والتعدد ويفترض الاتساع في اللفظ

وفيض المعنى، لذلك من غير الممكن أن تكون الحقيقة أحادية الجانب، أو أن يكون التأويل نهائياً!!".

هذا بالنسبة للتأويل في الفكر العربي سواء القدامى أو المحدثين الجدد، واختلاف آرائهم حول مفهومه وتعريفه وطريقة التفكير فيه واستحداثه فكانت هذه الكلمة وحدها من الكلمات التي أثارت جدلاً كبيراً في الثقافات الإسلامية ما بين مُنادين بالتطوير وما بين أصحاب الدليل القاطع للتفسير على الرغم من أن التأويل أصلاً هو الذي أظهر الطوائف الإسلامية بمختلف توجهاتها كالخائف من البدعة والتجديد من غير دليل ولا تعقيد وما بين الذي راح يكتب فيه ويستفيض من غير قيود ولا تحديد، والذي يسعى إلى أهداف غامضة وآراء دخيلة على الدين والفكر لإرضاء الجانب الغربي ربما وتقليده، إلا أن التأويل لا يزال يحمل الكثير في طياته والتي بالطبع سوف تساعد على الفهم الحقيقي لهذا الدين الحنيف الذي لا تزال معجزته باقية بيننا إلى الآن وحتى لقاء رب الكون والجنان.

أما بالنسبة للتأويل في الفكر الغربي فهو مرتبط كثيراً بتفسير النصوص الفلسفية أو الدينية فتعريف التأويل لديهم مرتبط بشرح الكتاب المقدس، فيعني ذلك أن الفلاسفة القدماء منهم وحتى المعاصرون لا يعتبرون التأويل مفهوماً فلسفياً، رغم أنهم مارسوا التأويل لا كأسلوب في التفكير فقط بل كطريقة لبناء نظرياتهم الفلسفية وعرضها على الناس منذ بداية تاريخ الفلسفة.

وسوف نستعرض بعضاً من آراء وأفكار الفلاسفة الغربيين باختصار لنقف عند اهتمام الفلاسفة بالبحث الهرمينوطيقي في الفكر الغربي الحديث.

فمنهم مثلاً غادامير هانس:

تعامل غادامير مع النص على أنه تعبير عن مقاصد المؤلف وتجربته الذاتية، وركز على فكرة التطبيق، أي تطبيق المعنى على وضعيتنا الراهنة فالفهم لديه يتخذ دائماً دلالة التطبيق، ففهم نص ما يعني تطبيقه على أنفسنا، من خلال التفاعل بين أفق النص وأفق المئول، أي أفق الماضي وأفق الحاضر وهكذا... فإن التأويل أو الفهم لا يمكنه أن يشغل عن الأفق الراهن للمؤول ولا عن الأفق الماضي للنص بل ينتج عنه اندماجهما.

وهكذا جعل "غادامير" الفهم سيرورة من الحوار والتفاعل الخلاق والمستمر بين أفق النص الماضي والأفق الحاضر لكل ذات متلقية..

بينما عند بول ريكور فإنه يرى أن التأويل هو اشتغال الفهم على فك الرموز ومن هنا يرمز بين الكلمتين: التفسير والتأويل، فالكلمة الأولى تعني "الجهد الذي نقوم به في إرجاع معنى ظاهر ومجازي إلى معنى باطن أو حقيقي، في حين الثانية: ذات حمولة فلسفية بما أنها تهدف إلى الإمساك بالكائن من خلال تأويل تعبيرات جهده من أجل الوجود.. فما يقوله النص عند بول ريكور لا يتطابق بالضرورة مع ما يريد كاتبه قوله، أي أن الأشياء التي يقولها النص، لا تخضع لقصود المؤلف..

وأيضاً "ريتشارد رورتي" الذي يركز فيه على فكرة التطبيق، واستعمال النص، فكل تأويل للنص هو استعمال له بكيفية معينة..!

ومن هنا تلك العلاقة الجدلية بين قطبي المعادلة، حقوق القارئ وحقوق النص كما هو!

"ويحكى جون ديكانز تلك القصة فيقول: كم كان يبدو عجيباً فن الكتابة هذا عند ابتكاره ونستطيع تفهم ذلك من خلال تفاجؤ الأمريكيين المستغربين لرؤية الناس يتحدون مع الكتب والذين شق عليهم تصديق أن الورق بوسعه الكلام.."!!

فمفهوم التأويل تطور مع الوقت وذلك لاحظناه في المعجم الحديث للفلسفة والعلوم الإنسانية، إذ ذكر فيه أن التأويل أصبح يأخذ في الحسبان، تاريخانية الإنسان ووضعية وجوده، فالتأويل الفلسفي كما ذكر "ريكور" أصبح تفكير نقدي على أكثر تأويلات الوجود الإنساني، فالاختلاف دائماً بين ظاهر التأويل وتأويل الظاهر..

ولذلك من خلال ما سبق أدركنا حجم المسافة التي تبعدنا عن الفكر الغربي المعاصر، ذلك أن الفكر الإسلامي يسعى إلى الانفتاح على المعنى ومازال تحت سيطرة المعنى الأحادي وانغلاقه على ذاته بدلاً من إدراك المعاني الخفية وإن كنت أتفق معه في التسليم ببعض بواطن الأمور بدلاً من المرور عبر بوابة الإلحاد والكفر والشك التي يصل غليها غالبية الفلاسفة الغربيين إلا أنهم ليس لديهم نصوص مثل القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والأشعار التراثية والحروف الأزلية لدى العرب ليستخدموا مفهوم التأويل بصورته الحقيقية، فالإسلاميين يعتمدون في الغالب على قاعدة سلفية قديمة تستند إلى

القول بأن "القرآن يفسر بعضه بعضاً" وهي معلومة لدى أئمة التفسير وهي صحيحة ولكنهم لا يطبقوها فهم يأخذوها من التراث ويفسروها بالتراث فأصبحوا سجناء التراث أيضاً.

فالتأويل مشروع لكل الأمم والمفكرين عبر العصور فقد لازم مختلف الديانات السماوية فهو إجراء يمكن أن يقع لأي أمة حين تملك النصوص وتقرأها وتسعى إلى تعمق فهمها فمنهم من وصل إلى حقيقته ومعناه ومنهم من طعن وضل وتجاوز حدود التأويل وزعم أنه ليس له حدود فهذا الفكر كان مبدأه من الفلاسفة الإغريق وهو "لا محدودية التأويل"، وأيضاً المعتزلة الذين وسَّعوا في فهم هذا المعنى بحكم أنهم يقولون في معرفة الأشياء والخوض فيها لا على العقل ولا على النقل بل أوَّلوها بما يتناسب مع عقائدهم ومذهبهم..

فأين الحق من الباطل والعامل من العاطل؟ و أين الداء من الدواء والصدق من الرياء؟!.

فللتأويل معنىً عميقاً غامضاً ظهر منذ فجر التاريخ لا للإسلاميين وحدهم ولا للإغريقيين أيضاً بل هو لكافة خلق الله، فما الحكمة منه أصلاً؟!.

وما السبيل للوصول له وما الفائدة منه ومن تعلمه وأين حدوده وغايته؟!.

نظرتي في علم التأويل

نبذة مختصرة عن مفهوم علم التأويل:

التأويل معناً كما علمنا واتفق عليه هو الرجوع إلى الأصل وهو من "الأول" أي مصدر الأشياء ومآلها.

والـتـــأويل يكون للأسمـــاء و الأسماء تتكون من حروف والحروف تُئوَّل إلى حروف أخرى تخرج منها أسمـــاء أخرى تشكل موجودات ومن الموجودات تكون الرؤيا و التأويل فتعلم المراد والتى فى النهاية كلها تئول إلى **الله** .

بينما اصطلاحاً فإن التأويل، هو معرفة الغاية من المصدر وكيفية تعريفها وغايتها التي خلقها الله لها، فالتأويل يكون للموجودات ويفترض وجود "نص" أو "وجود"، وكل نص يفترض القراءة أما "الوجود" فيفترض التحليل، والقراءة أو التحليل يفترضان الفهم أو المراد منهما ولكن ما هي النصوص أو الموجودات التي تحتاج لهذا التأويل؟!

فالمصادر النصية الوحيدة التي تحتاج إلى تأويل أو التي لها تأويل هي "القرآن الكريم ومكوناته وهي الحروف العربية وأشكالها وأصواتها ثم تكوينها للأسماء بارتباطها في القرآن في ألفاظ وأسماء القرآن ثم المصدر الثاني "بعض الأحاديث الصحيحة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم والتى واكبت نزول أسماء و مفردات القرآن الكريم، أما باقي النصوص سواء الفلسفية أو الاجتماعية أو حتى الدينية الأخرى فهي تحتاج لتفسير فقط، أي المرحة

الأولى لباطن النص ولن يتجاوز التفسير هذه الدرجة منها ولتسهل على عامة العباد وهو من باب التدبر أيضاً (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**) والتدبر من دُبر الأشياء أي المعنى الخلفي للنص "المعنى الثاني" والذي هو التفسير أي أن المراد: هو أن تفهم المراد والثاني: أن تتفكر فيه وهو واجب على كل ما كان له قلب وعقل و حواس وهو أول درجات التأويل!، أما بالنسبة للموجودات فكل مخلوقات الله المادية والكونية والحسيِّة التي ذكرت في القرآن الكريم أو الأحاديث فهي أيضاً تحتاج لتأويل مثل: "الليل و النهار، الشمس، القمر، النجوم، الجبال، الكواكب، الأرض والسماء، الصدق و الكذب و الرياء، والحب والجفاء .... الخ" فكلها تحتاج إلى تأويل وليس تفسير فقط .

فالتأويل كما ذكرت ظهر مع نزول آدم إلى الأرض بعلم الأسماء ولتبيان ذلك نعد إلى القصة الأولى وهى أقدم قصة عرفتها البشرية "أول" قصة بين الخالق الله ومخلوقاته بعد الحكم بالخلافة فى الأرض وهذا بعد خلق الأسماء والعلوم والظواهر والعلامات فقال تعالى ::

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

فأولاً إن الله قد علم آدم أسماء قد خلقها قبله كأسماء وموجودات لا كتأثيرات وذكر أنه علمها له جميعاً "كلها" لا تنقص اسماً، ولفظ علَّم غير عرَّف حيث أن الله تعالى علمه كيفية تأويلها واستخراج معناها وهو ما سوف نراه إن شاء الله، بينما قال للملائكة "أنبؤني" بالأسماء وتم عرض بعض الموجودات، أي أن الموجود هذا له شكل يعبر عن اسمه وحركة

تعبر عنه ولفظ "أنبئوني" للدلالة على ما سيئول إليه هذا الشيء بعد ذلك فالبشر لديهم المصادر والملائكة لديهم الخبر!!.

هذا بالنسبة لعلم الأسماء وتأويلها بينما هل للتأويل حدود؟!.

كما قلنا مسبقاً أن التأويل إرجاع للمعنى لإدراك الغاية ولكنه إرجاع سباعي!! فالتأويل أقصى درجاته سبعة، أي أن التأويل الأول هو تفسير وبعد ذلك له ست تأويلات أخرى قد تكون من نفس جنس الموضوع أي من المتشابهات أو حتى أي تأثير آخر من تأثيرات الوجود..

فالتأويل سبع درجات ويكون لكل الأسماء ولذلك نزل القرآن على سبعة أحرف ولا يؤتيه الله إلا للراسخون في العلم فقط كما أخبر وهم "الأوَّلون"!. وهم أيضاً درجات ومنازل أكثرهم علماً آدم ثم الأنبياء من بعده ثم الراسخون في العلم والأولياء ثم اندثر هذا العلم من بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه سوف يعود مجدداً ليعلو شأنه مرة أخرى ولكنه سوف يكون بين العلماء والمضلين مروراً بالسنين حتى يكون أشده في آخر الزمان مع عيسى والمسيح الدجال .

أول هؤلاء الأولين بالطبع : آدم عليه السلام أول إنسان وأول متعلم من الله علمه الأسماء كلها بتأويلها وغايتها و هم لهم صفات خاصة سوف نستعرضها فيما بعد إن شاء الله.

ومن "الأولين" أيضاً سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي وصل إلى اليقين بالتأويل فتفكر في الشمس والقمر والكواكب والنجوم ومن تأويله ارتأى استحالة كونها إله فهو أول من توصل إلى الله بالتأويل!.

ويوسف عليه السلام: وهو أعلم أبناء آدم بالتأويل ومنه تأويل الأحاديث ولكن ليس ذلك فقط بل تأويل الأحداث والأفعال والموجودات فقد قال لملك مصر (**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**) وحفيظ بصدقه وإخلاصه وحفظ العلم الذي أوتيه وعليم من خلال علم التأويل الذي أتاه الله إياه وورثه من آدم وأبيه وأجداده!!.

ويعقوب عليه السلام فقد ورث أيضاً هذا العلم ووَرَّثه لابنه يوسف بعد ذلك والخضر عليه السلام "العبد الصالح" وقد علمه الله التأويل في الأفعال وليس علم الغيب، فمن خلال الأفعال ومسمياتها عَلِم تأويل هذه الأحداث ومآلها على الرغم من وجود نبي مرسل في هذا الزمان وهو موسى عليه السلام، وعيسى بن مريم عليه السلام فهو كمثل آدم لذلك تكلم في المهد وسيكون في آخر الزمان مثلما كان آدم في أوله وحيث سيكون معه علم الأسماء كلها أيضاً ولكن سيكون في حرب عِلم أمام المسيح الدجال الذي سَيُؤتى أيضاً من العلم مبلغاً

وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم فقد علمه الله تأويل القرآن فأنبأ بكثير من الأحداث منذ أكثر من (14) أربعة عشر قرناً!!.

وهؤلاء عليهم صلوات الله وسلامه هم صفوة الله من خلقه فيما يخص علم التأويل، ولهم صفات مشتركة غير أنهم "الأولون" سوف نفرد جزءاً منه إن شاء الله في باب "الأوَّلون و المئولون في القرآن".

ونبدأ الموضوع كما بدأ بخلق الحروف، فتلك هى أصل الحكاية وسوف نرويها من البداية!!

وسؤال هذا الباب

(*) وبعد أن قرأت المقدمة بجانب مدخلاً وجيزاً من علم التأويل منذ نشأته حتى يومنا هذا، إليك سؤال هذا الباب والمقدمة، قد ذكرنا أن لكل الأسماء تأويل ومصدر، فما هما الإسمان اللذان تئول إليهما جميع الأسماء؟!.

باب الكلمة والحرف

إن أول ما خلق الله سبحانه وتعالى هو "**القلم**"، فقال له اكتب، فقال ماذا اكتب؟! فقال عز وجل "اكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ".

وهذا التسلسل إن نظرت فيه وتعمقته تجده صحيحاً وله أدلته فإن بحثت حولك وجدت أن كل الكائنات مسخرة للإنسان ولكنك مثلاً لن ترى الملائكة ولا الشياطين فهم قبلك في الوجود مثلهم مثل الأسماء والقلم والموجودات، لذلك التسلسل الحياتي في هذه الدنيا هو فناء البشر أولاً ومن ثم كل ما على الأرض ممن كان مسخر له ومن ثم عدو البشر إبليس وذريته ومن ثم زوال الموجودات مثل الأرض والشمس والقمر والنجوم والسموات ومن ثم الملائكة ولن يبقى إلا الله (**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**) غافر 16، ولكن بقيام الساعة تتبدل الأرواح والأنفس لتواكب أهوال يوم القيامة والعذاب والثواب والحشر وما لم تره العين ولا أدركته الحواس من قبل و لكن القلب و العقل بداخله يظل كما هو فهو ثاني مخلوقه بعد القلم ليدرك كل ما هو فيه وبسببه وهذا الإدراك يكون "**تأويلاً**"، فلن تجد إلا الأسماء بتأويلها والعقل بإدراكه ثم الملائكة والجن وتبدل الأرض والسموات وتعود الحياة الأزلية الأبدية للأسماء وتكون هذه نهايتها أو نهاية تأويلها!!

وهذا قد يفسر لما معظم الموجودات كالشمس والقمر وغيرهما ملفوفة دائرية فهو (**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**) فهذه النهاية والبداية لذلك حينما تبدل كل هذه المخلوقات لن

تكون بالطبع دائرية أو ملفوفة ولكن ستكون ربما خطية أو غير منتهية لتواكب هذا الخلود و منها ما لم يعد له وجود كالشمس مثلا فإن تأويلها سينتهى بنهاية الحياة الأرضية و لذلك سوف تكوَّر يوم الساعة وهو فى قوله " **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ".

لذلك نحن الآن في مرحلة ما بعد منتصف الحياة الدنيوية و هي من بعثة الرسول محمد ﷺ ونحن من أمته (**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**) البقرة 143، فنحن في وسطية الخير والشر ووسطية الزمن أيضاً!.

العلم في هذه المرحلة بالطبع في أوسطه تماماً تأويلاً أو علماً وكلما امتد الزمن بنا وسار زاد العلم والكفر هياجاً واحمراراً..

وهذا التطور يأتي متزامناً أيضاً مع قصر الزمن فالعلم في ازدياد والزمن في تناقص ليعجل بالقيامة ولوجود القرآن بأسمائه وتأويله وهذا غير بدء الزمان الذي كان العلم في أشده والزمن أيضاً في أشده .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83) (سورة غافر)

فأرسل الله رسله ببعض من الأسماء التي ورثوها وتأويلها على حسب علم هذه الأمة المرسل إليها ولما كانت الحضارة الفرعونية المصرية القديمة مثلاً الأكبر علماً على الأرض أرسل الله إليهم موسى وهارون عليهما السلام بآيات من الله وسلطان مبين وهو العلم اللدُّنى والتأويل فظن موسى أنه أعلم من على الأرض فهو مرسل إلى الأمة الأكبر علماً

وطغياناً ونسى أنه (**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**) فأرسله الله إلى عبدٍ في نفس زمانه يملك تأويلاً لم يستطع موسى وهو الكليم أن يصبر عليه!!.

ونحن في هذا الزمان وفى حوزتنا القرآن الكريم من المفترض أننا نملك أصل العلوم ومصادرها، فالقرآن الكريم ما هو إلا كلمات، فما تأثير تلك الكلمات والحروف سواء التى يحتويها القرآن او الأسماء و الكلمات بصفة عامة على الإنسان قبل أن تعلم كيف يكون التأويل تأويلاً..

إن لكل كلمة أصل والكائنات أصلها كلمات والكلمات والمخلوقات تتطور وتنمو وتموت وتنقرض، فمنها من هو لين سهل أتى تأويله وعلمناه ومنها ما يزال غامضاً لا نعرف مصدره وتأثيره وتأويله، وعليه فإن الكون بأسره يسير بالكلمات وتأويلها التي هي مكونة من أحرف، فالأحرف كونت كلمات التي كونت لغات واللغات كونت أمم وحضارات.

" إن اللغة هي ترسانة الأسلحة الخاصة بالعقل البشري " كولبردج.

- لو بحثنا في منشأ اللغات سنجد أنه من الصعب معرفة منشأها وأصلها فهي تسمى "أصعب مشكلة في العلم" حيث يستحيل العثور على اللغات في شكل أحافير مثل الماديات الأخرى فاستصعب الجميع دراسة هذا النوع من العلوم، وقال الباحثون بأن الموضوع غير قابل للدراسة الجادة، ولكن مع نظرية "التطور بواسطة الانتقاء

الطبيعي" لتشارلز داروين حاول العديد من اللغويين وعلماء الآثار والنفس استخدام أساليب جديدة للتفتيش حول هذا العلم.

تشكلت العديد من النظريات في محاولة لفهم وشرح هذا العلم وكلها تقوم على عدة افتراضات بعضها اقتربت منه الحقيقة والأغلبية لا تمت للواقع بصلة.

بداية هذه الفرضيات اعتمدت على "أن أصل اللغة هو المحاكاة اعتماداً على الإشارات والإيماءات لمختلف الأصوات الطبيعية كأصوات الحيوانات، والصراخ الفطري للإنسان".

- بعض النظريات هذه مثل "بو-واو" للفيلسوف يوهان هردر والذي افترض أن الكلام هو تقليد لأصوات الحيوانات والطيور.
- ونظرية "دينج – دونج" لماكس مولر وتفترض أن لكل شيء تذبذب طبيعي وأن الكلام هو تردد لكلمات الإنسان القديم.
- نظرية "يو – هي – هو" وافترضت أن اللغة هو نتيجة لعمل مجموعة إيقاعات متداخلة، وذلك بالتوافق مع المجهود العضلي الذي ينتج عن الأصوات، مثل التنهد المتكرر مع الصوت **HO** "هوو".

وكلها بالطبع نظريات ساذجة تفترض أن الإنسان البدائي عثر على طريقة ربط مناسبة بين الأصوات والمعاني وعليه نشأت اللغة بشكل تلقائي وتطورت..

من النظريات الحديثة أيضاً "نظرية لغة الأمهات" والتي اقترح فيها ويليام فيتش أن مبدأ "اختيار القريب" لداروين: يقول أن اللغات جميعها كانت في الأساس "لغة أمهات"،

إذ تطورت اللغة بداية على أنها لغة للتواصل بين الأمهات و ذرياتهم قد تتطور لاحقاً لتشمل أقربائهم البالغين.

ونظرية الطور المشترك للطقوس / الكلام وهي من اقتراح العالم "روي رابايورت" ومن ثم حدثت من قبل إيان واتس وكويس نايت وغيرهم، ويقول هؤلاء العلماء أنه لا يمكن وجود شيء مثل "نظرية أصول اللغة" وذلك لأن اللغة أحد الجوانب الداخلية لشيء أوسع بكثير وهي ثقافة الإنسان الرمزية ولقد باءت محاولات شرح ماهية اللغة بشكل منفصل فشلاً ذريعاً، وبرر هؤلاء العلماء السبب بأن المحاولات كانت لتناول مشكلة لا حل لها، فهل يمكن للمؤرخين محاولة تفسير ظهور بطاقات الائتمان بشكل مستقل عن منظومتها الضخمة التي هي جزء منه؟!.

فهذه لا يمكن حلها أو تفسيرها بدون التطرق إلى الحسابات المصرفية والمصارف وغيرها، فلا يمكننا فهم جزئية صغيرة ضمن منظومة متكاملة مجهولة لنا.

كل هذه النظريات وغيرها امتداد للفكرة الداروينية ومعها التكهنات المأخوذة في الاعتبار بخصوص القدرات اللغوية للإنسان الأولي قبل 2.5 مليون سنة، فيعتقد البعض أن سمات ثنائيات الحركة التي تطورت في جنس "الاسترالوبيتكس"

*** جنس "الاسترالوبيتكس" يزعم الملحدين أنهم جنس من أشباه البشر ويعتبر أول من مشى على الأرض بقدمين اثنين قبل 4.2 مليون سنة*.**

تطورت ثنائيات الحركة في هذا الجنس قبل 3.5 مليون عام قد غيرت التكوين التشريحي للجمجمة، مما سمح للقنوات الصوتية باتخاذ شكل أقرب إلى حرف L.

إن هذا الفكر السطحي مع كل ما يملكونه من معامل وفحوصات تثبت جهل مروجيها وإثبات خلق الكون لذاته فلذلك لن يصلوا أبداً إلى بدء اللغة والأسماء في هذا الكون والتي يصل عددها في العالم على الأرجح إلى أكثر من خمسة آلاف 5000 لغة منطوقة، ثلثها في إفريقيا، ترتبط هذه اللغات مع بعضها البعض عبر الكلمات أو الأصوات أو البنية النحوية المشتركة، وبحسب النظرية السائدة، فإن كل أعضاء مجموعة لغوية واحدة انحدروا من لغة واحدة أقدم، أي سلف واحد مشترك.

فأقدم لغة في العالم مازالت مجهولة إلى يومنا هذا من وجهة نظر العلماء ولكن هناك لغات أم قديمة اندلعت منها باقي اللغات المعروفة حالياً.

من هذه اللغات اللغة السومرية وهي أول لغة مكتوبة، فهي اللغة التي تحدث بها السومريون في بلاد الرافدين ولكنها انقرضت في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد!!.

واللغة اليونانية التي يرجع تاريخها إلى 1500 عام قبل الميلاد.

واللغة اللاتينية وهي مصدر لكثير من اللغات الحديثة ويعود تاريخ نشأتها إلى عام 45 قبل الميلاد.

والأهم بينهم هي اللغات السامية وهي من أول اللغات التي استعملت الأبجدية في كتابتها والتي استوحتها من الأبجدية المصرية "الهيروغليفية" ومنها انتقلت إلى معظم لغات العالم!!.

اللغات السامية تنتسب إلى "الساميين" الذين ينسبون إلى "سام بن نوح" وهو أبو الشعوب التي تتحدثها حسب المعتقدات الدينية، وتتفرع الآن إلى عدد من اللغات المنتشرة في الشرق الأوسط وإفريقيا ومنها بالطبع "اللغة العربية" التي هي أكثر اللغات السامية انتشاراً من حيث عدد متحدثيها ومنها أيضاً "اللغة العبرية" التى هي من أقل اللغات السامية انتشاراً ..!

ولذلك نجد أن كل اللغات تنحدر من الهيروغليفية المصرية، فإن ما وصلنا مكتوباً بها مخطوط رسمي ما بين عام 4400 قبل الميلاد و 3200 ق.م.، وهي تعني " النقش المقدس" ومنها انطلقت كل اللغات تقريباً.

ولو لاحظت أن اللغة المصرية القديمة كتبت أفقياً ورأسيا من اليمين إلى اليسار وكتبت بخطوط أربعة: "الهيروغليفية، والهيراطيقية، والديموطيقية، والقبطية".

وهي خطوط لم تظهر كلها في وقت واحد ولكن بتتابع زمني ولسنا في صدد التفرقة بينهم الآن، ولكن ما نود معرفته أن كل هذه الخطوط عدا القبطية كانت تكتب دائماً من اليمين إلى اليسار مثل اللغة العربية واللغة العبرية وهذا يظهر بوضوح في نصوص كتاب الموتي ونصوص حجر رشيد ونصوص المقابر والمعابد وغيرها.

فاتجاه أقدم كتابة عرفها التاريخ مهم في التأويل لمعرفة ما الاتجاه الذي ستسير به اللغة الأم أو اللغة الباقية بنزول آدم عليه السلام وهذا الاتجاه هو **"اليمين إلى اليسار".**

فبالعودة إلى اللغات الحديثة، فإن من أشهر اللغات بيننا الآن وأوسعها انتشاراً هي "اللغة الإنجليزية ثم الصينية ثم الهندية ثم العربية فالأسبانية والبرتغالية والفرنسية والروسية وغيرها..".

من بين هذه اللغات نجد العربية وحدها هي من بين 5000 لغة موجودة اليوم من تكتب من اليمين إلى اليسار ومثلها العبرية وهما منحدرين من اللغة الآرامية واللغات السامية كما ذكرنا.

فاللغة الآرامية كانت لغة النبي إبراهيم والتي امتدت من أقاصي الشرق إلى الغرب وتكتب بالطبع من اليمين إلى اليسار ومن فوق إلى تحت.

فنجد من هنا أن اللغة الإلهية أو التي علم بها آدم الأسماء كلها كانت من اليمين إلى اليسار فآدم تعلم الأسماء من اليمين إلى اليسار فالعلوم كلها في الأسماء اتجاهها من اليمين إلى اليسار، ولذلك ما أرسل الله سبحانه و تعالى من نبي إلا أيمن " أى من يجيد إستعمال اليد اليمنى عن اليسرى "!

ونجده فيما أخبر سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم حينما ذهب ليحطم الأصنام فقال (**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**) سورة صافات. مخبرا عنه حينما ذهب ليحطم الأصنام، فدل ذلك على استخدامه اليد اليمنى في الأفعال، وأيضاً سيدنا موسى حينما سأله ربه (**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (18)** ، فدل ذلك على استخدامه اليد اليمنى في أفعاله، وسيدنا محمد ﷺ أيضاً حينما أخبره ربه (**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**) العنكبوت 48

فدل ذلك على أيمنة الرسول ﷺ وأنه ﷺ كان يستخدم يده اليمنى.

وأخبر أيضاً سبحانه وتعالى عن صحابة الرسول ﷺ وعن الملائكة وعن أصحاب الجنة بأنهم جميعاً من أصحاب اليمين **(وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ)**.

وأخبر سبحانه وتعالى عن نفسه فقال **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ...)** سورة الزمر67.

وكما في الحديث **"إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين"** رواه مسلم.

وأيضاً مرفوعاً "لما خلق الله آدم، ونفخ فيه من روحه؛ قال بيده وهما مقبوضتان: خذ أيها شئت يا آدم، فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يداه يمين مباركة ثم بسطها ... إلى نهاية الحديث".

فدل ذلك على أن كلتا يدي الله يمين ولا يسار له سبحانه وتعالى فالأرض قبضته يوم القيامة والسموات في يده الأخرى اليمين أيضاً فاليسار للمخلوقين فقط لدلالة معينة وليس للخالق عز وجل .

عدد العسراويين "الذين يستخدمون يدهم اليسرى" لا يتجاوز الـ 10٪ من عدد سكان العالم، ولست بصدد أن أتحامل على العسراويين فمن استطاع أن يستخدم اليمنى أو يعوِّد نفسه على ذلك فليفعل، ولكن اليسار اتجاه الشيطان وبها كل ما هو شر أكثر من اليمين، فالعسراويون معرضون أكثر من غيرهم للإدمان ويعانون مشاكل بالنطق وهم

الأكثر تعرضاً للإصابة بفصام في الشخصية وغيرها من المشاكل وذلك بناءاً على أ بحاث غربية عديدة.

ولعلك لاحظت أيضاً الترويج الهائل لليسار أو للعسراويين وإبراز أن المبدعين أو الأذكياء والمشاهير هم من أصحاب اليد اليسرى وخصوصاً الفيزيائيين والمهندسين والزعماء... وغيرهم، و من أبرز هؤلاء الشخصيات والمعروفين لدى الجميع :

"مهاتما غاندي، أدولف هتلر، مايكل أنجلو، بيتهوفن، إسحاق نيوتن، يوليوس قيصر، موزار... الخ"

بينما من الشخصيات الحالية:

"باراك أوباما، بوش الأب، بيل كلينتون، أنجلينا جولي، جوليا روبرتس، إيمينم، .... الخ"

وتجد هؤلاء كثيراً ما يتباهون بيديهم اليسرى سواء فى كتاباتهم أو خطاباتهم أو أغانيهم والإعلام الغربي يروج لذلك ليدل على الإبداع والفن والتميز، فايمينم مثلاً وهو "مغني راب" كثيراً ما يتحدث في أغانيه عن استخدامه يده اليسرى ولا عجب أن الإم تي في "MTV" كثيراً ما أعطته جوائز في مسابقتها بدون حتى أن ينتج ألبوم في هذه السنة أصلاً لتمييزه عن غيره، وهذا تجده كثيرا فى جوائز الأوسكار و غيرها من تكريم لذوات اليد اليسرى كثيرا، والكثير من المبدعين الذين يرون أنهم الأبرع في المجال وأحسنهم مثل "بيتهوفن ونيوتن مثلاً، اللذان يروج لهم بأنهم أفضل من أنجبت الموسيقى والفيزياء كلٌ في مجاله..!

والاتجاه السائد الآن والذي قد تسمعه كثيراً فيما بعد، هو أنك لا ترغم طفلك على استخدام يده اليمنى بدلاً من اليسرى وليس ذلك وحسب بل إن هناك مدارس وقنوات لتعليم الكتابة والتحكم باليد اليسرى أكثر من اليمنى لتكون من المبدعين أو من الزعماء أو من المشاهير ....!

و هذا الاتجاه ما هو إلا اتجاه شيطاني للاستحواذ على العلم والسلطة معاً وللتحكم في الأرض من خلال الفنانين أو الفيزيائيين أو الزعماء، وهذا الاتجاه هو اتجاه الشر.

فحتى في اللغات قديماً كانت ترى اليسار خطأ أو شر واليمين هو الخير والحق المطلق، فمثلاً

اللغة اللاتينية: اليسار يعني شرير

الفرنسية: اليسار تعني GAUCHE = حرج

الإنجليزية القديمة: LEFT تعني ضعيف، RIGHT = الحق واليمين.

اليابانية: كلمة شمال IT / تعني مجنون.

وهذا هو السر وراء نشر اللغة الإنجليزية بشكل خاص واللغات اليسراوية بشكل عام ألا وهو نشر الشر وطمس العلم الذي في اللغة العربية، واليهود يعلمون هذه الحقيقة وهم أصحاب علم ولكنهم دائماً ما يتكبرون عليه فلذلك متمسكون باللغة العبرية والتي تكتب من اليمين إلى اليسار أيضاً.

وأنا لا أدعوك إلى إيقاف تعلمك للغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات اليسراوية ولكن لا تجعلها محور حياتك وطريقة لسانك وكتابتك، فلا تجعلها لغتك الأم واقتصرها على عملك أو دراستك فقط إن استوجب الأمر.

فاللغة العربية من أبلغ اللغات وأقدمها وتحتوي على صوتيات كل اللغات الأخرى وبها علم التأويل وحدها دون غيرها فبها أو بأصواتها تعلم آدم واستخدمها بهبوطه الأرض مع بنيه ومع التوسع والانتشار وخصوصاً من بعد طوفان نوح عليه السلام وعودة الحياة مرة أخرى، انتشر بنو آدم أو نوح فاندثر بعض الأصوات أو الأسماء والصوتيات، فظهرت ألفاظ أخرى قريبة منها والتي انتشرت وكونت مع بعض الصوتيات الأخرى لغات في عدة اماكن مختلفة

بين أطياف معينة منهم من استخدم رموز وصور للتعبير ومنهم من استخدم أبجدية كما ذكرنا.

وعلى كل فإن اللغة العربية وعلم الأسماء وصل غايته وذروته بنزول القرآن الكريم كاملاً ليكون قد اكتمل علم الأسماء بين البشر ولينذر بقرب نهاية الرحلة الدنيوية.

اللغة العربية لك أن تعلم أنها تحتوي على **12,302,912** اثنا عشر مليون وثلثمائة ألف كلمة بدون تكرار، بينما الإنجليزية فتحتوي على **600,000** كلمة فقط!!

و لذلك فإن تعلم اللغة وزيادة الحصيلة اللغوية له تأثير كبير على العقل والقلب البشري فاللغة هي مفتاح العلم اللَّدنى وعلم التأويل الذي نحن بصدده الآن.

"الكلمات هي جسد الفكر" كارليل.

لاحظ علماء النفس مع بداية القرن العشرين أن هناك علاقة وثيقة بين عدد الكلمات التي يستخدمها الشخص وقوتها وبين النجاح الذي يحققه في الحياة.

هذا وقد ربط أيضاً **"توني بوزان"** بين الذكاء الكلامي والعددي والمكاني والإبداعي والاجتماعي والحسي والروحي والجسدي والجنسى والجسماني، وكل واحد من هذه الأنواع ينتفع من تحسين الأنواع التسعة الأخرى.

لذلك فإنك عندما تسعى نحو تنمية ذكائك اللفظي فإنك تعمل في الوقت نفسه على تنمية باقي الأنواع التسعة.

وأضاف أيضاً أن الذكاء الكلامي يساعد على تطوير فراستك في فهم نفوس البشر وبالتالي يزداد وعيك الإدراكي ومعرفتك في علم النفس والحالات الباطنية.

ومنها ما يلى :

حاول كل من "روبرت جيفورد" و "دارس رينولدز" من جامعة فيكتوريا في كندا خلال بحثهما، اكتشاف الملامح الأساسية التي تساعد في الحكم على مستوى الذكاء الكلامي بصورة دقيقة، والعوامل الأخرى التي لا ترتبط بمستوى الذكاء.

فقاما بتصوير طلبة المدارس الثانوية بالفيديو أثناء إجابتهم عن أسئلة تحفز التفكير مثل: "ما الذي يمكنك التنبؤ به حول مستقبل العالم بيئياً؟" وتم إعطاء جميع الطلبة الاختيارات المتعارف عليها لقياس مستوى الذكاء الخاص بهم.

وبعد ذلك تم عرض هذه الأفلام المسجلة أمام مجموعة من المتطوعين الذين أصبحوا حكاماً على مستوى ذكاء هؤلاء التلاميذ وطلب منهم المشاهدة الدقيقة لهذه الأفلام ثم تقييم الإشارات الجسدية التي يستخدمها كل طالب علاوة على مراقبة العديد من الإشارات السلوكية الأخرى، مثل مدى الطلاقة في استخدام الألفاظ، وعدد الكلمات

الصعبة، ومقدار ارتفاع وجهارة أصواتهم. وبعد انتهائهم من أداء هذه المهمة، طلب من الحكام تحديد مستوى ذكاء هؤلاء الطلاب.

وكانت النتائج كما يلي:-

العوامل التي لم يكن لها أدنى علاقة بمستوى الذكاء كانت كما يلي: التلعثم في الحديث، أو استخدام لغة دارجة في الحديث، أو الهمهمة، أو بدانة الطالب، أو التحدث بصوت عالي.

أما العوامل التي سجلها الحكام لتكون دليلاً على ارتفاع نسبة الذكاء، فهي كالتالي: إذا ما كان أسلوب الطالب سهل الفهم، أو كان يستخدم العديد من الألفاظ، أو كان يتحدث بطلاقة وسرعة. وقد أشارت النتائج إلى أن التدريب على هذه المجالات الثلاثة سوف يؤدي إلى ارتفاع معدلات الذكاء العام.

وكما أعلن الدكتور "ويلفرد فنك" نتائج تجربة أجريت على العلاقة بين زيادة الحصيلة اللغوية والنجاح الأكاديمي، والتي تم إجراؤها على فصلين في إحدى المدارس الأمريكية. وينتمي طلاب المجموعتين إلى خلفيات متماثلة ويتساوون في السن، وبداخل كل مجموعة عينة تمثل المجتمع المحلي.

استمر طلاب أحد الفصلين في دراستهم المعتادة، بينما المجموعة الثانية من الطلاب وهم جماعة الاختبار، فقد تم إعطاؤهم فصولاً إضافية تلقوا من خلالها تدريباً خاصاً

ومكثفاً لزيادة حصيلتهم اللغوية وذكائهم الكلامي. وكما كان متوقعاً، ففي نهاية الدراسة حصل الطلاب الذين تلقوا تدريباً لزيادة ذكائهم اللفظي والكلامي على درجات أعلى في مادة اللغة وحصولهم على درجات أعلى في باقي المواد الأخرى ومن بينها مادتا العلوم والرياضيات.

وهذا دليل على العلاقة الطردية بين الحصيلة اللغوية والتفوق الدراسي العام.

وأيضاً البروفسور "لويس ترومان" من جامعة ستانفورد الذي أراد أن يعلم ما إذا كانت اختبارات الحصيلة اللغوية وحدها كافية لأن تكون مؤشراً دقيقاً على الذكاء مثلما الوضع مع اختبارات الذكاء التي تقيس مختلف الجوانب المعرفية، وقد توصل في النهاية إلى اكتشاف أن الكلمات بمفردها يمكن أن تكون مؤشراً ناجحاً للغاية على مدى النجاح في الحياة الأكاديمية أو المهنية وفي مستوى الذكاء بشكل عام ...

لذلك إعمل على اكتساب العديد من الكلمات الجديدة من نفس لغتك فإن هذا سوف يزيد من جودة حاسة السمع لديك أيضاً ويزداد نجاحك بين الآخرين، استخدم جميع حواسك في اكتساب هذه الكلمات والتي قد تكتسبها في أي مكان ومن أي وسيلة مقروءة أو مرئية أو مسموعة.

"إن الكلمات هي الأدوات التي تجعل الفكر أمراً ميسراً" جود

فالكلمات منذ فجر التاريخ وهي تتميز بالغموض والسحر والقوة، ففي مصر القديمة كان الكهنة هم "حفظة الكلمة" وكانوا يحاولون الإحتفاظ بفن القراءة والكتابة كسر من الأسرار، لأن قيامهم بذلك قد منحهم قوة في التلاعب بأساليب المعارف وبالشعب، لذلك

ظلت استجابة العامة والجهلاء لهم تشوبها الرهبة والخرافة والإحساس بالخوف مما قد تحمله هذه الكلمات من قوة وسيطرة عليهم.

فاعتبر القدماء المصريين أن الإله "**جحوتي**" علمهم الكتابة وعلمهم الحساب، لهذا يقدرونه دائماً على مر العصور، وأحبوا الكتابة وكتبوا بإسهاب، فكان الكتبة يتعلمون الكتابة والحساب وبعضهم يتعلم الهندسة أو الطب بالإضافة إلى الكتابة، فكان كل كبير في مصر يفخر بأن يضيف إلى اسمه وظيفته ككاتب، ككاتب ومهندس، أو ككاتب وطبيب، أو ككاتب ورئيس أطباء القصر وهكذا لما في الكلمة من قوة وتأثير .

هذه القوة هي قوة السيطرة على العلم، وقوة الحديث وقوة الإلهام وقوة السحر والفكر والقيادة ولا عجب أن تأتي الكتب السماوية مكتوبة مكونة من كلمات محفوظ بها العلم والسلطة والماضي والمستقبل ..!!

وذكر "طوني بوزان" أنه في عصر النهضة الأوروبية وأثناء حكم الملكة "إليزابيث الأولى"، كان لا يزال سوى عدد قليل من الأشخاص هم من يستطيعون القراءة أو الكتابة، وكان ينظر عامة الناس للقدرة على القراءة برهبة، وإلى هؤلاء الذين يتمتعون بهذه القدرة بأنهم غالباً ما يشتغلون بأحد أنواع السحر، وأن هؤلاء الذين يستطيعون القراءة بشكل عام أنهم يقدرون على القيام بالسحر.

فالكلمات لا تزال تملك تأثير السحر على البشر، فهي تعطي الأشخاص جاذبية وجمالاً فائقين فانظر إلى المئولين "آدم ويوسف والخضر وداود و محمد عليهم الصلاة والسلام" وغيرهم من عامة الناس الذين يمتلكون حِساً استثنائياً في الكلام أو الذكاء الكلامي..

ففرعون بعدما رأى الآيات من موسى الكليم هو والسحرة أجمعين آمنت السحرة وتكبر فرعون فقال **(إنه لكبيركم الذي علمكم السحر)** سورة الشعراء.

وقال الكافرون على محمد عليه الصلاة والسلام **(قَالَ الْكَافِرُونَ هَـٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)** سورة ص.

وقال أيضاً سبحانه وتعالى في سورة يونس

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ)

فإن هذا الاستفهام هو استفهام للإنكار، إنكار لتعجبهم من إيحاء الله إلى رجل منهم ما اشتملت عليه الدعوة القرآنية، فهم لما سمعوا ما تلاه عليهم من القرآن وجدوا كلاماً من غير نوع كلامهم خارقاً للعادة المألوفة في الكلام يأخذ بمجامع القلوب وتتوله إليه النفوس وتخر له العقول فاتهموه هو والقرآن بالساحر والسحر المبين.

وقوم فرعون لما رأوا العذاب :(**وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ)** الزخرف 49

وهذا القول جاء هنا على سبيل المدح والتعظيم أي العالم الكامل لما كان عندهم من تعظيم السحر.

وغيرهم من رسل الله صلوات الله عليهم لما يملكونه من علم وحصيلة لغوية وتأثير فائق وحدث بديع وإقناع مذهل وخلق قويم فالكل إتُهِم بالسحر فقال تعالى: (**كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)** سورة الذاريات 52.

فما هو هذا التأثير الكلمي الذي جعل الناس في مصر القديمة من آل فرعون مثلاً يثورون إلى هذا الحد وما هو وقع كلمات القرآن الكريم على كفار مكة ليتهموا الرسول ﷺ بالساحر والقرآن وكلماته بالسحر؟!

"إن الكلام هو القوة، والحديث هو أن تقنع وتوعظ وتروض" رالف إميرسون

فللكلمة تأثير قوي على النفس و القلب البشري، فكم من قصة أو حادثة كان للكلمة التأثير الأكبر فيها وكانت هي البطل الحقيقي للرواية، فالكلمات يمكن أن تصنع فارقاً كبيراً في حياة البعض سواء بشكل إيجابي أو سلبي، فهي لها تأثير ديني والأهمية الأكبر لها دينياً كما ذكرنا ولذلك قال رسول الله ﷺ **"فلتقل خيراً أو لتصمت"** لما للكلمة من تأثير، فعليك دائماً باختيار كلماتك وخاصة في مجال الدعوة، فإنك تجد الناس قد تستجيب لشخص يدعو إلى الدين بأسلوب طيب وكلام حسن ولين قول، فنجد تأثيره يفوق كلماته وتعجب لقدرة هذا الكلام على هذا الجذب.

وعلى الناحية الأخرى تجد العديد من الدعاة فظ القول، لا يجيد استخدام الكلمات ولا الطريقة المناسبة للموقف، فلا ترغب في الاستماع له وهم قلة والحمد لله، لذلك فالكلمة هي مفتاح الهدى والجذب.

قال ﷺ "إن الرجل ليتكلم بالكلمة – من رضوان الله تعالى – يرقى بها إلى أعلى عليين، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة – من سخط الله تعالى – يهوى بها إلى أسفل سافلين".

وهذا فقط من كلمة!!

قال الله تعالى **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)** سورة إبراهيم، و هذا للكلمة الطيبة و تأثيرها ..

وللكلمة تأثير عاطفي أيضاً فهناك أشخاص طبيعتهم أنهم يحبون الكلام العاطفي سواء كانوا رجالاً أم نساء، وللنساء الغلبة في هذه المنافسة، فهي لها وقع السحر عليهم، فبكلمة تصالحها إن غضبت و بكلمة تغازلها إن حزنت و بكلمة تتزوجها إن رضيت.

وبالكلمة تعطى الوعد و بها تحلف نذر وبها تدخل الدين و بها قد تخرج منه " أعاذنا الله "، و بالكلمة تتزوج إمرأة و بكلمة واحدة تطلقها و تفارقها!!

وللكلمة تأثيراً سياسياً معروفاً طبعاً، فهناك حروب قامت بسبب كلمة قيلت هنا أو هناك، فمعظم السياسيين يعرفون أهمية الكلمة في التأثير على الأشخاص، ولذلك يهتمون بالسيطرة على الإعلام لسهولة تأثيرها في الشعوب.

ومن أبرز الزعماء الذي اعتمدوا على الكلمة الألماني "أدولف هتلر" حيث قال في أحد مقالاته "ليعلم فرسان القلم أن الجماهير تخضع دائماً لقوة الكلمة" وغيرها الكثير من الخطب التي أثار قائلوها الزعماء الكثير من الاستعطاف أو الاستهجان أو حتى الثورات والانقلابات!!!

"إن الكلمات هي أقوى دواء استخدمته الإنسانية" كيبلنج

الكلمة دواء لكل داء ولكن تحتاج لأن تعرف الكلمة أو الكلمات المناسبة لذلك الداء سواء كان ذلك الداء قلبياً أو نفسياً أو عقلياً أو بدنيا، فإذا علمت أن بعض الكلمات قد تؤثر فيك سلباً أو تطرحك أرضاً فإن دوائك يكون من الكلمات أيضاً، فهي مثل المحفز لمناعتك ولقلبك لينشط ويستعيد عافيته من جديد.

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)

وما القرآن الكريم إلا كلمات نزلت على صدر محمد من السماوات، شفاءاً ودواءاً لكل داء، وهدىً ورحمة من كل رياء، نفعه للقلوب كمنزلة الماء، كلماته مكونة من الحروف والحركات، ولعظيم ما فيه من البركات كانت تلاوته من القربات، والتفكر فيه من الطاعات، تسمو به لأعلى الدرجات، فيه ما فيه من الكرامات، بديع البدايات والنهايات.

يحمل الكثير من الأسرار في صدر النقل والأخبار، ما ترك شبراً من الأمصار، ما ترك شطاً من الأنهار، منتظم التبشير والإنذار، يأخذ بالعقل والإبصار..

فإن لم يكن فيه هو كل دواء، فمن ذا الذي فيه هدىً وشفاء؟!

كما قلنا من قبل إن زيادة معدل التطور اللغوى أو الذكاء الكلامي لديك يتناسب طردياً ويحفز هو الآخر من التطورات الإبداعية والعددية والمكانية والاجتماعية والجسدية والروحية.

فالتطور الإبداعي يزداد تدريجياً بزيادة حصيلتك اللغوية والكلامية، فتجد هناك زيادة في القدرة على الخيال وربط العلاقات والأحداث والتفاعلات مع بعضها البعض، وسوف يظهر ذلك جلياً في حواراتك أو كتاباتك أو حتى عملك.

فمثلاً حينما تصف شيءٍ ما لشخص تجد نفسك مفعم بالكثير من التفاصيل وهذا دور الخيال في اختلاق الكثير من الغوامض وربط الأمور لتزداد إيضاحاً.

والتأويل من أهم عوامل والأسباب للوصول إليه أن تكون لديك قدرة فائقة على التخيل والإبداع وربط الأحداث!!

التطور الكلامي يطور أيضاً الذكاء العددي ولغة الأرقام والحسابات فكلاهما مكون من أبجديات صغيرة أي الحروف والأعداد، والاثنان يكونان بدمج عناصرهما عناصر أكبر وهي الجمل والمجموعات، وكل منهما يحفز العقل للإبداع والتفكير بصورة أكبر وأوضح.

وقدرته كذلك على خلق العلاقات الإيجابية الاجتماعية على جميع النواحي والمستويات وهو التطور الاجتماعي، وسيعمل أيضاً على تحسين طريقة استخدام جسدك وكل جزء فيه، وكيفية التحكم في المشاعر المختلفة التي تؤثر على جسدك، فمن الصعب أن تكون مبتسماً وإيجابياً عندما تكون مريضاً أو مرهقاً، والأكثر من ذلك أنه كلما ازداد حديثك هدفاً، أصبحت أكثر وهناً وكآبة.

ولذلك نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس هماً وأكثرهم تبسماً! وهو ليس بالأمر اللين السهل ولكنه ﷺ كان قد أوتى جوامع الكلم!!

فكل ما حولك متأثر بالأسماء والكلمات ومن قبلهم الحروف!

وذكرنا من قبل قوة اللغة العربية لغة القرآن في الأسماء والحروف وما تحتويه من بلاغة وإتقان وغموض جعلها أهل لأن تكون لغة القرآن ليناسب العصور والأزمان، ولأنه سيكون بها الكثير من التأويل اللازم للوصول إلى رب الأرباب وملك الملوك الله الحي القيوم.

وإن الكلام إنما يأتي بالتلقي فهو صوتياً، لذلك ذكر سبحانه وتعالى في كتابه السمع دائماً قبل البصر، فالتأثير الأول صوتياً فقال سبحانه:

(**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**) سورة المؤمنون 78.

وقال سبحانه (**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ**) سورة البقرة.

فلابد لمن يسمع أن يتأثر ومن ثم يعقل وإلا عقله هو حتفه، فكلام الله أولاً سمعياً.

وقال سبحانه (**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ**) سورة المائدة.

يخبر سبحانه عن النصارى وخصوصاً في النجاشي والقسيسين الذين وردوا المدينة فدعاهم رسول الله ﷺ وقرأ عليهم فلما سمعوا بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي وأخبروه خبر رسول الله وقرأوا عليه ما قرأ عليهم فبكى النجاشي والقسيسون وأسلم ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه وخرج من بلاد الحبشة يريد النبي ﷺ فلما عبر البحر توفي فنزلت الآيات.

فكل هذا كان من تأثير سمع كلمات فقط!!

فالتأثير الأول صوتياً ثم معناً للحروف وتأويل ومن ثم الأسماء ثم مدلول على تلك الحروف أو الأسماء أو الكلمات وأخيراً كتابةً.

قال تعالى (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) سورة النمل آية 6.

وهذا الإلقاء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولآدم أيضاً (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**) سورة البقرة آية 37.

وهذه الكلمات قالها آدم لربه بعد ذنبه من بعد ما تلقاها منه سبحانه ولكنه كان قد تعلمها من علم الأسماء من قبل وعلم أن الله (**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) سورة البقرة آية 37.

وإن الله لما علَّم آدم الأسماء كلها انتقل هذا العلم بالتوارث مع أولاده وذريته ولكنه بدأ يختفي ويضيع رويداً رويداً فليس المعلم كالمتعلم بالطبع، فأخبر الله لآدم وزوجته قبيل الهبوط:

(**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**) سورة البقرة آية 38.

فهذا الهدى هو العلم والذي سيأتي بعد ذلك للبشر بعدما يندثر من بعد آدم، وهذا العلم كما جاء لآدم بالتلقي وكما جاء للرسول تلقياً كما ذكرنا فإن الله أخبر عن الكفار:

(**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**) سورة الحجر آية.

فإن الذي نزل عليه سُمِّى بالذكر، وهذا الذكر في القرآن الكريم فقال سبحانه:

(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) سورة الحجر آية 9.

كما أن كتاب نوح وصحف إبراهيم وتوراة موسى وزابور داود وإنجيل عيسى وهي الكتب السماوية المذكورة في القرآن الكريم كلها فيها ذكر وأهلها المؤمنين بها ويعلموها هم أهل الذكر.

ولما كان أهل الذكر القائمون على تعلم الذكر ودراسته والعمل بشرائعه هم أهل الخبرة به، فعلى من أراد المعرفة والإطلاع والاقتباس على شيء من أمرهم أن يسألهم ويراجعهم. **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**.

وكل هذا الذكر إنما جاء إلقاءاً أيضاً، أي سمعاً كلامياً وحياً:

(أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) سورة القمر آية 25.

وهذا استفهام إنكار وجحود من كفار قريش، أي كيف ألقي الوحي على محمد من بينهم، بل هو كاذب متكبر يريد أن يتعظم عليهم بالنبوة.

وهذا الذكر أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكر به لما فيه من شمولية العلم والتدبر والتفكر وحسن التأويل.

فقال: **(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)** سورة البقرة.

وإن لم تعلم الذكر فاسئل أهل العلم من التابعين والأمثل فالأمثل.

وتأثير الذكر واضح جلي فكل العبادات والمناسك أوضح لها الرسول ﷺ ذكراً معيناً مناسب لتلك الشعيرة أو هذا النسك وهي وحي أيضاً من الله من تسبيح واستغفار وتهليل وحمد وإلى آخره .. فتلك الحروف والأذكار لها تأثيراً كبيراً لذلك حاول أن تحافظ على ورد قرآني يومي أو أذكار الصباح والمساء أو أكثر من أنواع التسبيح و الذكر فهي ليست مجرد كلمات ولكن طاقات كلامية روحانية قد تعلم تأويلها فيما بعد!!

فالعلم من الوحي والوحي فيه الذكر والذكر في القرآن ..

(وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) سورة يونس 109.

والوحي صوتياً كلامياً فهو له التأثير الأقوى وله طرق كلها تئول إلى الأسماء والأصوات!

فقال سبحانه:

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) سورة الشورى آية 51.

فالوحي ثلاثة أقسام اشتملت عليهم الآية: وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فالأولى هي الإشارة السريعة والتي تكون للأنبياء ولغير الأنبياء مثل أم موسى والنحل مثلاً وغيره.. والثانية من وراء حجاب: وهو الكلام بدون واسطة أو من ملك الوحي فهو الكلام المباشر من العليم إلى عباده وهذا مثل ما حدث مع الكليم موسى.

فقال تعالى: (يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي) سورة الأعراف.

وقال: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) سورة النساء. وهذا الكلام كان بدون واسطة غير الحجاب غير أن الحجاب لا يوحى، فهو مباشرة من الله لعبده.

والثالثة هي من خلال رسول الوحي وهو جبريل عليه السلام.

كل هذا العلم كان كلاماً صوتياً وعربياً أيضاً فهو الأبلغ وكما رأينا، فإن العربية تحتوي صوتيات غير موجودة في اللغات الأخرى.

وبداية العلم هو علم الأسماء الذي اصطفى الله آدم بها على جميع خلقه من الملائكة والجن والسموات والأرضين وغيرهم.

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

هذا التعليم كان وحياً كلامياً لأن آدم من البشر وكما ذكرنا فإن العلم وحياً صوتياً ولكنه له تأثير والفرق بين آدم وجميع خلق الله أن آدم تعلم الأسماء كلها والملائكة والجن وإبليس مثلاً تعلموا بعضاً من تلك الأسماء ولذلك فإن الله أمر الملائكة وهم أرفع خلق الله أن يسجدوا لآدم، ولذلك كان رد الملائكة على الله:

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) سورة البقرة.

فهم كانوا قد تعلموا بعضاً من الأسماء ومدلولاتها فقد سألهم الله أن ينبئوه بأسماء هؤلاء؟!

اختلف الكثيرون في هذا المعنى، في ماهية الأسماء وماهية هؤلاء التي سأل الله ملائكته أن ينبئوه بها، ولماذا اعترضت الملائكة أصلاً إستعجاباً على كون آدم خليفة لله في الأرض، وقد يكون قولهم على سبيل استيضاح والاستفهام والدليل قولهم **(إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)**.

فتلك الأسماء هي أسماء كل خلق الله من شمس وقمر وكواكب ورياح وملائكة وجن وشياطين و أسماء حسيَّة من صدق و كذب و حب و كره و كرم و شفقة و غيرها، وكل المفردات وأسماء الله الحسنى وكل الأسماء التي في أم الكتاب .

(وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) الزخرف 4.

وليس ذلك فحسب بل علَّمه سبحانه وتعالى كل تأويلات تلك الأسماء وتأثيرها ولكل مقام مقال، أي كل اسم مؤثر في وجوده كما سوف نذكر تأثير بعض من الأسماء بصفاتها ومدلولاتها وهذا غير التأويل الأسمى في العلم وهو تأويل الحروف!!

ولذلك سأل الملائكة بأن ينبئوه وليس يخبروه مثلاً، فالخبر هو كل ما هو قائم وموجود وغير معروف، بينما النبأ هو كل ما هو آت أو حدث قديماً وله تأويله و مازال تأثيره .

قال سبحانه (**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ**) سورة هود 100.

فإن كان من القصص والأحداث القديمة فإن آثارها مازالت موجودة باقية فيها العبرة ومنها التأويل وإلا لم يكن لها داعي لأن تحدث أصلاً أو أن تُذكر في القرآن من الأساس، فهي ليست مجرد قصص تسرد!!

وقال سبحانه (**كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا**) سورة طه 99.

وهنا جمع واضح بين النبأ والذكر والإشارة هنا فى سورة طه إلى قصة سيدنا موسى وهي أكثر القصص ذكراً في القرآن الكريم والمراد ما قد سبق من الأحداث الماضية وعلى كل من هو على شاكلته من القصص، فكل هذه القصص مازال تأثيرها موجوداً بيننا سواء رأيت ذلك أم لم تره وهذا هو المراد من ذكرها فى القرآن الكريم!

فالنبأ هو كل ما له تأويل قديماً كان أو حديثاً، فإن كان قديماً سيكون له تأثير أو تأويل أو عبرة مستقبلية معروفة كانت أولاً، وإن كان حديثاً فهو ما سيكون:

قال سبحانه (**فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) سورة الشعراء.

وهو خبر عن المشركين لما اتهموا الرسول تارة بأنه مجنون وتارة بأنه شاعر فأنزل الله آيات سورة الشعراء تخفيفاً على النبي ﷺ وبعدما تحقق تكذيبهم وثبت عليهم فإنه سوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزئون به من كلام الله وهو تأويل أعمالهم وتلك الأنباء هي العقوبات العاجلة والآجلة سواء كانت فى الدنيا أو الأخرة.

والتي لم تأتي لهم بعد ولم يعاينوها، وذلك لأنهم لم يعرفوا حقيقة أعمالهم ولا تأويل أفعالهم وأقوالهم، فتأويلها إما في الحياة الدنيا أو في الحياة الآخرة كما قلنا..

فقال سبحانه: (**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**) سورة الأعراف 53.

فهذا تأويل الأعمال الضالة والتكذيب بالحق إما عن قصد أو عن جهل تأويل الذكر الذي جاءهم من الرسول ﷺ أو العلم الذي جاء به، فآلت أعمالهم إلى ما عملوا فالجزاء من جنس العمل وهو غاية التأويل ومن جنس الاسم أيضاً!!

قال سبحانه: (**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**) سورة يونس 39.

فتأويل أعمال وقول هؤلاء لم يأتي بعد وهي تأييد للآية التي قبلها والتي ستكون يوم القيامة وكذلك فعل من قبلهم من الأمم ولكنهم كانوا أشد علماً وعناداً فكان عذابهم أشد صنوف أنواع العذاب المختلفة ومن جنس علمهم و عملهم!

فإن أهوال يوم القيامة وكل حادثة فيها تئول إلى أمر من أمور الدنيا، وكل إحساس خوفاً كان أو اطمئنان فهو من أفعال وأقوال الحياة الأولى، فالذي أحس بخوف مثلاً في مكان ما وقت الحساب فسيأتيه تأويل هذا الخوف وقد يكون بسبب شرك ما أو معصية ما أو أنك إذا رأيت ظلاماً مثلاً فى موضع ما فسيأتي تأويل هذا الظلام بامتناع عن خير أو ترك فريضة وإلى آخره، وعلى الجانب الآخر فإن الأنبياء هم الصفوة لديهم مصادر العلوم وهو النور الأسمى فلهم درجات مختلفة وتأويلات نورانية في الآخرة هم ومن معهم العلم من صفوة الله من خلقه فقال سبحانه: **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)** سورة المجادلة.

وتلك الدرجات بسبب تأويل الأعمال والأقوال والذكر ولتأويل العلم أيضاً وهو الذي فُضِّل به آدم على كل خلق الله، فكان تأويله رفع درجات قبل هبوطه الأرض وبعد نزوله ومنازل في الآخرة يوم وروده.

وإنك قد تجد نوراً مثلاً في مكان ما يوم الحشر ويأتيك تأويله بسبب تلك الصدقة أو تلك الفريضة، أو أنك تجد راحةٍ ما فتأتيك تأويلها بأنها بسبب امتناع عن معصية أو شرك ما وهكذا... وهذا من التأويل الذي قد تعلمه في الحياة الدنيا ولكنك لم تعاينه بعد حتى وإن علمته ولكنك سوف تجد دلائل كثيرة عليه في حياتك وفي معاملاتك اليومية فهي من التأويلات القريبة لبرهان تلك الأعمال والأقوال، وهذا غير التأويل المستقبلي الذي قد

تعلمه مسبقاً من العلم وقد تعاينه وتراه مثل تأويل يوسف لصاحبي السجن فهو تأويل أحاديث خالص كلها الأسماء فقط فيوسف من الأولين والمئولين.

قال سبحانه: **(وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** سورة يوسف 36.

أي أخبرنا بما سوف تئول إليه أحلامنا ومفرداتها وأسمائها وهو التأويل الذي سوف يأتي فاستخدموا لفظ "نبئنا".

فرد عليهم يوسف عليه السلام **(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي)**.

ربط بديع في الآية بين "نبأتكما" و "تأويل" و"علمني" وهي بلاغة من يوسف الأوَّلى والقرآن الكريم فالنبأ بتأويل الأسماء والأحاديث قبل أن تحدث وهو ما تعلمه آدم وليس علم الغيب فهذا لا يعلمه إلا الله عالم الغيب والشهادة ومثل هذا ما حدث مع موسى والخضر أيضاً.

(قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) سورة الكهف.

وهو تأويل أفعال حدثت في الرحلة ولها تأويلان، تأويل قائم وتأويل قادم للأحداث ..

لكنه استخدم "أنبئك" مع التأويل لاستمرارية التأثير لما فعلوه!

وهذا ما سأله الله ملائكته من "أنبئوني بأسماء هؤلاء" فتلك الهؤلاء أو المعروضات أو الموجودات إنما هي تأويلية، أي أشياء مئوَّلة بسبب أسمائها وتأثيرها وهذا الذي لم يتعلموه ولكن تعلمه آدم فكان أجدر بالسجود له وبخلافة الله في الأرض.

فآدم تعلم الأسماء كلها بتأويلاتها وعلم ما ستئول إليه الأسماء من أحداث ومفردات وتأثيرات ومتغيرات وأهوال وأحوال.

وكل ما تعلمه هو الأسماء والكلمات والتي ذكرنا أن القرآن الكريم يحتويها جميعاً، بل إن القرآن الكريم أيضاً يخبرك بعلم التأويل وكيفية تأويلها وتأويل حروفها ولكن يؤتيه الله لمن يشاء من عباده.

لذلك فإن وقع تأثير القرآن الكريم على البشر كبير بل حتى على الجماد والموجودات، لأنه الأصل قبل وجودهم، فالقلم قد كتب كل شيء بأمرٍ من الله قبل خلقهم، لذلك قال تعالى:

(لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) سورة الحشر 21.

فالتصدع هو التفرق بعد التلاؤم، وهذا تأثير القرآن العظيم بما يشمله من حروف و مواعظ وحقائق ومعارف وعلم وتأويل وكلام من الله الكريم على الجبل وما فيه من غلظة وكبر و علو، فإنه سوف يتأثر متفرقاً من خشية الله سبحانه وتعالى.

كلمات مرئية بعضها جنب بعض، ولكنها من العليم فهو أعلم بمصادرها ومآلها ولذلك تحد الله سبحانه وتعالى الثقلين الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولكنهم لن يستطيعوا.

قال تعالى: (**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**) سورة الإسراء 88.

والظهير هو المعين، فلو أعان بعضهم بعضاً على أن يأتوا بمثله في ترتيبه وفصاحته وبلاغته وصفات الكمال فيه فلن يستطيعوا وهذا من وجه، والوجه الآخر أنهم لن يأتوا بمثله لأنه قبلهم فالكلمات قبلهم وتئول لما بعدهم بينما هم يعلموا لما يعاصروا فقط أو بعضا من الأسماء وهذا هو كمال التحدي والإعجاز ولذلك لن يستطيعوا ولو اجتمعوا سوياً!!

وهؤلاء هم من لهم الحساب، الإنس كانوا أو الجان، فكما خلقهم الله مختلفين، فإن منهم من استعان بالآخر ليكسب ما ليس له به علم.

فكانت الأسماء والكلمات والعلم نفسه للبشر ممن اصطفاهم الله سبحانه لهداية الإنس والجن معاً فهم خلقوا للثواب والعقاب.

وقال سبحانه: (**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**) سورة الجن.

فالقرآن والذكر جاء لهم أيضاً للحساب في يوم القيامة ونهاية التأويل، فالرسل كانوا من البشر والذين ورثوا العلم أو جاءهم الوحي أو اصطفاهم الله من بين خلقه ومن آمن من الجن أنذر قومه ولكن لم يوحى إلى الجن، فالأصل في الجن الفسق، غير آدم الذي تعلم الأسماء وآمن بالله.

قال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) سورة الأنعام 130.

فالجن والإنس جاء لهم رسل ينذرونهم يوم القيامة وتأويل أعمالهم في الدنيا، ولكن أكثرهم لا يعلمون، فكانت العاقبة..

قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) سورة الأعراف 179.

فكثير من الجن تأويلهم إلى النار وعاقبتهم معروفة فإبليس منهم وهم خلق من النار أصلاً، ولذلك أشبه وأقرب أن يكونوا إليها في الرجوع في النهاية، ومن تأثير اسمهم كان منه الفسوق ولذلك ذكر الجن قبل الإنس فى الأية فى ولوج جهنم أى دخولها!.

قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ...) الكهف.

فإبليس كما معلوم كان من أعبد خلق الله وكان طاووس الملائكة وكان بينهم، ولكنه كان من الجن وكما قلنا فإن الأسماء بتأويلها خلقت وكتبت قبل الخلق، ولذلك فإن تأويله ظهر و طغى عليه ففسق واستكبر بالنار التي خُلق منها ومن تأويل اسمها أيضاً ولذلك

كثير من الجن مصيرهم لتأويلهم النار ولأن بعضاً من الإنس اتبعهم فإن مأواهم مثلهم، فاتباع الإنس للجن هذا غير العادة، فالأصل سجود أعلى الخلائق لآدم ملائكة وجاناً ولكن إبليس استكبر وأبى فأصبح عدواً والجن كانت من الخلق الدنيوي غير الملائكة أرفع الخلائق، ولذلك فإنه مهما تتغير المكان فإن تأويل اسمك وتأثيره سيأتيك، وهذا ما حدث مع إبليس ولذلك فإن فى الجنة تتبدل الأنفس وخصائصها لتناسب المكان والخلود.

فاتباع الإنس للجان ليس أصل القصة ولا مبدأ التأويل ولذلك قال سبحانه وتعالى:

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) الجن.

فهم خلقوا قبل آدم من نار ولهم ذرية، ولهذا كان من أسباب استكبار إبليس للسجود أيضاً، وهذا ما شعر به الجهلاء من القوم بأنهم حديثين عهد بالجن، فهم أقدم وأعلم من البشر وهذا من جهلهم فاستعاذوا بهم، فكان الرجل إذا ترك الوادي في سفره ليلاً قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه بالإضافة إلى الاستعانة بهم في الكهانة ومعرفة الأخبار ولكن لأن هذا عكس التأويل والتسخير فإن هذا زاد الإنس ذلاً وطغيانا وتعباً وخوفاً وغشياً!!

لذلك بنزول القرآن الكريم وبعثة محمد ﷺ فإن استراق السمع الذي كان يفعله الجان منع، فإنهم لما سمعوا القرآن وكلامه من النبي ﷺ فإنهم طلبوا السماء كما يفعلون.

قال تعالى: (**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا**) سورة الجن.

فوجدوها ملئت حرساً من الملائكة وشهباً وهي النجوم المحرقة لكى لا يسترقوا السمع، وتساءلوا لما فعل ذلك فقد كان مباحاً من قبل وتساءلوا هل هو شرٌ أراده الله لأهل الأرض أم خير؟!

قال تعالى: (**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**) سورة الجن.

فبعد القرآن كان منهم الصالحين ومنهم ما دون ذلك فتفرقوا وهذا من وقع كلمات القرآن الكريم فهو كذلك يفرق الحق عن الباطل فهو الفرقان.

ولأن القرآن الكريم هو الحجة البالغة والعلم الأخير فكان الرسالة الأخيرة للجن والإنس وكما ذكرنا فلا ينبغي للإنس الاستعانة بالجن ولو منهم الصالحون فهذا خرق للتأويل ولكن الحياة الدنيا غرت بهم.

فكان مآلهم يوم القيامة إلى ما ذهبت إليهم أعمالهم في الدنيا وامتناعهم عن السمع والفهم لآيات الله وسننه في الكون.

قال تعالى:(**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**)الأنعام 128.

وكما لا يجوز للإنس الاستعانة بالجن فإنه لا ينبغي للجن أيضاً أن تسخر للإنس وهذا لم يحدث إلا مع النبي سليمان عليه السلام بأمر من ربه ولكن بسبب دعوته التي سبق بها الناس أجمعين

قال تعالى: (**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**) سورة ص.

وهذه الدعوة إنما كانت لسليمان فقط عليه السلام، حيث أن الجان ليس من المفترض لهم معاونة الإنسان، فإن إبليس منهم وقد أقسم بالله أنه سيتفرغ لإغواء وإضلال الناس أجمعين.

قال تعالى: مخبراً عن إبليس: (**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**)

فهذا القسم والاستثناء ما هو إلا عن علم إبليس بحال آدم من علم وضعف في الوقت نفسه، فالكل ضال إلا من عصمته وأخلصته لعبادتك وأورثته علم أبيه فإني لا أقدر عليه وعلى إضلاله، فهو على علم أن علم آدم سيوَّرث لأنه خليفة في الأرض وليس لأحدٍ الخلد إلا الله فالكل هالك، فبدأ بإخراجه من الجنة ليشقى هو وذريته ولكن هو الحال من حب الله له واصطفائه من سائر خلقه فإنه أعطاه ما يستطيع العودة به مرة أخرى هو وذريته وهو العلم والحب والذي تكفل الله لتوريثه لذريته من بعده .

قال تعالى: (**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ**) سورة الحجر.

فالكل منه وإليه فكما أنه سبحانه يُحيي فهو يُميت ويرث الأرض والسماء وما فيهما ويورث ما أراد من الفاني إلى الحي وهكذا، كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فهو الوارث سبحانه وتعالى من قبل أن يتخلق الخلق ومن بعد أن يميته.

كما أنه أخبر سبحانه وتعالى أنه سيورث الجنة لعباده الصالحين مثلما قال تعالى في سورة المؤمنون حتى (**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) سورة المؤمنون.

فسبحانه سيورثهم ما خرج منها أبيهم، ومن يقول أن آدم لم يكن في الجنة السماوية فهو واهم وإلا لم يكن ليقول اهبطوا منها ولم يكن ليقول أولئك هم الوارثون.

وكما جعلهم يرثون بعضهم بعضاً علماً ومالاً وجيناً، فهو كذلك الوارث يرث الأرض وما عليها ويورث ما يشاء من عباده لمن يشاء أيضاً من عباده.

ولكن الله الوارث جعل في العلم أسرار، منه ما كان في السر المتوارث!!

❁ ❁ ❁

السر المتوارث

قبل الخوض فى هذا السر الدفين، وجب عليك أن تعلم أن هناك علم الآن يسمى علم الوراثة أو الجينيتكس (GENETICS)، وهو العلم الذي يدرس الموروثات وما ينتج عنه من تنوع الكائنات الحية، فتحدث الوراثة في الكائنات الحية عن طريق سمات منفصلة تسمى الجينات.

وكان غريغور مندل أول من لاحظ تلك الخاصية من خلال دراساته لنبات البازلاء، حيث تمتلك كل نبتة منفردة نسختين من كل جين (موروثه) من كلا الوالدين وحيث تمتلك الكائنات الحية آلاف الجينات التي تنقسم بشكل مستقل عن بعضها بعضاً أثناء عملية التكاثر الجنسي للكائنات الحية وتتفاعل عادةً الجينات بطرق مختلفة تؤدي إلى التأثير على نفس السمة.

هذا التوارث في الغالب جاء لصالح الإنسان فإن الأصل الذي جاء منه صالح، فمعه العلوم جمعاء وخطأ واحد وهو الأكل من الشجرة وقد تاب الله عليه منها، ومنها بعض من الصفات الشخصية كالنسيان والجحود والذي توارثتها أبنائه وذريته من بعده.

وهكذا التوارث فقد تورث ما هو صالح وقد تورث ما هو طالح، فمثلاً النسيان فإن آدم لما نسى نسيت ذريته من بعده كحديث الرسول ﷺ نسى آدم فنسيت أمته وجحد آدم فجحدت أمته.

وقال تعالى: **(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً)** سورة طه آية 115.

ولكن مع هذا فإنك سترث التوبة والعودة إلى الله وترث العلم والإيمان، فالإنسان مولود على الفطرة، وغير هذا وذاك فإن سترث علم الأسماء ولكن كيف؟!

إن آدم لما علمه الله الأسماء ووضعها في قلبه وعلمها وأدركها وعلم تأويلها وكان نزوله للأرض عقوبة وتأويلاً أيضاً، فإن هذا العلم بدأ يندثر ويضيع بعضه وينتقل بعضه فورَّث آدم ذلك لأبنائه، وإن من أبنائه الذي قتل فكانت ذريته ضالة فأصبح الضلال أكبر من الهداية فبدأ إرسال الرسل مع الوقت وكلٌ معه جزء من هذا العلم ورسالة أو كتاب وبدأ الكتاب تتوارثه الأمم.

قال تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ)** سورة غافر.

فهذا التوارث مع التوارث الذي من الوالدين ومن الأب الأول آدم كان عاملاً قوياً مساعداً على أن تورث الجنة في النهاية وأن تعود إليها مرة أخرى، و لهذا قلت إن الإحسان للوالدين ليس شكرا فقط على جراء تربيتهم لك و أنت صغير و لكن أيضا لحملهم الصفات و الأسماء التى تحمل لك الإستقرار فى الأرض والتى تعينك على الحياة وتساعدك على العودة للجنة أيضا!.

و كما ذكرنا فإن آدم معه علم الأسماء والذي تورَّث فما الذي ورثته أنت وأنت لا تعلم؟!

كما علمت أن الله اصطفى من عباده الأنبياء والأولياء والملائكة وغيرهم وسنفرد ذلك في باب الاصطفاء.

ولكن هذا الاصطفاء صحبه توارث العلم وإن العلم هو علم الأسماء وعلم الأسماء جاء من المنبع و الأصل و هما الأسماء الحسنى!!

بدء الخلق مع آدم ثم إدريس وهو أول نبى للبشرية ثم نوح والطوفان وهلكت البشرية ثم إبراهيم عليه السلام والذي هو أبو الأنبياء.

فبعدما غرقت الأرض كانت الحاجة لمصدر إيمان ودين للناس، فاصطفى الله إبراهيم وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين، ولذلك جعله أبو الأنبياء فكل الأنبياء من ذريته عليه السلام.

كان لإبراهيم عليه السلام حظاً من الأسماء غير النبوة والكتاب الذين أتاهم الله إياه فأخبر سبحانه وتعالى عنه أنه ....

قال تعالى: **(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ)** سورة هود.

فإن من الأسماء التى ورثها: حليم، فهي أول اسم من الأسماء وصف به، فذلك الاسم بالطبع هو الذي سيورثه أولاً وهو الاسم الأكثر تأثيراً فيه و فى ذريته .

قال تعالى: **(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)** سورة التوبة 114.

فشفقته بأبيه و هو على الكفر نابع من تأثير الإسم عليه و لكن لما أيقن أنه عدو لخالقه تبرأ منه .

ولما كان كذلك ودعا ربه بالذرية ليورث ما ورثه.

قال: (**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ**) سورة الصافات.

وهو إسماعيل عليه السلام جد العرب فأول ما ورث من أبيه هو اسم الحليم، وهذا قبل النبوة والرسالة وغيره وهذا أولاً، فبتلك الصفة عاش وحسن ذكره، وهي التي أورثها للأمة أيضاً من بعده، فتميز العرب بالحلم والرحمة فاهتموا بالعبادة ومناسكها من صلاة وصوم وحسن خلق وغيره، بينما كان أخوه إسحاق "عليم" وسيأتي ذكره إن شاء الله.

فكثر تأثير الاسم في العرب فتجدهم مستكينين فيهم الرحمة والرأفة فيما بينهم،لا يميلون للحروب مثلا و الإستعمارات ولا الشغب و لا الصراعات، ولكن العجيب الآن أنك تجد فيهم أغنى البشر في العالم وأفقرهم في نفس الوقت ونفس البلد والقرية أيضاً ولذلك فإن الأمة في ضياع لتخليهم عن تلك الصفة فكثر فيها القتل والبطش والفقر والجدال لتخليهم عن سبب نجاتهم وسعادتهم و تفوقهم و ريادتهم .

وقال الله تعالى أيضاً عن إسماعيل عليه السلام.

(**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا**) سورة مريم 54.

ومثل ذلك لم يورث إلا لنبي بعده وما جاء نبي بعده إلا خاتمهم محمد ﷺ .

فعند أبي الحسماء إذ قال بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم تذكرت ذلك بعد ثلاثة أيام، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: "يا فتى لقد شققت علىّ، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك"!!

وهذا قبل أن يُبعث صلى الله عليه وسلم، وإنما ذلك كان لتأثير توارث الصفة من جده عليه السلام.

وكان لإبراهيم عليه السلام بُشرى أخرى بابنه إسحاق من بعد ابنه إسماعيل، ولكنه اختلف معه في الاسم الأكبر الذى يحمله وورثه و لكنه منه أيضا، فكانت البُشرى تلك المرة بغلامٍ عليم، و ذلك الإسم ورثه إسحاق من أبيه فى العلم بالنجوم و الافلاك و الرؤى و التأويل و ليس التنجيم، فإن إبراهيم قد أراه الله ملكوت السموات و الأرض من قبل ليكون من الموقنين.

فلما دخل عليه ملائكة الرحمن من أرسلوا إلى قوم لوط جاءوا وبشروه فقالوا (**قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**) أي لا تخف إنا نبشرك بغلام عليم، وفي موضع آخر:
(**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**) سورة الذاريات 28.

ولذلك جاء هذا النسل من ذرية إسحاق لديه من العلم الكثير ومنهم يعقوب والأسباط ويوسف وداود وسليمان وهارون وموسى وغيرهم، ولعلك تجد أيضاً الآن بني إسرائيل واهتمامهم الدائم بالعلم والعلماء فتجدهم يبنون الجامعات ويهتمون بالأبحاث و الإكتشافات و المعارف لعلمهم أنه بتلك الصفة وهذا الإسم سيسيطرون ويهيمنون وهي صفة متوارثة لابد والاهتمام بها فهي سبيلهم وهم يعلمون ذلك.

و جاء من بعد إسحاق يعقوب عليه السلام ولكنه زيد عليه من الاسم المتوارث اسم الحكيم، فكان الاسم الذي له ويدرك به ويعلو "العليم الحكيم".

قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) سورة يوسف 6 .

وهو قول يعقوب عليه السلام لابنه يوسف وذكر في نهاية الاسم الذي له في الوراثة وفي العلم والنجاة وهي نعمة كما ذكر كانت لأبيه وجده من قبل وقد جاءته بالاجتباء، والاجتباء هو الجمع أي جمع له من الرسالة والعلم والإخلاص والاسم الموروث.

وتلك الأسماء تكون عوناً لك في جميع الحالات، سواء حالات الضيق أو الرخاء، فإن يعقوب لما أخذ يوسف وهو عزيز آن ذاك أخوه بنيامين من إخوته رجع إخوته إلى أبيهم وقالوا له أنه أُخذ منهم أخاهم فلم يصدقهم فقال:

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) سورة يوسف 83.

وقد كان في نهاية القصة، فقد أخبر الله عن أنه ذو علم وهذا العلم قد يكون بيِّن ظاهر أو خفي، فالأهم هو أن تعلمه و توقن به.

وتلك الأسماء كما قالها يعقوب ليوسف في صغره فإنها انتقلت إليه هو الآخر وذلك بالتوارث، فيوسف أخبر الله عنه أنه أتاه حكماً وعلماً وذلك عند بلوغه.

قال تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(22)) سورة يوسف.

ويوسف عليه السلام هو النبي الوحيد الذي قال عن نفسه اسمين من الأسماء وذلك لملك مصر حينما أراد يوسف أن يحمى مصر من المجاعة و ليوليه على خزائن الأرض فقال له.

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) فأضاف اسم حفيظ لإسم العليم الذي لديه ليناسب المقام غير أنه يمتلكه أصلاً من جملة الحكم والعلم.

وفي نهاية القصة وكما بدأت وانتهى تأويل الرؤيا التي رآها في صغره، فكانت البداية كالنهاية بالاسمين اللذان ورثهما من أبيه وأجداده و الذى إنتقل بهما بين المقامات من الحسد إلى العلم إلى السجن والنجاة إلى الملك و المناجاة.

قال تعالى: **(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100))** سورة يوسف.

فكان الاسمين هما الخلاص وهما سر القصة والإخلاص والعلم له ولأبيه عليهما السلام، وهذا من السر المتوارث.

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام، فداود عليه السلام من الأولين فإن الله جعله خليفة وبما أنه كذلك ومن الأنبياء فإنه يحمل الكثير من الأسماء وليس اسماً أو اسمين وليس ذلك معناه أنه أعلى شأنها أو غيره ولكنه في ذلك مميز ومُكرم.

قال تعالى: **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ..)** ص.

فإنه أوَّلى لأنه خليفة مثل آدم يحمل الكثير من الأسماء وإن كان آدم يحملها كلها.

وإن نظرنا لداود وجدنا له من النعم والآيات الكثير له وليس براهين لقومه مثلاً وذلك مثل آدم ايضاً.

قال تعالى: **(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ)** سورة ص.

فكل تلك الآيات والنعم فضل من الله عليه وكانت بما معه أسماء جليلة، وتلك الأسماء ورثها ابنه سليمان عليه السلام وأضيفت إليها أيضا.

قال تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)** سورة النمل.

لقد لاحظت أنه في الآية الأولى قال تعالى أنه آتى سليمان علماً هو الآخر مع أبيه، ولكن أضيف لهذا العلم الورث، وهو ورث الملك والحكمة والأسماء ولذلك قال عليه السلام وأوتينا من كل شيء فإنه عليه السلام كان معه الكثير من الأسماء والتي لم تؤتى لنبي لا قبله ولا بعده، فإنه حين قال: **(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)** سورة ص.

(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) سورة النمل.

فكان له ملكاً عظيماً فهو الإنسان الوحيد الذي سخرت له الجن رغماً عنهم وهذا خلاف العادة والنظام ولكن الله سبحانه وأسمائه لهم ما لهم من التأثير و الحكمة و التأويل .

وإن أردت أن تعرف أين سر هذا الملك الذي هو قطعاً فضلاً من الله، فانظر لقول سليمان لملكة سبأ والتى بها ملك الإنس والجان وتغيرت خواص الطير والحيوان ففهم قولهم فى كل زمان و مكان وليس هذا بسهل أو هين البرهان ولكن ما أتاه الله من العلم ومن علم الأسماء مكَّنه من ذلك وذلك فضلاً من رب الجنان.

قال الله على لسان سليمان لبلقيس ملكة سبأ.

(إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ) سورة النمل.

باسم الله الرحمن الرحيم، مفتاحا الأكوان واللذان بهما مَلَك الإنس والجان.

والأمثلة كثيرة في توارث الأسماء سواء فى الأنبياء أو باقى البشر عموماً و لكن ضربنا الأمثلة بالأنبياء لقوة التوارث و العلم و التأثير و المراد أنه ليس شرطاً أن تكون نبياً لترث الأسماء أو اسماً منهم من أبيك فطالما أنك من الإنس فحتماً لديك إسماً أو أكثر، وقد تكون تلك الأسماء واضحة وقد تكون خفية عنك، فأولاً انظر إلى أبيك وأجدادك وعائلتك وإن لم يكونوا موجودين فاسأل ما هي الصفات التي كانا يتميزان بها والسيرة المشهورين بها، فإن تلك الصفات تكون نابعة من جملة الأسمـــاء؟! فقد تجد الرحمة أو الرأفة أو العلم أو الحكمة أو أنهم وزراء وملوك مثلاً وقد ورثوا الملك ومن اسم الله الملك وقد تأتي صفة بصفة أخرى أو اسم يأتي بأسماء أخرى، المهم أنك تبحث في تلك الأسماء وتحددها فإنها

ستكون ملاذك ونجاتك وهي التي ينبغى أن تعمل على تنميتها فيك، فإن كانت الرحمة مثلاً فاسم الله الرحيم فانظر هل فيك ولو قليلاً من ذلك الاسم أو لا؟

فإن وجدت و حتماً ستجد فاعمل عليه وزد مثلاً من رحمتك وعطفك فساعد الفقراء وارحم الكبير واعف عن الكثير وإلى غير ذلك من مقتضيات الاسم وهذا بجانب التسبيح طبعاً بالإسم و إكثاره فى كلامك، وإن كان مثلاً العلم هي السمة البارزة فاسم الله العليم فانظر في نفسك وابحث عنه وانظر إلى كل ما يتعلق بهذا الاسم ونمِّي نفسك فيه، فاعمل مثلاً على البحث والقراءة والتأمل التفكر وغير ذلك و أعلم ان موهبتك من الله الوهاب ستكون بداخل هذا الإسم، فادعوا الله أن يزيدك منه، فإن هذا الاسم هو نجاتك وسر نجاحك وتفوقك وتميزك .

وإن كنت مميزاً مثلا فى نوعٍ ما من الفنون فإسم الله المصور، و إن كنت ممن تعطى الفقراء و المساكين فإسم الله الوهاب و هكذا ....

و كما ستدعوا الله به أن يزيدك منه، فإنك أيضاً كما قلت تسبح بإسم الله ذاك و تضيف معه من الأسماء ما يقويه و يكون بجواره كالرحمن و الرحيم، و العليم و الحكيم، و العلى و القدير و غيرهم من الأسمـــاء .

وهكذا مع كل الأسماء، فإن أسماء الله كلها خير ونجاة وعلمها لآدم كلها وذكرها كلها في كتابه الكريم فابحث عنها وانظر إلى ما ورثت وما أعطاك الله فإن لم تجد فانظر في نفسك

وإستنبطها من افعالك وسترى ما السمة والصفة التي تزيد فيك عن قرنائها فاعمل عليها وحددها من أسماء الله وادعوا و سبح بها كما ذكرنا .

وقد تكون من الأولين فتكون أسمائك بدءاً منك أنت خفية فى أجدادك وتظهر فيك وحدك دون إخوتك أو باقى الأقارب وهذا شائع بين الناس فلا بأس به إن وجدت فيك مالم يكن فيهم .

وهذا من لطف الله بعباده فهو تعالى قد اصطفى آدم من قبل والأنبياء من بعده وجرت سنته على الاصطفاء ولعله سبحانه قد اصطفاك في أمرٍ ما وقد لا تراه، والسر المتوارث أيضاً اصطفاء فهو قد اصطفى يوسف مثلاً من بين إخوته فى إسم ما أو إسمين أو أكثر وأيضاً نبيِّهِ سليمان، وكذلك أنت قد يصطفيك في أمر ويصطفي غيرك في آخر ولكن لابد وأنك ورثت اسماً أو أكثر من الأسماء و بها تختلف أحلام الناس عن بعضها وشغف العقول عن قلبها و أوضاع الخلائق عن غيرها، فلهذا حلم ما و لأخر غيره، فمنها تستطيع تحديد هدفك و هويتك و تبرع فيه و ما تتطلع إليه، فلا تعبث بوقتك و إبحث بداخلك عن رشدك، فقد خلقك الله لأمر ما وإصطفاك ورعاك، وفى النهاية فالكل ينظر إلى السماء، وإن كنت لا تدري لما أوحى الله الأوامر في السماء فإعلم أنه قد جرت سنة الله في خلقه على الاصطفاء!!

الاصطفاء

أتت سنة الله في خلقه على الاصطفاء، أي الاختيار والتفضيل وهي تكون من بين متعدد، ويكون الاصطفاء للأفضل وذلك لتحقيق المصلحة المرجوة من الاصطفاء، والاصطفاء يكون من نفس جنس المصطفى منه ولابد لإدراك المعنى والغاية من ذلك الاصطفاء، ولذلك فإن الاصطفاء في كله له معاني عدة كلها تؤدي لرب الأرباب ملك الملوك علام الغيوب.

فالله سبحانه وتعالى اصطفى من بين جميع خلقه من كان أحق بالاصطفاء وأجدر بالاختيار، فاصطفى سبحانه من الملائكة والرسل والبشر والذرية والكون والموجودات جميعها بأجناسها وألوانها واصطفى سبحانه أيضًا من الكلام والأماكن والفواكه والعبادات والنفحات والأيام والأفهام، فكل ما شمل خلقه مصطفى منه لتحقيق الغاية ولزيادة إدراك المعنى والوصول لتأويل تلك الاصطفاءات ومن ثم تجد رب السموات!

بدء الاصطفاء حينما اختار الله آدم على جميع خلقه في الخلافة على الرغم من أنه أخرها وقد يكون أوضعها بالنسبة للعلم حينها قبل أن يعلِّمه الأسماء كلها فقال تعالى: **{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ} [السجدة: 7]**.

فكل مخلوقات الله محسنة الخلق ولها مالها حتى الشياطين ولذلك وجد هذا الاستغراب حينما اصطفاه الله للخلافة في الأرض، فلم يروا المغزى من ذلك الاصطفاء ولذلك

أخبرهم سبحانه وتعالى: **{أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ} [البقرة: 33]**.

لذلك أن أول الاصطفاء هو اصطفاء الإنسان على سائر خلق الله، وإن نظرت بغير دقة تساءلت لما اصطفى الله الإنسان على سائر المخلوقات؟! ما الذي يميزه ليحظى بكل هذا الاهتمام والعناية والاصطفاء؟!

حتى إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر لعموم البشر إلا أكثرها مساوئ وعيوب في صفاته رغم خَلقه القويم والمعتدل.

قال تعالى: **{بَلْ يُرِيدُ الإنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} [القيامة: 5]**.

وقال تعالى: **{قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس: 17]**؛

وقال تعالى: **{كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَى}**

وقال: **{إِنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}**، أي جاحداً بالنعم.

وقال تعالى: **{إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر: 2]** وغيرها من الآيات، ولكن تلك ممن تصف حال الإنسان في نفسه من فساد وضلال وكفر بنعمة الله وأما صفاته الخلقية الداخلية الأولية، فإن الله أخبرنا عنها ومنها.

قال تعالى: **{وكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا} [الإسراء: 100]**؛ وقال تعالى: **{خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ} [الأنبياء: 37]**.

وخلق الإنسان من عجل، أي أن الإنسان أو آدم خلق بعد كل خلق الله في عجله يوم الجمعة ولذلك كان الإنسان محبًا للعجلة في أموره ويتعجل الأشياء وهي من الأسباب التي دعت الملائكة إلى الاستفهام بشأن جعله خليفة في الأرض، فقد جاء سريعًا وحديثًا بالنسبة لهم!

ولكن الله علام الغيوب أعلم بما يكون من هذا المخلوق الطيني الذي خلقه بيده وهي ميزة لم يدركوها آن ذلك.

قال تعالى لإبليس لما استكبر: **{مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [البقرة: 75]**.

وغير ذلك من النعم والاصطفاءات أن الله نفخ فيه من روحه وهي أعظم ما يقدم للمخلوق من الخالق، فالملائكة خلقت من نور والجآن من مارج من نار وآدم من الطين ولكن في نفخه من روح الله.

قال تعالى: **{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [ص: 29]**.

وقال: **{ثُمَّ سَوَّاهُ ونَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} [السجدة: 9]**.

وعلى هذا فإن السمع والبصر والفؤاد لازمين للروح وفهمها وإدراكها، وهي غاية لها ولذلك أتبع الله بقوله "قليلا ما تشكرون" فقليل من العباد من وصل بحواسه وفوائده إلى إدراك تأويل الروح ومعناها وهي نفخه من الله في آدم عليه السلام.

فالروح هي غاية كل شيء وهي أبلغ العلم منها خرجت الدنيا، ومنها الأوامر والوحي والكتب والقوانين التي تسير بها الخلائق.

قال تعالى: **{ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ.... } غافر.**

فالله سبحانه وتعالى لما خلق السموات والأرض ووضع فيها الأوامر، فلكل سماء أمر، والأمر من الله لا يحتاج إلا إلى "كن".

قال: **(فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ....) .**

فاصطفاء آدم لم يكن عبثياً آبداً ولكن قلة علم الملائكة وإبليس هي ما أوهمتهم ذلك، فالنفخة والعلم هما الأساس ولذلك فإن الكل مسخر لبني آدم ولكنه ترك التسخير واشتغل بالتعذير!

فبعد عصيان آدم وهبوطه وزوجه وإبليس، أوجب ذلك الاصطفاء فكما اصطفى الله آدم على خلقه وجعله خليفة في الأرض، كان لزامًا أن يصطفي أيضًا من ذريته لاستكمال الرحلة إلى يوم الوقت المعلوم والتي لا يجليها لوقتها إلا هو.

قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحًا وآلَ إِبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ} [آل عمران: 33].**

فالله اصطفى نوحًا من ذرية آدم وهو الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فكان ذلك أولى باجتباء من يستطيع من ذرية آدم وهو أول أولي العزم من الرسل، ثم كان ما كان من أمر البشر وعبادة الأصنام بعد الطوفان وغرق الإنس والجآن، فكان لزامًا باصطفاء عباداً متقين مخلَصين من ذرية نوح فكان إبراهيم عليه السلام والذي يعد أبو الأنبياء فكلهم

جاءوا من سلالته سواء من بكره إسماعيل عليه السلام والذي جاء منه رسول الله ﷺ أو من ابنه إسحاق ويعقوب ومن ثم الأسباط، فهؤلاء هم من اختارهم الله للنبوة ولإنذار العالمين فكان نوحًا أولهم بعد آدم ومحمد ﷺ آخرهم.

واتبع الله تعالى قوله: **{ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [آل عمران: 34]**.

فاصطفاهم على العالمين أي على جميع خلق الله كلهم يوم خلق الخلق إلى يوم القيامة مثل آدم واصطفاه فهم كذلك ولكن الرسول محمد ﷺ يعلوهم لأنه اصطفى وبعث رحمةً أيضًا.

قال الله تعالى: **{ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]**.

والرسل والوحي والإنذار والتبشير كل ذلك رحمةً ولكن الرسول محمد ﷺ بنفسه رحمة ولذلك قال ﷺ : "إنما أنا رحمةً مهداَة "، وهم جميعًا ذرية بعضها من بعض توارثوا العلم والرحمة والاصطفاء والاجتباء!

قال تعالى: **{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ} [فاطر: 32]**.

وهذا لقول يحتمل لأمة الرسول محمد ﷺ ويحتمل المؤمنين من كل أمة، وعلى كل فإن الاصطفاء كان للذين أتاهم الله الكتاب ثم أورث الكتاب والعلم لأمتهم والذين من بعدهم فمنهم ظالم فاسق أو ارتكب الصغائر ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، والمراد أن الاصطفاء يكون لعباد الله الذين يؤتيهم العلم الأولى والأرث للثلاثة أجناس ولا بأس بذلك.

قال تعالى: **{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: 75]**.

فإن سنة الاصطفاء في الملائكة وفي الناس فليست أمراً عجيبًا، بل هي لزامًا كما ذكرنا لإدراك المراد والوصول لرب النون والصاد!

فالله سبحانه وتعالى اصطفى من الملائكة جبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه ومن شاء من عباده ومن الناس، كالأنبياء والأولياء فالأنبياء بالوحي والرسالة والذكر والأولياء بالطمأنينة والعلم والمحبة!

فاصطفى الله من الخلق آدم ومن آدم نوح وآل إبراهيم وآل عمران.

قال تعالى: **{ومَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ولَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا...} [البقرة: 130]**.

ولذلك فسنورد فيما بعد اصطفاء الله للدين والطريقة التي يعبد بها، والتي هي من ملة إبراهيم عليه السلام، فمن اتبع غيرها فقد ذهب بالسفه، ولذلك اصطفاه الله وجعله نبيًا وخليلاً له في الدنيا!

فهذا إبراهيم عليه السلام ومن ذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

قال تعالى: **{واذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي والأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ} [ص: 45، 46، 47]**.

أي وأذكر يا محمد عبادنا هؤلاء أولى القوة في العبادة واليقين والعلم النافذ والعقل المبصر، فالله أخلصهم بصفة تذكر الآخرة دومًا بالزهد في الدنيا وتذكير الناس بها ولذلك هم من صفوة الله المصطفين للرسالة والنبوة ومعهم أيضًا إسماعيل واليسع وذا الكفل، فكلهم من رسل الله إلى البشر.

وكان الاصطفاء أيضًا من آل عمران "موسى – هارون ومريم وغيرهم عليهم السلام".

قال تعالى: **{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: 144].**

فالآية واضحة من اصطفاء موسى واختياره على سائر الناس بالرسالة، وبالكلام فهو الوحيد الذي كلمه ربه وناجاه دون غيره بدون واسطة، فخذ يا موسى ما أتيناك واعمل وكن من الشاكرين كما أوردنا سابقًا بأن الحواس لازمين لفهم الروح من الأمر وفهم العلم والتي هي من النفخة الأولى في آدم عليه السلام، فأخبره الله أن يكون من الشاكرين، أي يغتنم تلك الحواس للإدراك الكلي المطلوب ولا يكن من القليل الغير شاكرين!

واصطفى سبحانه وتعالى أيضًا من آل عمران مريم بنت عمران .

قال تعالى: **{وإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ} [آل عمران: 42].**

ولو لاحظت هنا فإن الاصطفاء ذكر مرتين في نفس الآية، إصطفاء لها ومن قبل فإن أمها ذكرت ثناء حسن ودعوة مجابة.

قال تعالى: **{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ...}** [آل عمران: 36].

كانت امرأة عمران ناذرة ما بطنها لله ولخدمة الكنيسة ولعبادة الله والتفرغ لذلك، فلما وضعت جنينها خاب ظنها ورأت أنها أنثى فقالت في يأس أنها وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى، فالأنثى لا تصلح للخدمة إذ لا تلائم الرجال ولا تلائم عادتها النسائية المسجد أو الكنيسة وقد سميتها مريم أي العابدة بلغتهم واستعاذت بالله من المطرود من رحمة الله الشيطان الرجيم.

فتقبلها الله واصطفاها من بين نساء الدنيا بطاعتها له وتقواها فكان هذا الاصطفاء الأول على كل النساء إلى يوم الحشر والتطهير كان من الدنس الذي كان في الأديان حينها، بينما الاصطفاء الثاني كان لولادتها عيسى عليه السلام فهذا اصطفاء الولادة بدون زوج وهذا اختصاص خص الله به مريم على جميع النساء وذلك أن روح القدس كلمها وظهر لها ونفخ في درعها وكذلك صدقت بكلمات ربها إليها فلم تسأل آية عندما بشِّرت كما سأل زكريا عليه السلام.

وقال ﷺ :**"كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسيه امرأة فرعون وإن فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".**

وقال ﷺ : "خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسيه امرأة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد".

فلاشك أن مريم بنت عمران هي أفضل من جميع نساء العالم إلى يوم الساعة، فالملائكة أوحت لها وبشرتها كسائر الأنبياء من الرجال، وصدقت وقننت لله وحملت بدون زوج فلم يلمسها رجل فالله سبحانه طهرها من كل دنس ديني ودنيوي ونفخ فيها من الروح كآدم فكان عيسى عليه السلام.

وظل هؤلاء مصطفين من بعد ما اصطفى الله الدين لعباده، فكلهم مجموعون على كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد والتسليم لرب العالمين.

قال تعالى: **{ووَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ويَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [البقرة: 132]**.

وهذه التوصية هي "أسلمت لرب العالمين"، إخلاص العبادة والتوحيد لله، فأمرهم بها وعهد إليهم بذلك، وكذلك وصى بها يعقوب نبيه، أي ألزموا هذا الدين ولا تفارقوه حتى الممات، فلا يدري المرء متى تأتيه ساعته ليلاً أو نهاراً، فوعظهم بالموت مع وصيته بالدين.

فهذا الاصطفاء هو ما عليه كل الرسل من أولهم لآخرهم وهو مختار من الله، فإنه تعالى لم يرضى أبداً لعباده الكفر وكان من الممكن أن يتقرب عباده إليه بغيره من مخلوقاته ولكن لا يرضى الله ذلك لهم، فالكائن أنهم أعلم المخلوقات به سبحانه ولكنه ترك لهم الاختيار لا الإجبار، وعلى أساسه اصطفى هو أيضًا سبحانه من بينهم من يذكرهم به لتكون الحُجة كاملة بينهم.

قال تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 59].

وعليه فإن الاصطفاء سنة كونية اختارها الله من بين سنن كثير لنتعلم منها، ونستفاد بها ونجعلها فكراً نسير به في حياتنا الدنيا، فالحياة قصيرة جداً، تمر الساعات ولا تشعر بها والأيام ولا تدري فيما ذهبت، أصبحنا في دنيا الزخم، الزخم المعلوماتي والبشري والاجتماعي والعلمي والكلامي وغيره..

فهناك الزخم المعلوماتي، فالمعلومات والمعارف التي نراها لا تعد ولا تحصى، أبحاث هنا وهناك ومطبوعات لا يكفي فوق العمر عمراً لقراءتها، موضوعات شتى وأفكار لا نهائية.

والزخم البشري والاجتماعي، فأصبح العالم كقرية بل كغرفة صغيرة يطل منها الكل على الآخر، أناسًا هنا وهناك وأصدقاء قدامى وجدد، بل سهولة الحصول والتعرف على بشر من كل أنحاء العالم في وقت قصير.

والزخم الكلامي وانتشار مختلف الألفاظ واللهجات منها الجديد المزيف ومنها القديم المنتهي، وفي كل وقت وفترة تجد مجموعة من الكلمات والألقاب لا تعلم لها أصلاً ولا فصلاً تطلق على الناس أو يطلقها الناس في الهواء لا يدروا لها بالاً، هذا بجانب انتشار تعلم اللغات المختلفة والتي دخلت ألفاظها وصوتياتها مع العربية فتجد الجملة يتخللها بعض الكلمات الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات، فكل هذا الزخم الذي يحيط بك من البشر والمعلومات وحتى العلوم لابد له من انتقاء واصطفاء.

كقوله ﷺ: **"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع".**

فكل ثانية تفوت لا تعود، فماذا أعددت لليوم الموعود؟!

آلاف الكتب في الفن والموسيقى والأدب الإغريقي والنحت والرسم وتاريخ كذا وكتب تاريخ كذا، فكل هذه الكتب وكل هذا الزخم ماذا يفيدك؟!

ما وقعه وتأثيره عليك حتى لو يحتوي على زخم معلوماتي هائل، ما الوقت الذي لديك ليضيع في مثل هذه الموضوعات التي لا جدوى منها، فما تبحث عنه أعمق وما خلقت له أسمى وما تقرأ فيه أشمل، فانتقى كما انتقيت، فالله اصطفى لك الدين وهذا لأنك خليفته في أرضه، تحكم وتأمر وتنهي والكل مسخر لك بين يديك، أنزل لك الأسماء والعلم وجعل لك التوارث لتظل الخليفة.

كما أنه سبحانه وتعالى اصطفى لك من الزمن فجعل لك أوقات تجتهد فيها وأخرى لا تجد فيها، فاختار شهر لنزول القرآن ومن الشهر ليلة، ليناسب العلم الذي نزل هذا الوقت وإلا لما ذكر وقت نزوله فكل مصطفى له ماله من الصفا، فخذ الفكرة والعبرة من كل مصطفى، لتعلم الخير والعلم بالوفا.

فمن علم أدرك ومن أدرك ملك الدنيا وفاز بالآخرة، ليس مثله كمن لا يعلم وإن أخلص.

قال تعالى: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [الزمر: 9].**

وسوف أطلعك على خلصت له من اصطفاء الله في خلقه لتبلغ التأويل منها وكما رأيته أنا، لتستنبط منه ما تراه أنت بعينيك فقد ترى ما لم أره وتعلم ما لم أعلمه، فهو ليس بالشامل ولا متكامل ولا الأصدق ولا متماثل، فهو رؤية لها مالها من الدقة وعليها ما عليها من الخطأ والنسيان وعلى كل فإنه يكفيك من ذكر من الاصطفاء هو أنك من المصطفين كأبيك آدم أبو البشر أجمعين.

فاصطفى الله من بين خلقه البشر، فلهم العلم والنَشر.

ومن الملائكة جبريل، ملك الوحي والتنزيل، ومن الرسل محمد فهو العاقب والحاشر والأحمد ﷺ.

ومن الأمم المسلمين فاصطفاهم على الناس أجمعين، ومن قبلهم بني إسرائيل فأرسل لهم موسى وأوحى إليه من دون جبريل.

ومن الكتب الفرقان، فهو للحق والباطل فرقان، ومن الفرقان القرآن فهو علم كل زمان ومكان.

واصطفى سبحانه من بين أسمائه الرحمن ومن التسبيح سبحان.

ومن الضوء النور فالله نور على نور، ومن النور القمر ومن الزرع الثمر، ومن الثمر الشجر والشجر يحتاج للغيث والمطر.

ومن الكواكب الأرض ومن العبادات الفرض.

ومن الوقت الزمن، فسبحان من ليس له إحداث ولا زمن، واصطفى من الشرب الماء واللبن ومن الندم الدمع والثمن ومن الفقد الشجن ومن المعادن الحديد الذي أنزله فيه بأس شديد، ومن الإنذار الوعيد لتعيد الفكر من جديد.

ومن النار السموم ومن شجرها الزقوم، والعذاب جعله أليم والشيطان وصفه بالرجيم.

واصطفى من الشهور رمضان ومن قبلها ليلة النصف من شعبان.

ومن الليالي القدر فهي خير من ألف شهر، ومن الوعود النذر والأرائك في الجلوس ومن الغضب العبوس، والفجور والتقوى في النفوس.

وفي الملك طالوت وفي الطاغوت جالوت فاصطفى لهم داود.

ومن أبنائه سليمان، الذي ملك الأنس والطير والجآن.

واصطفى مصر من البلدان، أقدم حضارة في الزمان، ومكة من الربوع فإليها الحج والجموع.

والأقصى من المساجد، أول قبلة لكل ساجد، والقدس من الأمصار والنيل من الأنهار.

ومن المراكب الفلك ومن العجم الترك، ومن الجسم القلب ففيه المشاعر والحب.

وفي التمييز الألوان وفي الثواب الجنان.

ومن الأيام الجمعة ومن السيرة السُمعة، وفي النظافة اللمعة .

ومن الجبال الطور، والهدهد من الطيور ورمضان من الشهور.

ومريم من النساء وثلث الليل من المساء والهجر من الجفاء والعلو في السماء.

وفي التأويل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والخضر وداود وسليمان الذي أرسل إليهم باسم الله الرحمن، وسيدهم محمد العدنان.

واصطفى عيسى بالرفع وسير السفن بالدفع، ووصف الشيطان بالرجيم وموسى بالكليم وبالخلة إبراهيم والله هو الرحمن الرحيم.

فالله الواحد الأحد الفرد الصمد لو شاء لاصطفى ممن خلق ولد، فتعالى الله عما يقولون فليس له ند ولا شريك ولا " كفواً " أحد.

فهو الرحمن فاصطفى في الحساب الميزان والشمس والقمر بحسبان، واللؤلؤ أخرجه الجآن والبحار فيها مرجان.

ومن المناطق الطور وفي الدفن القبور وفي القراءة السطور.

ومن المساجد المسجد الحرام ونبذ في الصفات الشر اللئام، ومن أعلى البناء السطوح وفى أولى العزم نوح وفي الإبعاد النزوح.

وفي العقاب العذاب وفي الفكر الألباب وللجنة أبواب والملبس الثياب.

وفي الحرارة الأحمر وفي النفاق الأصفر وفي الزرع الأخضر.

والنمل من الحشرات والغفلة من العسرات والندم في الحسرات.

وانظر إن شئت للعنكبوت، أوهن بيت في البيوت.

وفي القرب الصلاة ومن العطاء الزكاة، والدعاء مناجاة، وفي المنع الصوم وفي الراحة النوم ومن الجمع القوم وفي العتاب اللوم.

وفي الرؤية البصر وفي التفكر النظر.

والإنس والجآن ثقلين وعمر وعثمان شهيدين وفي الملك سليمان وذي القرنين.

وفي الرحلة الإسراء ثم الصعود إلى السماء في توقيت المساء مع المحجَّة البيضاء ليرى في العلياء آيات الله في السماء.

فالله نور وفي الجنة حور بعد إبعاد الفجور ولداود الزبور ولقـارون الغرور وفي القيامة النشـور يوم يرث الله الأرض والطور ويخرج النـاس من القبـور!

وغيرها الكثير من الاصطفاءات من بين خلق الله العليم القدير، وكل تلك الاصطفاءات لها علم وتأويل وذكر توصل له سبحانه وتعالى، وتنير لك فكرك، وقد اخترت من بينهم بابين لأذكر بعضًا من تأويلهم الذي أوتيته بفضلٍ من الله وهما: الألوان، والمئولين من القرآن!

فانظر نظرة للأكوان، فإدراك الجمال من الرحمن وقد أجمل خلقها بالألوان!

الألوان

الألوان هي الصفة التي يحملها كل مخلوق أو مادة وتميزه عن غيره من المخلوقات سواء من نفس النوع أو من أي نوع آخر، وهو الذي نراه عندما تقوم الأجسام الملونة بتعديل الضوء فيزيائيًا لتراه العين البشرية.

يرجع الاهتمام بالألوان إلى القدماء المصريين الذين ألفوا وأبدعوا في استخدام الألوان الطبيعية واستفادوا منها في عمل التركيبات الألوانية المختلفة التي أبهرت العالم بتنوعها وجمالها واختلافها عن غيرها من الحضارات.

واهتم بالألوان أيضًا الفلاسفة الإغريق بالبحث فيها وتصنيفها إلى مجموعات في القرن الرابع قبل الميلاد، فأرسطو مثلاً لاحظ أن جميع الألوان لها تأثير معتم على الضوء، وهو ما أكده إسحاق نيوتن بعد ذلك في القرن السابع عشر في تجربته التي أوضحت أن اللون الأبيض يشع من خلاله الألوان الطيفية السبعة وأن جميع الألوان تعكس جزء من الألوان وتمتص الجزء الثاني.

وأيضًا العلماء المسلمين العرب كان لهم فضلاً كبيراً في اكتشاف الكثير من نظريات الضوء والألوان وأبرزهم بالطبع "الحسن بن الهيثم" الذي أسس "علم البصريات" وهو أول من فسر وشرح كيفية رؤية الأشياء عند سقوط الضوء مسببًا الإحساس برؤيتها.

لكن "نيوتن" أول من حدد أن الضوء هو منبع الإحساس اللوني وكون أول نظام لوني متعارف عليه من خلال توصيل نهايتي الطيف المرئي سويًا.

ومن بعده قام "يوهان غوته" أحد أشهر أدباء المانيا بنشر نظريته عن الألوان، كما قاما "منسل وشيفريل" في أوائل القرن العشرين بوضع أفضل الأنظمة اللونية المعروفة حتى الآن وهي تعني بتنظيم وتجسيد المقاييس اللونية للأسطح والمجسمات.

وطوَّر أيضًا "إيوالد هيرينج" نظرية اللون المضاد موضحًا أن "عمى الألوان" والصورة التلوينية يأتي من الأزواج المتضادة [أحمر –أخضر/ أزرق-أصفر/ أسود- أبيض].

وجيمسون وهورفيش اللذان بينا العملية في شبكية العين تتوافق مع نظرية ثلاثية الألوان، بينما العملية على مستوى النواة الركبية الوحشية تتوافق مع نظرية اللون المضاد.

في عام 1676م استخدم "نيوتن" المنشور الثلاثي في تحليل ضوء الشمس الأبيض إلى الألوان الطيفية السبعة والتي يمكن من خلالها الحصول على الأطياف اللونية مثل:

"الأحمر –الأخضر –الأزرق ...."

والتداخل والانحراف والإستشعاع والاستقطاب.

فاللون هو أثر فسيولوجي ينتج في شبكة العين، حيث يمكن للخلايا المخروطية القيام بتحليل ثلاثي اللون للمشاهد، سواء كان اللون ناتجًا عن المادة الصبغية الملونة أو عن الضوء الملون.

علم اللون يسمى أيضًا اللونيات ويتضمن المقدرة على الإدراك الحسي للَّون بالعين البشرية، وأصل الألوان في المواد، ونظرية اللون في الفن وفيزياء اللون في الطيف الكهرومغناطيسي، وقدرة اللون على تغيير نفسية الإنسان ودرجة تأثيرها على الحالة المزاجية له، وذلك لأن كل لون من الألوان مرتبط بمفهومات معينة وله خصائص خاصة، وعن طريق اختبارات الألوان يمكن بيان الحالات العاطفية والفكرية للإنسان.

وأيضًا علم النفس اللوني أو الرمزية اللونية التي تشير إلى استخدام الألوان بوصفها رمزاً في جميع الثقافات، ويشير أيضًا إلى تأثير اللون على المشاعر والسلوك البشري.

واللون من وجهة نظر الفيزيائيين هو إحساس ليس له وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية والإنسان منها على وجه الخصوص والمسطحات عمومًا لها خاصية امتصاص بعض إشعاعات الضوء.

فرؤية الألوان تحتاج لإضاءة معينة حيث تركز كل عين على نوع الضوء مكوِّنة صورة للجسم على شبكية العين وهذه الشبكية تغطي العين من الداخل وتمتص الضوء وينتقل إلى الدماغ بواسطة الأعصاب، وهو الإشعاع الكهرومغناطيسي.

تصدر معظم المنابع الضوئية ضوءاً ذا أطوال موجات مختلفة، وطيف المنبع هو عبارة عن توزيع لشدة المنبع عند كل طول موجي. ومع أن طيف الضوء الواصل إلى العين من اتجاه ما يحدد الإحساس اللوني في ذلك الاتجاه، فإنه يوجد العديد من ظواهر الإندماج الطيفي التي تغير هذا الإحساس اللوني.

هذا الطيف المرئي هو جزء من الطيف الكهرومغناطيسي وهو مرئي، الطيف الكهرومغناطيسي في هذا المجال من الأطوال الموجية يسمى الضوء، فالعين البشرية النموذجية تستجيب لأطوال موجية في الهواء حوالي 380 إلى 750 نانومتر.

يتوقف لون الأجسام على كل من فيزيائية كل جسم في محيطه، وخصائص إحساس العين والدماغ، ويمكننا القول أن لون الأجسام هو لون الضوء "الصادر" من سطوحها، والذي يعتمد على طيف الضوء الساقط وخصائص الانعكاس على سطوح الجسم، بالإضافة إلى التأثير المحتمل لزاوية الإضاءة وزاوية المشاهدة.

معظم مصادر هذا الضوء الساقط هي مزيج متنوع من الأطوال الموجية للضوء، حيث يمكن أن يكون للعديد من المنابع الضوئية ألوانًا طيفية بحيث لا تستطيع العين تمييزها كمنابع وحيدة اللون.

وبالمثل فإن معظم الإحساس اللوني البشري يمكن أن ينشأ من خليط ثلاثة ألوان تسمى "الألوان الأولية" وهي مجموعة من الألوان الأخرى، تستخدم هذه الألوان في توليد المناظر الملونة في التصوير والطباعة والتلفاز وغيرها.

والكائنات التي يكون لها حساسات للُّون مختلفة عن الإنسان، مثل الطيور مثلاً فإنها يكون لها أربعة حساسات مختلفة للألوان، يمكن أن تفرق بعض الألوان التي قد تبدو متطابقة للعين البشرية، وفي هذه الحالة فإن نظام توليد الألوان المضبوط وفق رؤية اللون العادية عند البشر سيعطي نتائجًا غير دقيقة بالنسبة لمشاهدين الآخرين.

شبكية العين البشرية تحتوي على ثلاث أنواع خلايا مختلفة يمكن أن تلاحظ اللون أو خلية المخروط بالشبكية، نوع منهم مختلف نسبيًا عن النوعين الآخرين، ويستجيب أكثر للضوء البنفسجي الذي نستقبله، والنوعين الآخرين متقاربين جينيًا وكيميائيًا فكلاهما يكون حساس للون الأخضر. فما تأثر العين بالألوان؟!

إن أعصاب العين تتأثر بالألوان الأساسية، وهي أصل الألوان الصافية الأخرى ولا يمك استخراجها من أصباغ أخرى: وهي "الأحمر، الأصفر، الأزرق" ومن هذه الألوان الأساسية نحصل بالمزج على الألوان الثنائية.

- فاللون الأصفر هو أول الألوان الأساسية وهو له قوة انعكاس عظيمة وينتج من عدد لا نهاية له من الدرجات اللونية والظلال.
- اللون الأحمر هو ثاني الألوان الأساسية ويقع بين الأصفر والأزرق من حيث قوة الانعكاس وإذا أضيف إلى لون آخر أكسبه توهجًا.
- أما ثالث الألوان الأساسية فهو الأزرق وهو لون قوي في الضوء الشديد كما أنه يظهر بتأثير أفتح عندما يقل النور وذلك بالنسبة لامتصاص الضوء.

الألوان الصافية هي الألوان المكونة للطيف ودرجاتها المختلفة وهي "الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي" وهذه الألوان هي الأصل للألوان الأساسية التي ذكرنا وللألوان الثانوية.

فالألوان الثانوية هي الألوان الستة القياسية وهي مركبة يتكون كل لون منها من مزيج لونين أساسيين:

- البرتقالي "مزيج من الأصفر والأحمر" أول الألوان الثانوية.
- الأخضر "مزج الأصفر مع الأزرق" وهو ثاني الألوان الثانوية ويقف وسطًا بين الأبيض والأسود من حيث الامتصاص والانعكاس.
- البنفسجي "مزيج الأحمر والأزرق" وهو ثالث الألوان الثانوية وهو أقرب الألوان ظلاً إلى الأسود، لأنه يعكس قدراً من النور.

ومكملات الألوان أيضًا، أي أن كل لون من الألوان الأساسية في دائرة الألوان له مكمل من الألوان الثانوية، ويكون المكمل ه واللون الفرعي أو الثانوي الذي يقابل اللون الأساسي في دائرة الألوان:

- اللون الأصفر ومكمله هو اللون البنفسجي.
- اللون الأحمر ومكمله هو اللون الأخضر.
- اللون الأزرق ومكمله هو اللون البرتقالي.

وهناك أيضًا الألوان الحيادية التي لا تظهر في دائرة الألوان، والسبب في ذلك أنها لم تصنف من الألوان الأساسية، وليست من الألوان الثانوية الناتجة عنها، وهذه الألوان هي "الأسود، الأبيض" ودرجات اللون الرمادي التي تنتج من مزجهما، وسُميت بالحيادية لأنها تحيد وتقترب من اللون الذي تكون كميته أكبر من الآخر عند المزج، فالأسود نشأ من

انعدام الألوان لذلك قالوا أن الفضاء أسود بسبب انعدام الألوان فيه، أما الأبيض فهو ناتج مزج جميع الألوان بكميات متساوية، فهو انعكاس جميع الألوان..

الألوان في القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: 22].

{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: 62].

فالله سبحانه وتعالى خلق الكون وقدَّره بمخلوقاته وألوانه واختلافاته مسخراً للإنسان للوصول إلى حقيقة الربوبية ولتحقيق الوحدانية.

منها ما هو سهل على العقل والنفس البشرية ومنها ما هو يحتاج للعناية الإلهية للوصول إلى تلك الحقيقة السَمية، وفي الوقت نفسه فإنك تجد لذة ومتعة فائقة في التفكير في خلق الله ومكونات الكون البهية وأنت تبحث عن الحقائق الجلية.

الألوان خلق من خلق الله في الكون له تأويل وتأويل بيِّن، وتأثير على العين التي تراه والجسم الذي يميِّزه ولم يضع الله الألوان عبثًا في المخلوقات بل لحكمة إلهية معينة وتأويل علمي واضح.

تأتي البداية بلفظة "ألوان ومشتقاتها"، فقد وردت في "سبع" آيات فقط من القرآن الكريم ولكن في ست آيات وهي الأطياف اللونية السبعة التي ذكرناها والتي مصدرها هو اللون الأبيض!

بينما لفظة "لون" مفرده، فوردت "مرتين" في آية واحدة مصاحبة للون الأصفر.

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} [البقرة: 69].

أولاً بالنسبة للفظة "ألوان" فإنها أتت للتعبير عن الجنس أي الصنف أو الهيئات وتأتي أيضًا للدلالة على اختلاف الطعم مثل:

{يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} [النحل: 69]. تفسير الطبري

** نأتي للألوان الرئيسية أولاً والتي حددها العلم الحديث وتأكدنا منها وهي :

"الأحمر – الأصفر – الأزرق".

أولاً: اللون الأحمر:

ورد اللون الأحمر في القرآن الكريم مرة واحدة في موضع واحد فقط.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} [فاطر: 27].

وورد "حمر" مقترنًا بلفظة ألوان التي تكررت مرتين في نفس الآية وبيض أي اللون الأبيض وسود إشارة إلى اللون الأسود.

في البداية أراد الله سبحانه وتعالى أن نرى ونتأمل إبداعه في خلقه في اختلاف ألوان الجبال فهي ذات طرائق وخطوط بيضاء وحُمر مختلف ألوانها، وكذلك يوجد بالجبال ما هو شديد السواد مثل الصخور والبقية فقد ذكر سبحانه وتعالى "مختلف ألوانها".

ما ذكره الله عن الجبال دليل على أن اللون الأبيض هو أصل الألوان جميعها ولكن بمرور الوقت وتأثير العوامل المناخية يحدث تغيير لوني منتظم من الأبيض إلى الحمرة

الباهته والتي تزداد تدريجيًا إلى الاحمرار ثم إلى درجة باهتة من البنفسجي ومن ثم على درجات الأزرق وبمرور الوقت يزداد التغير اللوني إلى أن يصير الصخر إلى اللون الأسود.

ويرجع السر إلى تكون اللون الأحمر أولاً هو لسهولة أكسدة وتميؤ عنصر الحديد تحت الظروف المناخية الطبيعية عن غيره من باقي العناصر، وكما ثبت من الدراسات للألوان الطبيعية وكيفية تكوينها الناشئ عن امتزاجها وتداخلها مع الصبغات الحمراء الأولية، أي أن الصبغات اللونية جميعها يدخل في تركيبها الأساسي الصبغات الحمراء الراجع إلى تحلل عنصر الحديد في الطبيعة.

ومن ما سبق وجدنا مدى قوة تأثير اللون الأحمر، وأنه من الألوان الأولية والرئيسية، ويتميز بأنه له أطول طول موجة لون ويدخل في تأثير كافة الألوان الأخرى، وبتداخل الموجات تحت الحمراء وموجات اللون الحمر فقط تنتج باقي الألوان.

وإن نظرنا حولنا في وجود اللون الأحمر وجدناه في النار والدم والشمس ويشير إلى السخونة والانصهار والانفجارات والبراكين ووقت الضحى والغروب والحميم والغليان والغضب والشياطين واللهب وجهنم والعذاب والجحيم وغيرها..

ولذلك عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم الأوَّلي استكبر وقال خلقتني من نار وخلقته من طين، ومن علم الأسماء والخصائص التي علم إبليس والملائكة بعضًا منها، علم منها اللون الأحمر وتأثيره ونفوذه وقوته فاستكبر به وبغيره ولكن نتحدث هنا عن الأحمر والحُمر ونظر إلى آدم الذي هو من طين الأرض ولم ير نفخة الله في باطنه من علم

الأسماء جميعها وأوسطها النور الداخلي!، لذلك وعد الله إبليس ومن تبعه بالجزاء الذي هو من جنس عمله وقال **{لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}** فمن استكبر بشيء عذِّب به!

فإن إبليس تحول لما استكبر بالنار وبالحمر فجعلها الله لكل متحولٍ سيء وفي حرارة الأشياء ولهيبها وهو تأويل اللون الحمر والذي جاء من تحول موضع إبليس من كرم ومكانة إلى ذل ومهانة.

{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} [الحجر: 34].

وجعل الله النار الدليل الأول على الحمرُ الأحمر ولذلك قال أيضًا:

{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُون * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ } [الواقعة: 73].

وهي للتذكرة وللعبرة لكل ذي عقل رزين وفكر متين.

فتحول الجبال من الأبيض إلى الحمر هو تحول دنيوي تأويلي لكل متحول فإن على هذه الأرض مهما بلغ عظمته وكِبره، فكل حُمر متحول والأشبه أنه يصير إلى السواد بعد ذلك كما ذكر سبحانه وتعالى الجبال.

وعن أنس بن مالك قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة ما كان يأتيه فيها "متغير اللون"، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "مالي أراك متغير اللون" فقال:

يا محمد جئتك في الساعة التي أمر الله بمنافخ النار أن تنفخ فيها، ولا ينبغي لمن يعلم جهنم حق، وأن النار حق وأن عذاب القبر حق وأن عذاب الله أكبر أن تقر عينه حتى يأمنها.

فقال النبي ﷺ : **"يا جبريل صف لي جهنم".**

قال: نعم، إن الله لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة حتى إحمَّرت ثم اوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا ينطفئ لهبها ولا جمرها...".

وحديث أبي هريرة أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُوقِدَ على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة"..

وأيضًا مثال ذلك الحجر الأسود في الركن الجنوبي من الكعبة المشرفة والذي هو بداية الطواف، فهو بيضاوي الشكل أسود اللون مائل إلى الحمرة!

روى بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "نزل الحجر لأسود من الجنة أبيض من الثلج فسودته خطايا بني آدم".

لذلك فإن ظاهر الحجر فقط سواد بينما بقية الحجر فعلى ما هو عليه من البياض.

فالتحول للاحمرار دليل معاصي بني آدم وفجورهم وكلما ازداد انتشار اللون في الأرض ازداد فسادهم ومعتقداتهم ولذلك سيكون الجزاء من جنس العمل في الحميم والنار وجهنم.

{ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم: 41].

فالجبال تتحول إلى الحمرة وهو إنذار فساد البشر وإنذار اقتراب النهايات واحمرار الأنهار بدماء الناس في الحروب والثورات وغيرها وبهتان لونها هو إشارة الفساد والقتل وكذلك خسوف القمر مثلاً و الذى يعتبره الغرب إحتفـــال بظاهرة كونية هو فى الأســاس إنذار وعيد وتحول القمر بصفته التى سوف نراها و قوته فى الجذب بلونه الأبيض إلى الأحمر القــاتم.

لذلك فإن إبليس دائمًا ما كان يهتم باللون الأحمر ونشره بين البشر المؤمنين منهم والكافرين فكما ذكرنا هو من أقدم الألوان التي عرفها الإنسان وذلك لِقدم وصوله الأرض مع إبليس حين هبوطه.

فنجد الثقافات المختلفة والشعوب اهتمت باللون الأحمر اهتمامًا شديداً، ففي الصين مثلاً يرمز إلى الحياة الطويلة وفي الثقافة الغربية يدل لديهم على الإثارة والشغف والحب بينما في اليابان للخطر والغضب والحياة، وأوضح علماء النفس أن اللون الأحمر يزيد من الترابط الأسري وصلة الأرحام لذلك الزائر لبلد آخر يمر على سجادة حمراء تعبيراً على القرب والمودة، وأوضحوا أيضًا أنه يقوي من عزيمة الشخص وقوة إرادته ويزيل الشعور بالملل والرتابة ويمنح الإحساس بالدفء ويحفز النشاط ويزيد من الفرحة.

ومن هذا الإهتمام أيضاً جذب الناس إلى كل ما هو "أحمر" بداية من عبادة الشمس، مروراً بالملابس الداخلية المثيرة مثلاً وتأييد الفرق وتشجيع العديد من رؤوس الأموال في ضخها إلى الفرق ذات الرداء الأحمر والتى تلقَّب أيضًا بالشياطين الحمر في كل أنحاء العالم والعديد من الدول وجعلها الفريق رقم واحد بين جميع الفرق مثلاً!!

هذا الاهتمام الهائل من وسائل الإعلام ورؤوس الأموال ما هي إلا أصابع إبليس في الأرض ودون أن يدري الغالبية إلى مراده وفكره.

فقال صلى الله عليه وسلم "الحمرة من زينة الشيطان والشيطان يحب الحمرة" .

ومر على النبي ﷺ رجل وعليه ثوبان أحمران فسلَّم عليه؛ فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك رأت طائفة استدلالاً بهذا الحديث بالمنع من لبس الحمرة.

فالحمرة مكروهة للرجال إلا ما اختلط معه الأبيض أو غيره من الألوان فلا بأس بها وتجوز للنساء على كل حال، والمراد من الكلام ليس المنع أو النهي ولكن لتعلم تأويل هذا اللون وتأثيره، فتأثيره على عقل الإنسان الإباحة للأفعال والإتاحة للأقوال، هو لون جالب للفساد منذر بالكساد ليس بالصواب ولا بالإرشاد.

فعصى آدم ربه وقت غروب الشمس أي وقت احمرار اللون وغيام الأرض فإن نظرت لأطرافها في ذلك الوقت وجدتها حمراء ذاهبة للسواد لذلك أمر سبحانه وتعالى: **{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ غُرُوبِهَا} [طه: 130]**.

لما في تلك الأوقات من فضائل ولما فيها من تغير أحوال طافت قبل الهبوط الدنيوي ولما آلت تلك التأثيرات ولتعلم التأويل منها وتجنب الغفلات!

ومروراً بالزمن حتى تقوم الساعة ويوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ولا نعلم كيف ستغير حالهم ولكن أخبرنا الله بأمر ما:

{فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} [البقرة: 37].

فهي ستصير في حمرة الورد، تذوب مع الانشقاق حتى تصبح حمراء من حرارة جهنم وهي نهاية فساد الأرض والتي قال رسول الله ﷺ إن الساعة ستقوم على شرار الخلق!!!

و هناك من ذكر جانب أخر للون ..

فقال (ابن زمرك الأندلسي) مادحًا:

واحمرَّ حدّ السيف من أثر الوعي فيه لمن عاداك موتٌ أحمر

والبيض عادت بالدما محمرةً وبها فلول وقعها لا ينكر

وورد في كتاب "الحيوان" ما يوحي بدلالة القوة في اللون "الأحمر"

فيقول ابن ميادة :

وعند الغَزَارى العَرَاقىَّ عارضُ كأن عيون القوم في نبضة الجَمر

اللون الثاني هو اللون الأصفر:

اللون الأصفر هو ثاني الألوان الأساسية، تم ذكرها صراحة "صفراء" مرة واحدة فقط في القرآن الكريم بينما الكلمات الدالة مثل "مصفرا، صفر" أربع مرات، فإجمالي ذكر اللون خمس مرات.

لفظة "صفراء" في سورة البقرة:

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ ولا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} [البقرة: 68]

أضيفت لفظة صفراء في الآية إلى كلمتين "فاقع" و"لونها" وللكلمتين دلالة كبيرة على المعنى، المراد من اللون، فالفاقع ليس باللون الذي تتخيله والذي يثير العين ولكن الفاقع هو الخالص الصافي ويطلق على الخالص الحمرة أو الخالص الصفرة، لذلك فإن العين تستحسنه فذكر الله تعالى أنها "تسر الناظرين" ولكن فاقع من الكلمات ذات المدلولات الكثيرة فهي اسم فاعل من فقع وفقع الشيء أي "شَقَّه" والفاقعة هي النازلة والداهية، لذلك فإن هذا التضاد في الآية مقصود وليس تضاد معنى ولكنه تأويل الأسماء ليعطي دلالة للون كما سنبينه إن شاء الله.

وجاءت "صفراء" أيضًا مقترنة بـ"لونها" والتي ذكرت في الآية مرتين.

للدلالة على أن اللون الأصفر "صفراء" من الألوان الأساسية في الوجود الكوني الذي نعيشه ومن المؤثرات الأساسية في التمييز والتعبير.

وتم ذكر لفظة "مصفراً" في مواضع ثلاثة في القرآن الكريم كلها ترمز إلى الجدب والهلاك بعد الزرع والخضر:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ} [الزمر: 21].

اقترنت مصفراً بالحطام في اثنين وبالكفر في الثالثة فهي مدخل لهم وباب استقبال للحطام أو الهلاك.

والموضع الأخير بلفظ "صُفر" في قوله:

{انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (30) لا ظَلِيلٍ ولا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [المرسلات: 30-33].

وهذا جزاء الكافرين إلى نار من جنس أعمالهم كما ذكرنا لها ثلاث شعب سميت ظلاً لسوادها بعد احمرارها كما ذكرنا سابقًا، ترمي الكفار بشرر كالقصر أو الجبال أ والشجر العظيم في حجمها كأنها إبل سوداء مشربة بالصفرة ولذلك سمَّت العرب سود الإبل صفراء وهو تشبيه عظيم له غاية تأويل كبيرة، فسبحانه وتعالى ذكر السواد مع الاصفرار في الإبل لدلالة الوصول للهلاك فالنار تكون حمراء مقترنة مع اصفرار ولا نراها أبداً سوداء لذلك شبهها بالإبل في صفرتها مع السواد، فالنار كما ذكرنا ستكون سوداء في شكلها الأخير أعاذنا الله منها.

فاللون الأصفر كما رأينا ذكر بدلالة مع بني إسرائيل وبدلالات أخرى في باقي الآيات، ولكن إن أمعنت التدقيق وجدت الشبه والتأويل، فبني إسرائيل جادلوا وشدَّدوا فشدد الله عليهم وإن كان في ظاهر اللون الجمال والصفاء فإن المراد أنها لا بيضاء ولا هي سوداء ومصيرها الذبح **(وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)** .

وهذه خاصة اللون الأصفر متناسبة تمامًا مع بني إسرائيل، ظاهرهم العلم وباطنهم الضلال والكذب وهذا هو تأويل الأصفر في الآية فإنها سرَّتهُم ولكنها آيلة للذبح، جاءت بعد عناء وتشديد ومغالاة.

وإن نظرنا إلى حال اللون الأصفر في الموجودات والمخلوقات وجدناه أكثر ما يبدو في الشمس والذهب والجمل والمرض والأسُود والرياح والأتربة والرمال والجبال وغيرها !...

كل تلك المخلوقات المعنوية منها و الملموسة وجدنا ظاهرها غير باطنها وهذا غير تأويل أسمائها الذي سوف نذكره في كل الأبواب مع الجزء الثاني إن شاء الله.

فالشمس عبدت من دون الله وهي من خلقه واتخذها عابديها كمركز للكون وهي أحد أجزائه سُخر للإنسان ليس إلا، فالنهار يظهرها ويجليها وليس العكس، والذهب جرى الناس ورائه فاستعظم وإلا فإنه كان من أكثر المعادن انتشاراً فهو يتواجد على هيئة حبيبات داخل الصخور وفي قيعان الأنهار، فكثافته كبيرة 19.3 جرام/ سم مكعب، فتواجد بكثرة عند المصريين القدماء فكانوا يضعون منه توابيت ملوكهم والعربات والحلي التي يركبونها في المقابر فهو معدن نفيس لكنه منتشر في الطبيعة، كل هذا غير تأثير اسمه عليه كما ذكرنا!.

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والْبَنِينَ والْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ والْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ والْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا واللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: 14].

فجمع حب الناس له مع كونه زينة ومع اعتبار أيضًا أن هذا الحب مزين للناس وليس حب حقيقي، فهو من متاع الحياة الدنيا الزائلة وكل من اشتملت عليهم الآية زائلون وفيهم الخواص التي تدل على زوالهم، ولمن أدرك وفطن...**{واللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}.**

وكون ندرة الذهب للهث الناس ورائه ولكنه ملئ في الأرض..

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} [آل عمران: 91].

فملئ الأرض ذهبًا له دلالاتين تأويليتين:

أولهما: أن الذهب معدن غالي ثمين يلهث الناس خلفه، فلو أن لأحدهم مقدار ما يملئ الأرض من الذهب لافتدى به ولا يبالي ولن يقبل منه حتى، وهذا يدل على أمر أخر أيضًا، أن الذهب زينة بالية ضرب الله بها مثلاً لبلائها وأن الكفار سيتركوها وهو من لونها الأصفر مثلها مثل البقرة فإنها سرَّت الناظرين ولكنها جاءت من التشديد ولونها الفاقع آلت إلى الذبح مصيرها الذي هو معلوم مسبقًا!

ثانيهما: أن الأرض بمكوناتها والذهب بخواصه يمكن أن يملأ اليابس من الأرض من خلال عمليات كيميائية معينة أو تعديل ما أو ظروف مناخية ربما أو من خلال تأويل علم الأسماء في زمنٍ معين!!

والأسد والنمور وغالبية القطط الكبيرة وعلى الرغم من افتراسها وأن الأسد منها هو ملك الغابة، إلا أنه من الحيوانات التي تروض بسهولة غير الذئاب مثلاً ذي اللون الأسود التى لا يمكن ترويضها.

ونجد كذلك أن صحف الشائعات مثلاً تسمى الصحافة الصفراء، فهي تنشر أخباراً ولكنها كاذبة والابتسامة المتكلفة التي دون شعور حقيقي فتسمى "ابتسامة صفراء".

والأمراض التي تصفر البدن وتبدو جلية في حالات الإغماء والإرهاق والتعب وما قبل الموت وما بعده، فإن ما تبدو عليه هي الشر ولكن باطنه فيه الرحمة وظاهرها العذاب والألم.

قال ﷺ : "ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها".

فهي رحمة على كل حال للإنسان وإن اشتد آلمه زادت درجته ورحمة الله له.

وقوله ﷺ أيضًا: "إن الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالحناء" وفيها قولان:

- أولاً: أنها أنموذج يدل على حر جهنم ليستدل بها العباد عليها، وأن الله قدَّر ظهورها بأسباب تقتضيها.
- وأما القول الآخر أي يكون المراد التشبيه فشبه شدِّة الحمى ولهبها بفيح جهنم وشبه شدة الحر به أيضًا وهما قولا "ابن القيم".

وبالطبع الأول أظهر وأبلغ وأحق فإن الحمى من جنس جهنم لونًا وصفًتا وتأويلاً، فالحمى من تأويلات جهنم وهي دالة عليها، كما تدل شدة الحر على نَفَسَها، أى نَفَس جهنم.

وقوله ﷺ : "فأبرودها بالماء" لأن الماء خلق منه كل شيء حي ولتأثير لونه أيضًا....!

ثالث الألوان الرئيسية هو اللون الأزرق :

من أجمل الألوان على الإطلاق وبالنسبة لي شخصيًا فهو لوني المفضل، اللون الأزرق هو الأقصر مدى للأطوال الموجية من بين الألوان الأصلية الثلاثة، وهو من الألوان الباردة ومن بين الألوان الباردة فهو من الألوان الباردة جداً.

تم ذكر اللون الأزرق في القرآن الكريم مرة واحدة فقط.

فقال تعالى: **{يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه: 102].**

والزرقة جمع أزرق وهي اللون الخاص، وقيل المراد زرق العيون لأن العين إذا ذهب نورها ازرقت وقيل زرق الأبدان من التعب والعطش الذي سوف يلاقوه يوم القيامة وقيل المراد بالزرقة هو خضرة العينين كعين النسور وهو تشويه للخلق بتلك العيون.

اللون الأزرق من الألوان المائلة للغوامق أو للقوائم غير اللون النيلي الذي في ألوان الطيف فالأزرق يميل إلى السواد، واللون الأزرق من الألوان النادرة في التراث والتاريخ فلم يظهر إلا حديثًا ولم يكن له استخدامات كثيرة رغم ظهوره في الطبيعة كثيراً.

إلا أنه في الحياة اليومية والمعاملات والفنون نادراً ما إستخدم لذلك لم يستخدموا له لفظًا أو اسمًا فكثير من الحضارات اعتبروا اللون الأزرق والأخضر لوناً واحداً واستخدموا له نفس الاسم فهو لم يكن بالأهمية القصوى لدى الشعوب قديمًا، والبعض قديمًا كانوا يتحاشون الناس ذو العينين الزرقاويين.

اللون الأزرق إن نظرنا في عالمنا ومحيطنا وجدناه في المساحات الشاسعة من المحيطات والأنهار والسماء وكوكبنا الذي يطلق عليه الكوكب الأزرق نظراً لحجم المياه فيه والذي يمثل 70٪ من مساحته.

اللون الأزرق نجده أيضًا عندما يتحول الدم الأحمر إلى الأزرق وتعني احتباس الأكسجين وفساده، ويدل أيضًا على الكدمات فعندما يتعرض الإنسان لكدمة فإنه يتحول إلى الأزرق وأحيانًا إلى الأسود.

والعيون الزرقاء المعروف عنها أنها الأضعف نظراً بين باقي الألوان الأخرى. وهناك عين الحسد الذي يستخدم لها الخرزة الزرقاء، فعرف المصريون القدماء اللون الأزرق ومدى ارتباطه بالحسد وذلك عن طريق عين حورس ويستخدم للحماية من الحسد ومن المرض وكانت تلك العين على منقوشاتهم وتوابيتهم الفرعونية.

والشعب التركي من الشعوب التي عرفت الخرزة الزرقاء واستخدموها بشكل كبير في كل تفاصيل الحياة حيث يعتقدون حتى الآن أنها ترد العين والحسد ويستخدمها كافة فئات المجتمع.

ولا يؤمن الأتراك بالخرزة من ناحية دينية، إنما يعتبرون أن هذه الخرزة الزرقاء أو العين الواحدة، تعمل على جذب الانتباه، وبالتالي تشتيت تركيز العين الشريرة "الحاسدة" والتخلص من تأثيرها السيء.

اللون الأزرق ارتبط بالمرض، فاللسان الأزرق دليل على المرض وازرقاق الجسد يدل على الموت بينما اللون الأزرق النيلي هو اللون الذي يغمر سطح الأرض في البحار والأنهار ويغلفها وينعكس من الغلاف الجوي على شكل مسطح أزرق لا محدود وهي السماء.

إن اللون الأزرق موجود في المساحات الشاسعة كما قلنا كالسماء والبحار والأنهار والمحيطات والأرض والحيوان الأكبر والضخم في العالم هو الحوت الأزرق والنهر الأطول هو نهر النيل الأزرق فما دلالة هذا اللون؟!

ذكره القرآن مرة واحدة فقط واصفًا به حشر المجرمين زرقا وقد ذكر سبحانه في موضع آخر:.

قال تعالى: **{ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وجُوهِهِمْ عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًا} [الإسراء: 97].**

الحشر بالزرق دليل قوي على عدم الإحاطة بالشيء، فوجود اللون في كل تلك المسطحات دليل على عدم إدراكها بشكل كلي، بل هي التي تحتويك كالأرض والسماء والمحيطات، فهو في كل ما يحيط بك ولكنه قد يبتلعك كالحوت الأزرق، وهو الذي ابتلع "يونس" عليه السلام وكانت آيته ومعجزته فسبح بداخله فالحوت مع حجحمه التقمه فقط وهي من دلالات اللون، فإن البحار رمز للاحتواء والسكينة ولحذف الأسرار ولكن لها من الأمواج ما تأكل به الأخضر واليابس والأنهار رمز النماء والحياة ولكن لها من الفيضانات ما تغرق به قرى بأكملها، والسمـاء هى السقف المحفوظ و لكنها قد تغرق الأرض فى دقائق ولذا قال الله سبحانه عنها (**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ**) فإن لها خاصية داخليه بها من لونها يمكن معها أن تقع على الأرض، والمجرمين زرقًا يوم القيامة دليل على الحشر فهي تحتويهم على الرغم من احتباسهم عن العذاب وعدم إدراك اليوم بالكلية عميًا وبكمًا وصمًا وكلهم يئولون إلى زرقًا.

فاللون يقترب جداً من الأسود، ولكن بدرجاته الفاتحة والصافية أخذ منعطفًا جماليًا فكانت البحار رمزاً للجمال وكان اللون رمزاً للطبيعة وهي الدنيا والتي تحتويك وقد تبتلعك أيضًا على الرغم من صفائها ونقائها.

اللون الأزرق في علم النفس هو لون الصفاء الروحي والنقاء الفكري، ويشير أطباء علم النفس إلى أن الأشخاص الذين يحبون هذا اللون يتمتعون بشخصية جادة وحساسة وكذلك محافظة، وحاد الذكاء، شديد الفطنة، حكيم القول والفعل، ملتزم التصرفات، يميل إلى الأفكار الفلسفية، وبالصراحة والصدق في الأقوال والأفعال، وأرى أنه أيضًا ذو قلب كبير يحتوي الجميع ولكن غضبه فيضانًا كاسحًا كصفة اللون!!

وأن الأشخاص التي تميل إلى ارتداد هذا اللون فإنهم يبحثون بشكل خاص عن العناصر الفكرية أكثر من تلك المادية.

للون الأزرق قدرة على تحفيز المخ على إطلاق هرمونات تساهم في تهدئة الجسم، مما يساعد على الاسترخاء، ويحفز الدماغ على حل المشاكل الإبداعية من خلال اختيار الحلول الأمثل، وله القدرة أيضًا على إحداث الهدوء والسكينة فهو مناسب لمن يعانون من الأرق والعصبية ويستخدم في علاج حالات الاكتئاب الشتوي وحالات سوء المزاج.

واللون وجدناه أيضاً فى التطبيقات الإلكترونية فى الإنترنت مثل " الفيسبوك، وتويتر و لينكدإن وغيرهما ولا أدرى هل مقصود به الإحتواء و فى ظاهره غير ذلك من الأمور الخفية لتلك التطبيقات ومرادها، ام أن كل ذلك جـــاء صدفةً منهم و لا أعتقد ذلك!!

فاللون الأزرق من الألوان الجميلة المنظر، الهادئة الطبع، الشاملة الرؤية، له من الاحتواء ما له، لا يدركه العقل بالكلية فأحبه ولكن بحرص فغموضه مثير وجماله أثير يأثر القلوب حتى القلب المنير!!

اللون الأخضر:

اللون الأخضر هو اللون الأكثر ذكراً في القرآن الكريم بعد اللون الأساسي ولون النور وهو اللون الأبيض.

اللون الأخضر هو اللون المكمل للقرمزي وينتج من دمج اللونين الأصفر والأزرق، فالأصفر ظاهره البأس وباطنه الرحمة والأزرق ظاهره الغموض والاحتواء وباطنه التيه والاحتباس، فماذا ينتج من دمج اللونين وهما اللونين الذين لهما ظاهر وباطن غير الأحمر والأبيض والأسود والذين لهما صفات واضحة ظاهرها وباطنها.

اللون الأخضر له درجات تتراوح بين أطوال موجية 520 – 570 نانومتر.

اللون الأخضر مرتبط دائمًا بالخير والنعمة والرخاء فذكر في القرآن الكريم دالاً على النماء والزرق مثل قوله:

{وهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ومِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وينْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: 99].

فالماء الذي هو مصدر كل شيء حي يخرج الله به الأخضر الذي هو من دمج لونين هما الأصفر والأزرق فيخرج به أيضًا حبًا متراكمًا لها صفات وخصائص شتى كما يخرج من النخل وأعناب الزيتون والرمان المتشابهة والغير متشابهة وهذا من خصائص الأخضر وتلك هي الحكمة من الاخضرار.

وذكر القرآن أيضًا لفظ "خضر" في مواضع مثل:

{وقَالَ المَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ} [يوسف: 43].

وتلك كانت رؤيا ملك مصر والتي أولها له يوسف عليه السلام، وجاءت لفظه "خضر" دالة على الخصب والزرع فبعد سبع سنوات دأب وعمل باجتهاد فيأتي النماء والحصاد وجمعت مع سنبلات لأن السنبل لا يهلك ولا يقع فيه السوس وإن بقى مدة من الزمن.

وتم ذكر "خضراً" في الثياب أيضًا وجعله الله سبحانه لباس أهل الجنة.

فقال: **{أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ويَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: 31].**

وفي سورة الإنسان كذلك بلفظ "خضر" في قوله:

{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ وحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [الإنسان: 21].

فجعل الله اللون الأخضر لباسًا لأهل الجنة، فإن محبي هذا اللون وجد أنهم مفعمون بالعاطفة الكبيرة وبالهدوء والتسامح وبحب المساعدة للغير ويثق الاخرون بهم لوضوحهم

وهم عمليون جداً وكثيروا الإنتاج وعند مواجهتهم لأية مشكلة فإنهم يميلون إلى حلها بشكل هادئ، وهم اجتماعيون يحبون التواصل مع غيرهم بالإضافة إلى عنايتهم بأنفسهم، وتلك من صفات محبي اللون الأخضر، فاللون الأخضر لون سلام داخلي يدل على الاطمئنان الذي يبعثه هذا اللون في قلوب الناظرين إليه فهو يريح البصر، لأن الساحة البصرية الخاصة به أصغر من الساحات البصرية للألوان الأخرى، بالإضافة إلى أن طول موجته متوسط، فليس بالطويل ولا بالقصير، فتوصل العلماء إلى أن اللون الذي يبعث السعادة وحب البهجة هو اللون الأخضر لذلك أصبح اللون المفضل في غرف العمليات الجراحية لعرف الممرضين والممرضات.

ولذلك اختار الله اللون الأخضر من بين الألوان ليجعله لباس أهل الجنة لتكون صفاتهم من لون لباسهم ولتأثير اللون على النظر رغم تبدل الحالة التأثيرية أصلاً للموجودات في الجنة أو في النار، ولكن ليدل على الخلود الأبدي فهو كما قلنا دمج لونين متناظرين ظاهرهما غير باطنهما.

وذكر سبحانه لفظه "خضر" في سورة الرحمن:

قال تعالى: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن: 76]**.

واصفًا سبحانه الحور العين في الجنة المقصورات في الخيام ومتكئين على فرش مرتفعة أو الوسائد المتحركة ووصفت باللون الأخضر لاحتمالها على مشاعر متناقضة كاللون الأخضر فهو يحمل الأصفر والأزرق فوصفت الرفارف بالأخضر لأن الظاهر قد يبدو فيه تأرجح

وحركة ولكن مع اللون الأخضر فهو يبعث السلام والاستقرار والأريحية لما اللون الأخضر من تأثير ووجود ناظري لكل من يراهم فهم ليسوا بألوان ولا أجناس كالبشر وإلا لوصف لباسهم بالأخضر مثل لباس أهل الجنة ولكنهم جنس آخر أعدهم الله لعباده الصالحين فكان الاخضرار في الرفارف المتكئين عليها ليكون التجانس أكمل وأنسب.

وذكر في نفس السورة "مدهامتان" وهي وصف للجنتين الأخريين لكل من خاف مقام ربه وهي تعني الإدهيمام من الدهمة وهي اشتداد الخضرة بحيث تضرب إلى السواد وهو ابتهاج الشجرة.

فاللون الأخضر هو الون الأنسب في الجنة سواء كان في الملبس أو الرفارف أو الزرع وغيره لما فيه من خلود وتراكب عجيب من لونين قويين فاللون موجود في الطبيعة بسبب مادة أو وجود "اليخضور".

و"**اليخضور**" هو عبارة عن خضاب أخضر يكسب النباتات اللون الخضر كما أنه يقوم بدور أساسي في عملية التمثيل الضوئي التي تشكل الحياة على سطح الأرض. أهمية اليخضور لا تكمن في إعطاء اللون الأخضر للنبتة فقط، إنما أيضًا هو المسئول عن عملية التمثيل الضوئي في النباتات، حيث يتحول ثاني أكسيد الكربون الموجود في الهواء إلى سكر ونشا عن طريق الطاقة الضوئية الشمسية، وبهذا ينمو النبات ويكون ثماراً، وخلال تلك العملية أيضًا ينشق الأكسجين من جزئ ثاني أكسيد الكربون وينطلق إلى الهواء.

الأخضور له نوعين فالأول لونه أخضر – ازرق

والثاني لونه أخضر مائل للأصفر!!

وهذا "اليخضور" أو "الكلوروفيل" الذي يغلب عليه اللون الأخضر هو من معالم لطائف الخالق فهو المسئول الأساسي عن إنتاج المواد الكربوهيدراتية البسيطة أو المعقدة مثل الأنواع المختلفة من السكر "الجلوكوز – الفواكه – القصب – البنجر" والأنواع المختلفة من النشا كما ذكرنا ولا يتم إنتاج تلك المواد إلا في وجود الأشعة الضوئية وهي عملية التمثيل الضوئي الذي ذكرناها والتي تسمى **PHOTOSYNTHESIS**.

اللون الأخضر لم يذكر بصورة سلبية مطلقًا لا في القرآن الكريم ولا في علم النفس ولا حتى في الطبيعة بين البشر، فاللون الأخضر دائمًا ما كان مصدر نماء ورضاء، ففي اليابان فإن اللون الأخضر يرمز إلى السلامة، والترف، ولذلك فإن تعبير العربات الخضراء يعني العربات الأوسع والمجهزة بشكل مترف في قطارات السكة الحديدية.

وفي الولايات المتحدة، الأخضر يرمز إلى المال فيستخدم ورق أخضر اللون لطباعة الدولار الأمريكي.

وفي الطب يستخدم الجراحون اللون الأخضر في ملابسهم، ويعود هذا الاختيار إلى عدم ظهور الدم في اللباس الأخضر.

اللون الأخضر هو لون التوازن الأول بسبب تداخل الأصفر والأزرق ولون الخلود والاستقرار، وهو الأنسب لخلق التناغم بين العقل والقلب والذي ذكر 8 مرات بعدد أبواب الجنة!!

اللون الأبيض واللون الأسود:

قصدت أن أجمع بين اللونين فهما أصل الألوان وأصل تأويلهم في الحياة، لهما دلالاتهما وتأثيرهما المتضادان ولكنهما قد يجتمعان كثيراً ليشكلا جمالاً!!

أولاً: اللون الأبيض :

يتكون اللون الأبيض من مزيج ألوان الطيف السبعة: "الأحمر – البرتقالي – الأصفر – الأخضر – الأزرق النيلي – البنفسجي)، كما تبدو في قوس قزح والذي ينتج من اختلاف أطوال الأشعة المكونة للضوء.

فهو لون حسب المفهوم الحسي لإدراك الألوان، لكنه بالحقيقة لون من غير صبغة، فعندما يكون التركيب الطيفي للضوء الساقط على جسم ما محفزاً بشكل متساوٍ للأنواع الثلاثة من الخلايا المخروطية في عين الإنسان فإن الجسم يبدو للناظر أبيض اللون.

بيَّن إسحاق نيوتن أن الضوء الأبيض يتحلل إلى الألوان الأولية عند مروره عبر "منشور" [وسط شفاف مثل الزجاج]، وأنه يتشكل مرة أخرى عند تمرير مجموع تلك الأشعة على منشور ثانٍ، ويرجع السبب في تحلل الضوء الأبيض إلى ألوانه المختلفة أثناء مروره داخل المنشور إلى اختلاف سرعة الضوء في مادة المنشور عن سرعته في الهواء، وهذا يؤدي إلى انكسار شعاع الضوء عند دخوله الوسط الزجاجي بزوايا انكسار مختلفة.

فالأبيض مصدر الألوان وهو النور والضياء ومصدرهما فقد يعتبر من الألوان وقد لا نحسبه من الألوان لأنه يشملهم.

اللون الأبيض تم ذكره بمشتقاته في القرآن الكريم 12 مرة.

وذكر بلفظ "الأبيض" مرة واحدة فقط من الـ 12 مرة.

فقال تعالى: **{وكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ولا تُبَاشِرُوهُنَّ وأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** [البقرة: 187].

وهذا في الصيام، فقد أباح الله الأكل والشرب حتى يتبين بياض النهار من سواد الليل، وهنا جمع سبحانه بين الأبيض والأسود فتبدأ بالصيام عند المعترض الأحمرُ الخيط الأبيض من العجز وهنا دلالة أيضًا على الفرق بين الأبيض والأسود قريبًا جداً وقد يختلط على البعض ويتداخلا وفي الوقت نفسه فإنهما مختلفان متضادان والفجر يحتويهما معًا!

وذكر القرآن لفظ "بيض" في سورة الصافات.

فقال تعالى: **{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ}** مخبراً سبحانه وتعالى عن الحور العين كأنهن مثل البيض المحفوظ الذي لم يلمس وتشبيه البيض فيه دلالات، فلونه الأبيض يشوبه صفره وهو أجمل الألوان في النساء، ودلالة أخرى توحي بالرقة والحياء كالبيض الذي يعامل بحرص وهي أجمل صفات قد تتصف بها الحور العين والذين هم خلق غير خلقنا أعدهم الله لعباده الصالحين.

وفي نفس السورة ذكر لفظ "بيضاء" في قوله تعالى:

{يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ} واصفًا سبحانه جزاء عباده المخلصين بأنهم يمر عليهم الكؤوس الملأ بالشراب والمعين الصافي واتبعها بيضاء

لنقاء واكتمال اللذة لهم سواء كان الشراب خمراً أو لبنًا أ وغيره، وعلى كل فهو شراب مختلف عن شراب الدنيا ولكن يشبهه.

وتم ذكر نفس اللفظ "بيضاء" في خمس مواضع أخرى منها "أربع مرات" واصفًا أنه أية يد موسى عليه السلام.

فقال تعالى: **{اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [القصص: 32].**

وقال أيضًا في سورة الأعراف: **{ونَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ}.**

وهي آية من الله لعبده موسى مع آية الحية العصا للدلالة على صدق نبوة موسى، فأخبر الله موسى أن يدخل يده إلى جيبه أو إلى جواره في حالة الخوف فإنها تخرج بيضاء متلألئة كالقمر من غير مرض حيث أن موسى عليه السلام كان أسمر اللون، وتلك الآيات من الآيات العظيمة لفرعون وملأه لأنهم كانوا قوم سحر وعلم، فالتحولات التي أتى بها من مصدر العلم، لذلك أية العصا الحية جعلت السحرة يؤمنون من فورهم لما رأوا الآيات وأن الذي جاء به موسى علم خالص خارج عن المألوف والزيف، وتحول يده إلى بيضاء لمن ينظر لصدق الرؤية والنور الذي جاء به وهما آيتان متشابهتان خارجين عن المألوف غير معجزات باقي الأنبياء فإن فيهما تغيير في مصادر علم الأسماء وتأثيرها فكان أبلغ لأن يكونوا إلى فرعون وقومه الذين جاثوا بالعلم هنا وهناك.

واللفظ الأخير كان لفظ "ابيضت" والذي ذكر في موضعين وآخر "تبيض" و"بيض".

ففي سورة آل عمران في قوله تعالى: **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}**، وقوله: **{وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**.

وهو دليل حال المؤمنين يوم القيامة بياض الوجوه وهو نهاية تأويل أعمالهم، أعمال الإيمان والصالحات لذلك قرن ذلك بالتضاد لهم مسودي الوجوه، الذين كفروا بآيات الله فكانت تلك تأويل أعمالهم.

وذكر سبحانه لفظ "ابيضت" في سورة يوسف بمعنى آخر:

فقال: **{وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف: 84]**.

وهو سيدنا يعقوب عليه السلام حينما حزن على يوسف حزنًا شديداً فابيضت عيناه أي ذهب سوادها وضعفت أو عمت وهنا فائدة لاجتماع الأسود مع الأبيض. فالأبيض وحده لن ترى منه شيئًا أو لن تراه أصلاً لذلك حينما ابيضت دون سوادها ضعفت وكان ذلك من الحزن على فقد ابنه.

ولذا فإن القرآن اهتم باللون الأبيض أيضًا وجعله الله لون النور والضياء ودليل للهداية، واللون الأبيض هو أول الألوان المسمَّاه والمكتشفة قديمًا فهو ظهر جليًا من القمر ومن نور الشمس وغيره من الموجودات الحياتية.

في بداية الحياة بالطبع كان له التأثير الأقوى حيث نقاء الأرض والصفاء ويوحي بالسكينة والطمأنينة ويرمز للطهارة والنور بالطبع.

فنرى الحمام الأبيض يرمز إلى السلام والذي دعا له سيدنا نوح عليه السلام، بينما نرى الغراب الأسود الذي بعثه الله ليرى ابن آدم كيف يوارى سوءة أخيه بعد قتله في أول جريمة على الأرض، ولذلك فالأبيض يدل على الخير والأمانة والكمال والإتقان.

ارتدى الكهنة في مصر القديمة الملابس البيضاء كرمز على الطهارة والنقاء، فكان لباسهم مكون فقط من الكتان الأبيض، والذي كان يستخدم أيضًا في لف المياوات. كما كان التاج الأبيض هو تاج الوجه القبلي في صعيد مصر منذ عهد ما قبل الأسرات، والهرم الأبيض الذي بناه الملك أمنمحات الثاني وسمى بهذا الاسم لأن سطحه أملس وحجارته بيضاء ويوجد في منطقة دهشور الأتربة، كما كان ارتداء التوجه ذات اللون الأبيض دليلاً على المواطنة في روما القديمة وهو دليل على قدم اللون وأهميته فهو من الألوان التي لم يتغير تأويلها مطلقًا ولن يتغير بدليل بيض وجوه الصالحين يوم القيامة.

وكان اللون الأبيض من الألوان الأساسية في حضارة الإغريق، حيث كانوا يرون العالم من منظار الضوء والعتمة، فقد أورد "بيلينيوس الأكبر" في كتابه "التاريخ الطبيعي" أن "أسبيليس" وهو رسام مشهور في اليونان القديمة وغيره من الرسامين المشهورين في حضارة الإغريق كانوا يستخدمون أربعة ألوان فقط في لوحاتهم وهي "الأبيض والأحمر والأصفر والأسود".

وكان اللون الأبيض في العصور المبكرة لون الحزن والحداد، فكانت تلبسه أرامل ملوك فرنسا في القرن السادس عشر، وكان اللون السائد في الزخرفات الهندسية في فترة الباروك

وخاصة في طراز "روكوكو" الذي انتشر في القرن الثامن عشر. واستخدم كثيراً في العمارة منذ القدم في بناء دور العبادة والقصور مثل تاج محل أو تاج القصور بالهند والذي شيده الملك شاه جهان الإمبراطور المغولى من الرخام الأبيض، وأيضًا جامع القرويين في مدينة فاس المغربية والتي تطوعت ببنائه فاطمة الفهرية ومعبد البارثينون في أثينا والبيت الأبيض في واشنطن وغيره من المباني المعمارية المشهورة.

ولأهمية اللون عرفت الديانات والرسالات كيفية الاستفادة منه سواء عن قصد أو غير قصد. ففي اليهودية وخلال طقوس يوم الغفران يرتدي الحاخام رداءاً أبيض اللون، وكذلك الموجودين في تلك المناسبة، وفي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يترافق اللون البيض بالمسيح وبالطهارة وفي الأرثوذكسية يدل على الفداء بدم المخلص وكلُ وفق معتقده، ولذلك كان رداء الكاهن في العصور الوسطى أبيض اللون.

ونرى في البوذية يخصص اللون الأبيض لرجال اللاما في المعابد، أما في الهندوسية فاللون الأبيض مخصص لطبقة البراهمة، والحجاج اليابانيون يرتدون الملابس البيضاء في الخلوة والتأمل للوصول إلى النقاء والاغتسال في الأنهار المقدسة.

وفي الديانة اليوروبية يرمز للقوة الإلهية العليا بسماء ملبدة بالفيوم البيضاء وفي معتقدات البثوحوفية كان للآلهة التي دعت إلى الأخوة البيضاء العظيمة هالات بيضاء.

بينما في الإسلام أخر رساله للأرض، فإنه احتل المرتبة الأولى بين جميع الألوان، وغير أنه ذكر 12 مرة في كتاب الله، إلا أن الله جعله لون نوره في الدنيا والآخرة، ولذلك دعا صلى الله عليه وسلم للبس الأبيض من الثياب.

قال ﷺ: **"ألبسوا من ثيابكم البيض، وكفنوا فيها موتاكم".**

ولذلك الكفن للميت يكون باللون الأبيض لحسن اللون وتأويله وتأثيره، وتشبه أيضًا لباس الإحرام في الحج والعمرة وهما الإزار والرداء الأبيضين.

كما دعانا ﷺ لصوم الأيام البيض من كل شهر هجري عند اكتمال البدر وسطوع نوره وهي أيام الثالث والرابع والخامس عشر من الشهر وله دلالة سوف نذكرها إن شاء الله.

لذلك فإن اللون الأبيض هو أصل الألوان وأجملها وأنقاها، له من الصفاء الكثير ويحمل الهدوء الغزير، يعبر عن السلام والوفاء فهو لون النور والملائكة في السماء!

اللون الأسود:

على النقيض من اللون الأبيض فهو عكسه في التأويل في كل الأمور، فإن أردت معرفة تأويله وماهيته فاعكس كل ما قرأته عن اللون الأبيض.

اللون الأسود هو اللون الذي يمتص جميع الأشعة الساقطة عليه دون أن يعكس جزءاً منها، فهو اللون المخالف تمامًا للون الأبيض.

فيزيائيًا فإن اللون الأسود لا يعتبر ضمن الألوان المادية الحقيقية، لأن الألوان الفعلية فقط هي التي تشكل ألوان الطيف، فرؤية العين البشرية له لأن الأجسام السوداء تمتص جميع الموجات والأشعة ولا تعكس أيًا منها.

اللون الأسود تم ذكره في القرآن الكريم سبع مرات بمشتقاته:

فقال سبحانه: **{وكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ} [البقرة: 187].**

والمقصود هو سواد الليل.

وقال تعالى: **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: 106]**.

وهي نهاية تأويل أعمال الظالمين باسوداد الوجه نتيجة التكذيب والكفر بالله، وحتى أن المعصية في الدنيا قد تحدث في وجهك اسوداداً وظلمة والعياذ بالله.

وأيضًا آية الجبال واختلاف ألوانها من أبيض وأحمر وغرابيب سود وذكرنا تغييرها في اللون الأبيض والأحمر بما أغنى عن إعادته هنا.

وهناك موضعان ذكرهم الله تعالى لمن يبشر بالأنثى.

قال سبحانه: **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [النحل: 58]**.

وقال أيضًا: **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [الزخرف: 17]**.

ذكر سبحانه حال أحدهم إذا بشر بولادة ابنه له باسوداد وجهه من الغم، فهو كظيم من الكرب والغيظ فهم يعتبرونه من العار، ولكنهم يرضونه لله فهم جعلوها شبها مجانسًا للرحمن وكانوا يقولون أن الملائكة إناثًا وهم بنات الله، فيجعلون لله أخس الصنفين ويجعلون لهم البنين وهي من آيات الكفر بالله سبحانه وتعالى.

ونرى كظيم هنا جاءت مع مسوداً فقط للدلالة على حالة اليأس والكرب المطلق فهو كفر بالله كما ذكرنا، بينما مع يعقوب عليه السلام فإن عيناه أبيضت وهو كظيم أيضًا للدلالة على أنه مع ضعف البصر إلا أن هناك أمل وتعلق بالله العليم ولذلك فإنه ارتد بصيراً في نهاية القصة.

رأينا أن اللون الأسود لم يأتي بخير قط في القرآن الكريم وجعله الله سبحانه نهاية التأويل البشري فهو لون جهنم ولون وجوه الكافرين والظالمين وله من المعاني والدلالات الدنيوية ما دل على الكرب والغيظ والقنوت والمعاصي.

بينما في علم النفس ارتبط اللون الأسود بالأمور المجهولة والسرية والخفية، ولون يعبر عن النهايات وبداية مراحل جديدة وضربوا مثلاً بالمراهقين بأنهم يميلوا إلى ارتداء اللون الأسود في بداية مرحلة المراهقة، كدليل على نهاية مرحلة الطفولة وبداية مرحلة جديدة في حياتهم، وارتبط أيضًا بالاكتئاب إذا ما تزامن لفترة طويلة مع شخص ما فإنه يُحدث تقلبات مزاجية وخلق بيئة سيئة إلى حدٍ ما.

والتحق اللون الأسود طبعًا بالموت عبر التاريخ، ولون السوء عند اليونان والرومان، إلا أنه عند المصريين القدماء كان يعتبر لون الحياة، فكان لون التربة الغرينية في مصر والتي تسقى من نهر النيل وهي تربة خصبة تعتبر مصدر النمو والحياة، وكان يعبر عن إله التحنيط "أنوبيس" والذي لم يكن يحمل أي معنى من معاني الشر بل على العكس، فكان "أنوبيس" عند المصريين القدامى يحمي الموتى من الشر الذي سوف يلحق بهم، كما أن يدعو للمحافظة على الناس من خلال تحنيط أجسادهم ليعودوا للحياة مرة أخرى.

ومن الإيجابيات التي كان للون الأسود حظ فيها هي اختراع الحبر الأسود في الهند والصين والذي انعكس بوضوح على إدراك عملية القراءة، ولذلك فإنه يستخدم دائمًا في الطباعة لتأثيره القوي والواضح، وأيضًا في الملبس فأحيانًا ما يدل الأسود على الأناقة والجمال ولذلك نجد أن كثيراً من رجال وسيدات الأعمال يجعلونه جزءاً من لباسهم اليومي، كما أنه ارتبط بلباس الحكام وذوي السلطة والقضاة وغيرهم ...!

فالأسود له من الدلالات السلبية الكثير وله من الإيجابيات أيضًا ما إن ارتبط مع الأبيض الذي هو على النقيض منه!

قال الشـــاعر :

إذا شك بالخطى درع منازل على طرفه والنقع فيه دم يجري
أرى أسمراً في أزرق فوق أبيض على أدهمٍ في أدكنٍ وهو محمر

ألوانًا تظهر التفوق والانتصار، أي أن الرمح باللون الأسمر المزرق القاتل، ثم ذكر سمة التفوق بالأبيض والأدهم والأدكن لفرس الممدوح، وأفضى من جزاء الفعل الذي انقضى به على خصمه إلى اللون الأحمر الذي يوضح صورة القتيل الغارق في دمه.

❁ ❁ ❁

نظرة تأويلية للألوان

الألوان خلق ككل خلق الله، أوجدها الله سبحانه وتعالى لدلالات وتأثيرات وتأويلات عديدة والتي كلها تصب في النهاية للوصول إلى المَلِك الرحمن عز وجل.

الألوان ذات طابع جمالي في عين الإنسان وعين كل المخلوقات فمن المخلوقات ما يرى ألوانًا لا نراها نحن وذلك تبعًا لطبيعة عينيه ولكنه لا يدركها كالإنسان ولا يعلم لها تأويلاً!!

فهل الألوان في عالمنا الأرضي فقط أم في عالم السماء أيضًا وخارج الأرض، المعلوم أن في الآخرة هناك ألوانًا سواء في الجنة أم في النهار أمَّا في الأفق .....!

قال تعالى: **{ولَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} [الحجر: 14، 15]**.

قال علماء الفلك إن الفضاء ظلام دامس وأن الشمس تبدو قرص أحمر لا يضئ، والأرض من جوانبها ظلام في ظلام! واستدل علماء الدين بعد قول الفلكيين بتلك الآية!!

بالطبع أنا لا أؤمن البته بأقوال الفلكيين فإن السماء سقفًا محفوظًا لن يخرج أو يصعد أحد في السماء فهي أبوابًا مغلقة وإذا افترضنا أن أحداً صعد فإن لم يجد أنه سحر مثلاً من الظلام بل إنه يقول أنه رأى الأرض والشمس وصعد القمر ولم نسمع عن أي سحر!

إن المقصود من الآية والله أعلم، أن ما سوف يراه هؤلاء المكذبين إذا صعدوا لم يكن يتخيلوه ولن تدركه عقولهم من الألوان والمناظر والاتساع الكوني، فهم كأنهم مسحورون،

كما سَحر السحرة لفرعون أعين الناس فهو كانوا يرون السحر ولكنه فاق إدراكهم ووعيهم، ولفظه سكرت أبصارهم هي من الفجأة والرهبة وليس من الإظلام، مثل قوله تعالى: **{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: 72]**.

من نفس السورة!، فالسكرة هنا غفلتهم في الفحشاء مخبراً عن قوم لوط!! وهي رؤية العين كل شيء ولكن من منظور آخر مختلف، فتعوُّد العين على رؤية ألوان ومناظر معينة تجعلك منبهراً حينما تذهب لمكان آخر جميل، فالفضاء لا نعلمه ولا نعلم ألوانه ولكنها مختلفة لا تدركها أبصارنا، فتشعر بالتيه والسحر إن رأيتها ولكن بعد أن يفتح لك بابًا من السماء!!

إن تأثير الألوان الأرضية منها ما هو واضح جلي ومنها ما هو غامض قليلاً يحتاج إلى تأويل.

فاللون الأخضر مثلاً دائمًا ما يعبر عن النماء والزرع والخضرة والحدائق والبساتين ولذلك فهو أكثر ألوان الجنة فخلود اللون مناسب للخلود في الجنة فتأويله هو مشابهة للجنة في الآخرة، فإن أردت مثلا الإستمرار فى علاقة ما أو إختبارها أو ماشابه أو تذكر الأخرة أو الجنة أو تريد أن تحث نفسك على المسامحة و النقـــاء، فأكثر من نظرك إلى اللون الأخضر بالذهاب إلى البساتين و الحدائق أو إرتدائه فى حالات كثيرة فى يومك، فهو حتماً سيكون له تأثير كبير عليك و على قراراتك .

بينما اللون الأحمر فهو لون شيطاني فكل ما يتعلق به أو بالحمرة لون من ألوان العقاب مثل حمرة – حميم – نار ويتعلق بسخونة الشخص مثلاً إذا مرض وبالحمى والشمس التي اتخذوها آلهة تعبد قديمًا وحديثًا، ونجده في احمرار العينين فهي تعني التهابها ولفظة التهاب وهي تعني الشرارة والنيران، وإنك أيضًا تجد القلب ساخن عندما يتعلق بأمر من أمور الدنيا وتصبح حراريًا من داخلك وليس دافئا كالطمأنينة، ولكنك إن تعلقت بالله برد قلبك واطمأن بدفء وبردك يدك أيضًا مع دفئها، وأيضًا شدة احمرار اللسان فهو لون ناري، فحاول قدر الإمكان الابتعاد عنه فإن تأويله صراخ وحركة وإثارة ومجون وشر فإن لم تستطع فأشرك معه ألوان أخرى ذات طبيعة عكسية له لتخفف عنك أو تزيل تأثيره، فهو باعث على تغيير الأمور و تقلبها، و العجيب أن الشيطان أغوى بأن يجعلوه رمزاً للحب و ما هذا إلا للدلالة على محبته هو دون غيره، ومثال ذلك عيد الفلانتين مثلا أو عيد الحب المزعوم، فإنتشـــار اللون فى هذا اليوم ماهو إلا رفع شعار محبته هو لا الشريك أو الحبيبة أو الزوجة،و نشر الإثـارة بين الرجل و المرأة والتى تبعث بدورها على المجون و الجنون كذلك، و تاثير هذا اللون عليهم بالسلب أكبر كثيراً من تاثيره عليهم بالإيجـــاب، فلاحظت كثيراً من الصراعات والهجر والجرائم فى هذا اليوم دون غيره ويسئلنى الأصدقاء كثيرا عن السبب فى النزاع مع الشريك في هذا اليوم تحديداً فأخبرهم بالحقيقة فيتعجبون وأقول لهم فلا يصدقون!!

وكذلك الأصفر والأسود اللذان لهما من المعاني ما يدل على المرض والعبوث، ولكن الأسود نرى منه آية إن اجتمع مع الأبيض، فالأصفر في البهتان بعد الخضرة والسقم بعد الصحة والأسود في العزلة والظلام والعمى!

جمال الأسود مع الأبيض كجمال الكتابة في الورق الأبيض ولكنه يدل أيضًا أن ورقتك لم تعد بيضًاء فقد سودت فيها أعمالك يدك وهى نفس المعنى لما كسبت أيدينا!

بينما ملك التأويل في الألوان فهو اللون الأبيض، فكل الألوان كما ذكرنا تئول إليه وإنما يحدث ذلك لأنه لون النور والنور من الله وهو على كل شيء وكيل، له مقاليد السموات والأرض، فارتبط النور بالهداية دائمًا وأن الهدى هدى الله، والله نور السموات والأرض لذلك فالأبيض دال على كل ما هو هادي لطريقه أو إلى الله أو فكرة ما!

فنجد الأبيض في القمر والنجوم.

فقال سبحانه: **{وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ والْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: 97].**

وقال: **{وعَلامَاتٍ وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل: 16].**

فهذا هدى النجوم الحقها الله باللون الأبيض دائمًا والتي تطرد الشياطين من السماء ذوات اللون الأحمر.

فقال: **{ولَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الملك: 5]**، والقمر أيضًا ارتبط باللون الأبيض والهداية.

فقال تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والْقَمَرَ نُورًا وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون} [يونس: 5].**

ودلالة لاستخدام القمر وتسخيره للبشر في معرفة عدد السنين والحساب وللهداية في التقدير والتدبير!

فجعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقد قلنا أن الشمس من الاحمرار وضياءاً للناس والقمر من الأبيض ونوراً فما الفرق؟!

قال تعالى: **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ} [البقرة: 17]**.

فكانت الضياء من النار والاثنين من نفس الجنس كما ذكرنا، فلما أراد الله أن يجعلهم في الغيبات والظلام ذهب بالنور والهداية ولم يذهب بالضياء، فالشمس ضياءاً للأرض ولكن ليست نورها فالنور من عند الله ويأتي ليلاً ونهاراً للأرض، فالناس تحتاج الاثنين معًا الضياء والنور فالضياء للعامة والنور للخاصة!!

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ} [القصص: 71]. هذا للضياء اليومي للناس أجمعين..

{يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ويُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ويَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة: 16].

وقال: **{الّر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ} [إبراهيم: 1]**.

فالهداية تكون من عند الله وهي إلى النور الدنيوي والأخروي وكما ترى فإنه ارتبط بالكتاب والكلمات والأبيض!!

نرى اللون الأبيض أيضًا في الثلج والبرد والمتجمدات والنظافة فإنك لن ترى الإتساخ أبداً محاطًا بالثلج والبرودة!

فقال سبحانه: **{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: 69]**.

لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار، جعل خازن المطر يقول: متى أؤمر بالمطر فأرسله؟! وعرض له جبريل وهو في الهواء فقال: ألك حاجة؟! فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما من الله فبلى!

فكان أمر الله بأنه غير صفات خلق من خلقه وهي النار، فهو وحده القادر على ذلك لتكون آية، فلو أن ملك المطر أو الرياح أطفئوها ماعلمنا الآية فإن الله قد جعل النار باردةً ثم جعلها سلامًا لأن النار طاغية وقد تؤذي إبراهيم من شدة البرد ولولا ذلك ما قال سلامًا سبحانه وتعالى!!

فالبرد والثلج يطهران البدن وليسوا بضاريين من أحد إلا بإذن الله.

وقال تعالى: **{لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ولا شَرَابًا (24) إلاَّ حَمِيمًا وغَسَّاقًا} [النبأ: 24، 25]**.

مخبراً سبحانه عن وصف أحوال المشركين والطاغين في جهنم، بأنهم لا يرون البرد ليرد حر جهنم ولا الشراب ليرد العطش، ولكنهم يرون الحميم وهو الماء الشديد الحر والغساق وهو حديد أهل النار.

وكان ﷺ يقول بين تكبيرة الإحرام والقراءة:

"اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد".

فالثلج ولونه الأبيض يحدثان النقاء والطهارة فهما عكس الحمرة والحميم ولذلك دعا بهما رسول الله ﷺ في التوبة والتطهر من الخطايا.

وأيضًا حديث الحجر الأسود الذي كان أبيض من الثلج وسودته خطايا بني آدم!!

والثلاثة أيام البيض في منتصف الشهر الهجري "13، 14، 15" وهي أيام اكتمال القمر فيكون بدراً، دعانا الرسول صلى الله عليه وسلم لصيامها، فهذه الأيام أيام أضواء وطاقات كبيرة وجذب للأرض لنور القمر الكبير، وصوم الإنسان في هذه الأيام يجعله يكتسب من تلك الطاقات وليكن على طاعة لأن الطاقات عمتاً لابد وأن تستنفذ فإن لم تكن على طاعة فإنها ستصيبك إما بعصبية أو تهور أو فقدان أو اتخاذ قرارات خاطئة قد تؤدي بك إلى معاصي وفواحش، أي أنها سوف تصيبك سلبيًا، وقد تجد نفسك قد تعرضت لشوق ما أو لهفة مفاجئة تجعلك أسيراً لفترة، فالطاقة سوف تصيبك طالما تتحرك وتتنفس!!

ذكرنا جمال اللون الأسود في الأبيض وسنستزيد ونذكر معه جمال الأبيض في الأسود لنعلم ما تأويله ومداه، فالأسود مع الأبيض في الكتابة والأبيض مع الأسود كما القمر في الليل فإن فيه من الجمال ما فيه ولكنه كالكتابة بالأسود على الورق الأبيض فى الجمع بين الخير و الشر فإن الله حذرنا من الليل فقال: **{ومِن شَرِّ غَاسِقٍ إذَا وقَبَ}** الليل إذا أدبر أو

أتى فإن له شر ما، فأمرنا أن نستعيذ منه وهو إما لتأثير ظلامه ولونه أو لتأثير الطاقات والسكون من البشر فيه.

وقال سبحانه: **{واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} [الفجر: 4]**.

ونرى أيضًا اجتماع الأبيض مع الأسود في العينين وهي التي تكسبها جمالاً وأجمل العيون هي شديدة البياض مع شدة السواد ولذلك كانت الحور العين في الجنة حوراً عيناً لتفوق الجمال جمالاً للناظر ولباس الزفاف للعروسين الأسود و الأبيض فإنه يضفى جمالاً للرؤية لإنه يشبه لون الأعين كما ذكرنا و إن شئت الزيادة فالأبيض للعروسين أوضح جمالاً وإدلالاً.

ولما ذكر سبحانه واصفاً يعقوب من الحزن **{وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ}** دل هذا على أن الأبيض وحده من دون ما حوله لا يكون جميلاً في ذاته فهو من خلق الله، فالله وحده هو نور على نور وهو نور السموات والأرض ولذلك جعل القمر ليلاً والشمس نهاراً .

فقال: **{والنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا} [الشمس: 3]**، فالشمس والقمر مخلوقان كالليل والنهار.

فالنهار يظهر الشمس ولذلك هي من آيات الله، فوصف الشمس وخصائصها و من تأويل إسمها تكون مناسبة ليلاً مع الظلمة والسواد وهي الاحمرار، والقمر ودلائله يكون نهاراً ولذلك من آياته أن يكون الشمس نهاراً للشغل ونبتغي من فضل الله والقمر ليلاً للسكينة وليخفف من وطء الليل وتأثيره!!

لذلك قلت إن كنت في حيرة من أمرك وغير قادر على اتخاذ قرارات ما، أو أنك في غفلةٍ، فأكثر من اللون الأبيض حولك وفي ملبسك فسيكون له تأثير قوي عليك إن شاء الله وأكثر من نظرك إلى القمر وحاول اكتساب طاقات إيجابية في الأيام البيض، وابتعد عن الأسود وأنت بعيد عن الله وعن الأحمر ولا تشاهد مثلاً أفلام الرعب والدم وما إلى ذلك والبس الأخضر أو الأزرق مع لون آخر مثلاً للإحاطة و الجمع مع تجنب زيادة الوبال والخيب.

وإن الله قد خلق الألوان كلها للجمال والتأويل مثلها مثل سائر المخلوقات، ففي الجنة سوف نرى كل الألوان ولكن بتأثيرات مختلفة، تأثيرات خالدة، لا فيها عوج ولا شر، فمن الفاكهة الأحمر مثل الرمَّان ومن الأصفر الموز كما قال **{طَلْحٍ مَّنضُودٍ}** وغيرهم من جميع أنواع الفاكهة والألوان.

فالتأثير الأول للأوان يقع على العينين، فالتأثير اشتد وإزداد جمالاً كلما تشابه مع لون العينين في الألوان، فنجد مثلاً رؤية القمر في السماء من أجمل المناظر لتشابهه مع العينين والتداخل بينهم فهى تجمع بين الأبيض و الأسود و هو ما يشابه أغلب الأعين و مثل ذلك أيضاً إرتداء العروسين للأبيض و الأسود ليلة الزفاف وذكرنا كيف تكون الزيادة، وتجد مثلاً أصحاب الأعين الخضراء يميلون إلى البساتين والحدائق ورؤيتها عن غيرها والزرع والخضرة وما إلى ذلك لتشابهه مع العينين وهكذا، وجعل هذا الاختلاف في لون العينين لاختيار النظر في أمر الله إما النظر لمباح وإما النظر لحرام وهما الأبيض والأسود فكانت ألوانه متضادة كما القمر في الليل وتراها احمرت إذا أصابها ضرر وكذلك خسوف القمر فإنه يحمر أو يسود!!

ولذلك إن أردت إرضاء الحبيب أو لفت نظره فارتدي مثلاً ما يشابه عيناه أو اصطحبه في الأماكن التي تشابه عيناه وهذا في الأوقات العادية ولتهدئته مثلاً من أمر ما و ما إلى ذلك، فاصطحبة إلى مكان واسع به خضرة إن كانت عينه خضراء، أو إصطحبه ليلاً إن كان من اصحاب الأعين السوداء أو إلى السواحل و البحار إن كان ذو عينٍ زرقـــــاء مثلاً!!

ونهاية التأويل في الألوان يكون برؤية خالق الكون فهو، الجميل الأول الواحد الآخر، ليس كمثله شيء، هو النور وحجابه النور لا يخالطه شيء ولن ترى العين مثلما سوف ترى حينما ترى رَبُّ الثرى.

{وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: 22، 23].

وقال ﷺ **"إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وهي الزيادة ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)**

قال سبحانه: **{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وزِيَادَةٌ ولا يَرْهَقُ وجُوهَهُمْ قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 26]**، والزيادة هى النظر إلى الرحمن الرحيم!!

وانتهى إلى هنا باب الألوان وقد أدركت ربما من خلاله جمال الأكوان ومصير الزمان والمكان وكل ذلك من الألوان، فإليك سؤاليّ الباب.

- من الألوان ما تميز بالاحتواء، فما اللون الذي يَجمَع ويحتوى ويَطمع ولا يشبع؟!

السؤال الآخر:

- هو لون له تأثير كبير وهو في ذاته مثير، فما اللون الذي يَدمع ويستحي ويَصفَع ولا يَخشع؟!!

** لا بأس إن كنت لا تستطيع التأويل، فهناك من عباد الله من إستطاع ذلك بالتفصيل منهم من ذُكر ومنهم من خُفي علينا وهم بوجود القرآن أحياء إلا يوم يرفع إلى السمـاء، تجمعهم صفات مشتركة واضحةً للعَيان منها ما سنذكره في : الأوَّلون والمئوِّلون في القرآن.

الأولون المئولون

إن من عباد الله من هم على الخلقة الأولى أو شبيهة بها، لهم في تأويل باعًا سواءً كان كلامًا أو استماعًا حدثًا يحدث أو إرجاعًا.

الأوَّلون جمع أوَّل، والأوَّل هو الله كما أنه الآخر وكما جعل من عباده من هو رحيم وحليم ورؤوف وحفيظ فإن من عباده من هم باسم الأوَّل وجمعها الأوَّلون ولأنهم أوَّلون فهم يئولون فهم الأوَّلون المئوِّلون.

منهم الأنبياء ومنهم الأولياء ومنهم الأموات ومنهم الأحياء وبما أن القرآن ما زال "بيننا" فإنهم أحياء إلى أن يصعد العلم إلى السماء!

الأوَّلون لهم صفات مشتركة، ولهم علم مشترك هو علم التأويل، ونتيجة لذلك قد يكون بأحداثهم بعض التشابه وإن لم يكن فيها ففي تأويلها.

بدء التأويل منذ خلق الله سبحانه الخلق وجعل لكل خلقٍ اسمًا له، فكان الاسم تأويله إلى ما كان وما سيكون، واصطفى آدم من بين خلقه ليعلمه الأسماء كلها، فهو أول خلق الله يعلم التأويل كاملاً وبهبوطه الأرض ورَّث الأسماء والعلم، منه ما اندثر وخفى على البشر ومنه ما ظهر واستعلى وازدهر.

فعباد الله الأوَّلون القدماء منهم أو الحاليون هم من لديهم بعضًا من علم الأسماء أو التأويل ويشترك فيهم اسم الأوَّل.

من هؤلاء العباد من الأنبياء والرسل: إبراهيم ويعقوب ويوسف والخضر وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين.

بالطبع يوسف والخضر هم من ذكروا صراحة في علم التأويل فمنهم من تأول الأحاديث ومنهم من تأول الأحداث، فكان يوسف يئول الأحاديث والأفعال أيضًا في مصر، والخضر مع موسى يئول ما يفعلونه سويًا عند مجمع البحرين في مصر أيضًا.

والاثنين هما الأعلى تأويلاً من بين الأنبياء، فيوسف مثلاً لو رأى الأفعال التي يفعلها الخضر بدلاً من موسى لأوَّلها للأسباب التي ذكرها الخضر في نهاية القصة ولذلك فإنه كان على علم بما ستصير إليه الأمور، فقال مثلاً لصاحبي السجن **{لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: 37]**.

فلا يحدث شيء إلا أخبرهم به وذلك من خلال التأويل، ولذلك سأل ملك مصر أن يجعله على خزائن الأرض فإنه حفيظ عليم كما أخبر عن نفسه، فكان على علم بما يلزم لكي لا تصير مصر إلى ذلك الجدب .

وقال تعالى عنه: **{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ} [يوسف: 21]**.

وذلك حين اشتراه العزيز من مصر وأكرم مثواه.

وقال: **{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: 14]**.

وكذلك الخضر فإن الأعمال والأفعال التي كان يفعلها كان يعلم تأويلها، عكس موسى الذي كان يتعجب من صنعه فلم يكن لديه خبر هذه الأفعال، ولذلك قال الله عن الخضر.

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} [الكهف: 65].

وأيضًا يعقوب عليه السلام حينما قص يوسف الرؤيا عليه، قال له لا تقصص رؤياك على إخوتك فهم كانوا يئولون الأحاديث أيضًا، وذلك بالتوارث عن أبيهم وجدودهم إسحاق وإبراهيم، وأيضًا حينما أمرهم يعقوب أن يدخلوا من أبواب متفرقة كان ذلك من تأويل الحدث فقال الله عنه **{وإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ} [يوسف: 68]**.

وهو علم التأويل.

علم التأويل في الغالب يكون علمًا خفيًا غير منتشراً، وكما أن الله حصره له وللراسخون في العلم فقط، فإنه سهلاً ممتنعًا لا يعلمه إلا قليل، فمثلاً أين علم يوسف بيننا الآن؟! فهو مؤسس حضاره ولكن لا نعلم أين علمه بيننا، فقد نعلمه في المستقبل ولكن الآن لا نعلمه ولا نراه، وأيضًا الخضر الذي كـان لديه كل هذا العلم حتى أن موسى الكليم ذهب إليه ليتعلم منه فأين علمه بيننا، حتى هو نفسه لم يكن معروفًا في زمانه، فموسى لم يكن يعلمه و هو معه التوراة و الالواح .

وكذلك يعقوب فعلمه لم يكن يعلمه أبنائه، وداود وسليمان وعلمهم لمنطق الطير فلما لم يعلمانه لأحدٍ غيرهما ومن نقل سليمان لعرش بلقيس إليه سواء هو الذي نقله أم ملك آخر مِن مَن كان لديه علم من الكتاب فأين تلك العلوم؟!

هذا العلم كتب له أن يكون خفيًا وهذا الأصلح والأفلح، فإن التأويل سواء كان للأسماء أو للحروف إن كان مع شرار الخلق قد يستخدم في الدجل والتنجيم والتخويف والسحر وغيره من الوثنيات والشرك وهذا يحدث بطريقة أو بأخرى ولكن مع علمٍ قليل و لو كان كثيرا لأفسد على الناس معيشتهم و كتب له أن يكون قليلاً أقرب إلى العدم فى هذه الأثناء لأن الرسالة إنتهت وأخر الأنبياء بُعث ﷺ، ولكن لك أن تعلم أن كل هذا العلم في القرآن الكريم في الكتاب ولن يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم.

{ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ والرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ} [آل عمرن: 7].

وهذا الأنفع فيه فيتقربون إلى الله ويقرِّبون به الخلائق إليه، وهذا العلم كذلك للدليل على وحدانية الله فهو الأول والآخر فتجد أشد الناس في هذا العلم موحدون به مؤمنون به ولن تجده مع الملاحدة أو عبدة الطاغوت و إن وُجدت فستجد أمامهم نبياً بآيات و علامات تفوق علمهم لينذرهم و إلا فعذابٌ قادم إليهم من جنس علمهم و كلها ذكرت فى القرآن و إنتهت من قبل.

الأوَّلون غالباً متشابهون فى الأحداث، فقد وجدنا عظيم الشبه بين قصتى يوسف وآدم عليهما السلام مثلاً، فآدم علَّمه الله الأسماء ومن ثم أسجد له ملائكته وإن كانوا قد غاروا منه وحسدوه على منزلته من قبل، ولكن الله أسجدهم له وزوَّجه الله وافتتن بالخروج من الجنة "واهبط إلى الأرض" بعد الآكل من الشجرة، فكان له علم و حسد على المنزلة التى حظى بها من الله و من ثم إفتتن بأمرين، الأول زوجته و الثانى الأكل من الشجرة، فالخروج من الجنة و الهبوط إلى الأرض!

وكذلك يوسف عليه السلام فإن إخوته قد غاروا منه وحسدُوا منزلته من أبيه ورأى الرؤيا وخرج من الأرض المقدسة ونزل مصر وعلمه الله التأويل ومن ثم افتتن بامرأة العزيز ودخل السجن و أوَّل رؤى من صاحبيه فى السجن والملك حينئذ فخرج من السجن واستقر على ملك مصر وسجد له أبويه أيضًا وإخوته فى النهاية .

وكذلك الأوَّلون مثل آدم ويوسف والخضر وإبراهيم مثلاً أعطاهم الله العلم قبل الزوج وهو من جملة تشابه الأحداث وكما فُعل مع أبيهم آدم عليه السلام، ليكون الأول و على علم بما معه كله وتأويله، فلو كانت أتته قبل، لخفي عليه تأويلها وفهمها ولذلك تعلم قبل الزوج وقبل الأحداث جميعها.

وكذلك تفسير يوسف لحلم الملك مثلاً ولو لم يسأل عنه ولم يسأل عن من رأى الرؤيا، لعلم ما عنده بالاستقرار في الأرض والابتلاء بالطعام وكما حدث مع آدم فقد أُخبر طالما أنه في الجنة فإنه لا يجوع ولا يعري فإن الجوع يكون خارجها في الأرض وأيضًا السبع بقرات السمان والعجاف وهم السبع سنين الخصبة و الجدبة وهم السبع الدينويا أيضاً لهبوط آدم في الدنيا!!

وكما علمنا أن درجات التأويل سبعة ولذلك خلق الله سبع سموات وأوحى في كل سماء أمرها وخلق السبع أراضين وإلى آخره من أسرار الرقم سبعة.

فإنه كذلك للأوَّلين فيوسف مثلاً ذكر في القرآن بلفظه " يوسف "، 27 سبع وعشرون مرة وكان في قصته وفي الرؤيا التي بها أصبح عزيز وملك مصر سبع بقرات وسبع سنبلات.

والخضر مع موسى في قصص التأويل، ذكر التأويل مرتين في القصة في سورة الكهف في المرة الأولى كانت كلمة التأويل هي الكلمة السابعة في الآية، وفي الآية الثانية كانت كلمة التأويل، هي الكلمة الـ (27) السابعة والعشرين من الآية.

ومن أول الآية **{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا}** إلى آية **{ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: 65-82]**.

من مقابلتهم للخضر إلى نهاية القصة، (19) تسعة عشر آية وذلك لتبيان الدلالة العددية في القصة أيضًا وهو من أسرار الرقم (19) في القرآن.

وكل ذلك يدل على أوَّليتهم جميعًا وارتباطهم بالتأويل.

الأوَّلون لهم صفات مشتركة تجمعهم كما كانت لهم أحداث مشتركة، وبما أن الغالبية من الأنبياء فهم يتمتعون باللباقة والذكاء الكلامي والبلاغة والفطنة وحسن التصرف وهذا وجدناه مع إبراهيم ويعقوب ويوسف والخضرو داود و سليمان و غيرهما، وهذا من جملة العلم، والعلم يصاحب الرحمة دائمًا، فوجدنا الرحمة من تصرف يعقوب مع أبنائه حينما قال لهم سأستغفر لكم ربي ويوسف مع إخوته بعد أن آواهم إليه و طلب منهم ان يأتوا بأهلم اجمعين والخضر كما أخبر الله أنه أتاه رحمةً من عنده.

رسالة الأولين لا تكون ظاهرة في الغالب كآدم عليه السلام، فهو لم يرسل إلى قوم بعينهم ومثله الأوَّلون، فلم يرسلوا إلى قوم بعينهم وإنما كانت رسالتهم من جملة العلم الذي تعلموه، فيعقوب ويوسف والخضر وداود وسليمان مثلاً استخدموا العلم في الدعوة والرسالة كلُ في مكانه، فيوسف أخبر صاحبي السجن بمراده بالتفصيل والخضر علَّم موسى أسلوب التأويل وكذلك داود وسليمان في ملكهم اتبعهم الناس رغبًا ورهبًا للعلم والزبور الذي أتاهم بالتنزيل.

الأوَّلون المئوِّلون هم أشبه الخلق بآدم عليه السلام الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه فلهم من الجمال نسبةً كبيرة شكلاً وروحًا وهذا مع العلم والإخلاص فإنهم يجذبون إليهم الخلائق، فيحبهم الرجال والنساء ولكن يلاحظ حب النساء من بين طيات هذا الحب لأنهم مفطورون على الحياء والخوف ولكنهم ينجذبون إلى الأوَّلى ويتعلقون به تعلقًا شديداً.

فآدم أحبته الملائكة حبًا شديداً وذلك مع غِيرتهم منه أولاً وأحبته حواء وتعلقت به وهو أيضًا أحبها وتعلق بها وافتتن بها كذلك فيما بعد!

ويوسف أحبه أبوه وأواه وأحبه مولاه الذي اشتراه وأكرم مثواه وأحبته امرأة العزيز وقد شغفها حبًا فأحاط بكل قلبها من شدة التعلق والانجذاب ودخل السجن ودخل معه فتيان أحبوه وقالوا **{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: 36]** وأحبه الملك **وقال {ائْتُونِي بِهِ**

أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي} [يوسف: 54]. وإخوته أخيراً بعد أن جاءوا إلى مصر بعدما أمرهم بعدها بأن يأتوا بأهلهم أجمعين.

وداود عليه السلام الذي أحبه قومه وقد كان جميلاً واختاروه ملكًا لهم على طاروت وتزوج مئة امرأة قد أحبوه جميعًا.

وابنه سليمان كذلك فلم يحبه قومه فقط بل الإنس والطير أيضًا، والخضر عليه السلام الذي أحبه موسى في صحبته ولم يرد أن يتركه.

ومحمد ﷺ الذي أحبه قومه قبل الرسالة وسموُّه الصادق الأمين وتعلق به جده ثم عمه ثم خديجة ثم أصحابه وجميع أزواجه ﷺ.

ولتعلم أن الأولين لهم التأثير الأكبر بجانب الجذب الأوَّلي، فهذا التأثير يغير حياة من أحبه إن كان في محيط التأثير وفي الغالب يكون للأسوأ وهذا من النظرة السطحية لكنها في الواقع للأفضل، كما الابتلاءات مثلاً فإنك تراها ضراء فى وصفها ولكن في داخلها رحمة بك ورفعة ومنزلة وعلم تراه من داخل الأحداث وفي كثير من الأحيان تحمد الله عليه إن كنت فطينًا.

فآدم مثلاً بمجرد النفخ في روحه تغيرت حياة الملأ الأعلى والخلائق كلها، فالملائكة لم تصبح "كما تظن" نفسها الأسمى عند الله وكذلك إبليس ابى وإستكبر فطُرد من الجنة وكان السجود من الملائكة فقط وسخرت كل الخلائق لآدم عليه السلام وكل هذا بسبب وجوده وخلقه.

وكذلك يوسف فما أحبه شخص إلا أُذى بسببه، فأبوه أحبه وحزن عليه حتى ابيضت عيناه، وامرأة العزيز أحبته حتى شغفها فلم تستطع مقاومته وظلت في العذاب، وصاحبي السجن منهم من قتل ومنهم من خرج ولكن في النهاية دائمًا تكون لهم ولمن أحبهم سواء الذي حدث مع آدِم من أن الملائكة أصبحوا أولياء له وللصالحين وكـان خليفة الله فى أرضه نفخ فيه من روحه أو مع يوسف في أن كل من أحبه في النهاية كان معه، وأصبح عزيزاً ملكاً فى مصر هو الأخر!!

ومثلما حدث مع موسى والخضر من أحداث امتعض لها موسى في بادئ الأمر ومن ثم علم تأويلها وتعلَّم.

ومثله الذي حدث مع الرسول ﷺ فبمجرد نزول الرسالة عليه فإن كل من أحبه و إتَّبعه أُذى بسببه وتلقى من أنواع العذاب الكثير ولكن النهاية كانت لهم فى الفتح نهايةً فهى تكـــون دائماً لعباده الصالحين.

وهذا التعلق والجذب كان من الصفة الأوَّلية والتى بها الكثير من صفات الأطفال، من الفضول وحب التجربة والتملُّك والتعلُّم والذكاء الحاد والإدراك الشديد وكذلك يكون تعلق الناس بهم، فإنه نادراً ما تجد شخصًا لا يحب الأطفال ولا ينجذب إليهم وذلك للصفة الأوَّلية التي يميّزون بها لا غير وحب الرجوع للأصل، والأصل هو آدم عليه السلام.

وقد تجد شخصًا سواء من الرجال أو النســـاء لا يحب الأطفال ولكنه لا يستطيع أن يكرههم ولا يستطيع أن يتركهم فهو معلق بهم يهوى إليهم قد تبدل حاله بوجودهم.

وأيضًا حب النظر إليهم، فالعين تحب أن ترى كل جميل عامةً، ولكن مع الجمال الأوَّلي فإنه يكون مثل جمال الأطفال، الجمال الآخَّاذ الذي يكون مع سعادة وتعلق وحب فلا تدري مصدره ولا تدري سببه غير أنه حب الصورة الأولية للخلق والتي بداخلك بالتوارث!!

وبما أن آدم هو الإنسان الأول، وجاءت منه كل الأنفس حتى زوجته حواء، فإنه كذلك الأوَّلين يحملون من الصفات الأنثوية وليس المقصود الصفات الشكلية، فالصفات الشكلية هم الأوقع رجالاً على الإطلاق و ذلك لآدم عليه السلام لأنهم الأكثر جذبًا، ولكن المقصود هو فهم الصفات الأنثوية، فآدم فهم حواء كثيراً ولم يستغرق وقتًا ليفهمها رغم أنه ابتلي بها، وأيضًا إبراهيم الذي حطم أصنام المشركين وقال لهم اسألوا كبيرهم هذا الذى تركه و لم يحطمه وهذا من الكيد والذي لا يجيده كل الرجال وصفة تميزت بها النساء ووصفت بالعظمة وفي سورة يوسف أيضًا وكانت معه شخصيًا بذاته من كيد النسوة فى المدينة و إمرأة العزيز!

ومع يوسف كذلك فهو من الأوَّلين الذي علم مراد امرأة العزيز والنبوة في المدينة سريعًا وأيضًا عندما وضع السقاية في وعاء أخيه ليظل معه ولا يعود مع إخوته فى نهاية القصة وهذا من الكيد والدهاء و الذى ذكر كثيرا فى القرآن صراحةً فى النســاء و الشيطــان وغيرها الكثير من الأمثلة مع داود وسليمان مثلاً في نبأ الخصم ومع سليمان في نقل عرش بلقيس و إختبار ملكة سبأ ولكن لا يسعنا الكلام الآن لذلك فالمراد هو أن

الأوَّلين يجمعون الكثير من الصفات كأبيهم الأوَّلي آدم الذي يحملها جميعًا والتى منها أيضًا صفة الغموض، وهذا ليس بعجيب، فالغموض هو أن لا تدرك علم وفهم الذي أمامك فتجده مبهمًا لا يسعه عقلك ولا تدرك فكره، ومن مثل الأولين تنطبق عليهم تلك الصفة، فآدم معه الأسماء كلها والخلق الأول فكيف تحيط به علمًا، فعندما خلق و قبل النفخ فيه من روح الله، ظل إبليس يطوف به وينظر إليه ويتعجب منه ويقول إن لهذا الخلق شأناً!!

وكذلك يوسف لما بلغ أشده وأتاه الله العلم ازداد إدراكًا وظل يئول الأحداث ويتنبأ بها، ولما رآه النسوة أكبرنه، وكذلك لما دخل السجن، قال له صاحبي السجن إنا نراك من المحسنين.

فالغموض غالبًا يستشعر من الرؤيا والنظر، فهو الإحساس الأوَّلي الذي تكونه عندما لا يستطيع فهم وإدراك الذي تراه فهو يحيطك علمًا وأنت لا تحيطه، و هذا الذى حدث مع إبليس و النسوة فى المدينة و صاحبى السجن فالجميع حكموا من الرؤية أولاً، و وضح ذلك فى الفـــاظ " فلما رأينه " و "إنا نراك "!

ولكن الصفة الأهم من بين كل ذلك ألا وهي صفة قلوبهم، فقلوبهم مليئة بالأسماء والأسماء مليئة بالعلم والحب، وهؤلاء وحدهم يجذبون كل بعيد، ناهيك عن الصفات الشكلية والخلقية والإيمانية، محسودين من البعض رغم حبهم لهم، فلهم الحب وإليهم، يأتيهم الحب والعلم من الشروق إلى الغروب وستعلم تأويله في تأويل الحب والقلوب!!

و قبل ذلك لك سؤال الــباب ::

ذكرنا أنه ذكر فى القرآن قصتان أساسيتان فى التأويل، و هما معلومان للكثير، الاولى قصة يوسف فى مصر من تأويل رؤياه و رؤى صاحبى السجن ومن بعدها ملك مصر، والثانية قصة موسى مع الخضر وتأويل الخضر للاحداث التى حدثت؟!

- السؤال : لماذا حدثت قصتين التأويل اللتان ذكرا فى القرآن فى **مصر** فقط دوناً عن سائر البلاد و باقى الأرض؟! أم أن ذلك كان صدفة؟!

الباب الثاني

تأويل الحب والقلوب

ونبدأ هذا الباب بتأويل القلوب، و بدءاً من الإسم : فالقلب (لفظاً) من مادة "قَلَب"، وقلب الشيء أي إبداله أو إرجاعه وهو من التقليب والجمع "قلوب".

والقلب هو الذي يقلب الأمور ببصيرة وعلم بها.

والقلب في صورته التشريحية مقلوب الخلقة كما نراه في علم التشريح داخل جسد الكائنات الحية.

والقلب هو عضو عضلي أجوف لدى الكائنات الحية من البشر والحيوانات، يضخ الدم عبر الأوعية الدموية، يقع عند البشر بين الرئتين في الحجرة الوسطى للصدر.

ينقسم القلب عند البشر والثدييات والطيور إلى أربع حجرات:

علويتان هما الأذينان الأيمن والأيسر، وسفليتان هما البطينان الأيمن والأيسر، فالأذين والبطين الأيمن يسميان بالقلب الأيمن، والأذين والبطين الأيسر يسميان بالقلب الأيسر.

يتلقى القلب الدم منخفض الأكسجين من الدوران الجهازي، يدخل هذا الدم إلى القلب إلى الأذين الأيمن تحديداً عبر الوريدين الأجوفين العلوي والسفلي، ومن ثم يمر هذا الدم إلى البطين الأيمن، يتم ضخ الدم من البطين الأيمن عبر الدوران الرئوي إلى الرئتين، حيث تتلقى الأكسجين ويطرح ثاني أكسيد الكربون.

يعود الدم المؤكسد فيما بعد إلى الأذين الأيسر، ومن ثم يمر إلى البطين الأيسر، حيث يتم ضخه عبر الشريان الأورطي إلى الدوران الجهازي.

"**الشريان الأورطي**: هو أكبر شريان في جسم الإنسان، يخرج من البطين الأيسر، ويوزع الدم المؤكسد إلى جميع أنحاء الجسم عبر الدورة الكبرى التي تبدأ من البطين الأيسر وتنتهي في الأذين الأيمن".

فالقلب فيه تجويفان، يساري به الدم الأحمر، ويميني به الدم الأزرق الذي يحتاج إلى تنقية وكما ذكرنا فالتجويف العلوي هو الأذين والتجويف السفلي هو البطين..

والقلب هو أول عضو وظيفي يبدأ بالحركة وضخ الدم في الأسبوع الثالث للتطور الجيني، ويشتق من اللحمة المتوسطة الحشوية في الصفيحة العصبية التي تشكل المنطقة التي ستغطي القلب لاحقاً.

القلب هو أهم عضو لدى الإنسان لذلك يقع في منطقة الصدر ليحمي بواسطة القفص الصدري، ويكون على شكل مخروطي ويزن ما بين 250 إلى 350 جراماً لدى الشخص البالغ وبحجم قبضة اليد تقريبا.

ارتبط تفكير الإنسان بالقلب منذ القدم، فارتبط بالإدراك والسعادة والخوف والانتباه وغيرها من المشاعر والأحاسيس كل ذلك على الرغم من أن الإنسان لم يعلم وظيفة القلب جيداً أو بشكل دقيق.

ففي الديانة المصرية كان القلب هو مفتاح الحياة الأخرى، فكان ينظر إليه على أنه سر النجاة من الموت، فيعتقد أن القلب يتم فحصه من قبل "أنوبيس" والعديد من الآلهة الأخرى خلال حفل وزن القلب، فإذا وزن القلب أكثر من ريشة مات، فهو رمز معياري للسلوك المثالي، فإذا توازنت الأوزان فهذا يعني أن مالك هذا القلب عاش حياة عادلة وبإمكانه الدخول إلى الحياة الأخرى، بينما إذا لم يكن القلب أثقل فسيلتهمه الوحش **أميت**.

وكان القلب أو "إب" أحد أجزاء مفهوم الروح قديماً عندهم، فـ "إب" هو القلب الغيبي يتشكل من قطرة دم واحدة من قلب أم الطفل، تؤخذ عند الحمل، فكان القلب لدى المصريين القدماء مقر العاطفة والنية والتفكير والإرادة، وتم معرفة ذلك من خلال التعابير المصرية التي تتضمن كلمة "إب".

ويعتبر الإغريق أول من وضعوا فهماً علمياً للقلب في العالم القديم، فقال أرسطو أن القلب هو العضو المسئول عن صنع الدم، بينما أفلاطون فاعتبر أن القلب هو مصدر دوران الدم، وأشار إيراسيتراتوس إلى القلب باعتباره مضخة تسبب توسع الأوعية الدموية ولاحظ أن الشرايين والأوردة تنبثق من القلب لتصبح أصغر وأصغر مع زيادة المسافة، على الرغم من أنه آمن بأنها مليئة بالهواء، لا الدم. كما أنه اكتشف أيضاً صمامات القلب.

وعرف الطبيب الإغريقي جالينوس بأن الأوعية الدموية تحمل الدم وميَّز بين الدم الوريدي (أحمر قاتم) والدم الشرياني (أفتح) كل بوظيفته المختلفة.

ولاحظ أن القلب هو أسخن الأعضاء في الجسم وتوصل إلى أن القلب هو الذي يزود الجسم بالحرارة، وقال بأن القلب لا يضخ الدم في الجسم، بل إن القلب بحركته يمص الدم خلال انبساطه ومن ثم يتحرك الدم عبر نبض الشرايين.

واعتقد بأن الدم الشرياني يصنع بدءاً من الدم الوريدي غير مروره من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر عبر فجوات موجودة بين البطينين.

ومن العرب كان "بن النفيس" ذو الحظ الأكبر في الخوض في هذا المجال، فقدم أقدم وصف للدورة الدموية في كتابه "شرح تشريح القانون" ويقول فيه أن الدم يمر عبر الدورة الرئوية بدلاً من الانتقال من البطين الأيمن إلى الأيسر.

بينما حديثاً بدأ العالم يفهم القلب تشريحياً وفيزيائياً، فبدأ فهم طريقة عمله أي أنه هو الذي يدفق الدم إلى الجسم، فأصدر الطبيب الإنجليزي ويليام هارفي في كتابه "حركة القلب" وصف جهاز الدوران والقوة الميكانيكية للقب بشكل عام. إلى أن تطور هذا العلم على يد كثير من الأطباء حتى توصلوا إلى عمليات زراعة القلب التي لم تلقى نجاحاً في بادئ الأمر فلم يبقى أول مريض تلقى تبرعاً بالقلب أكثر من 18 يوماً من إجراء العملية وبقية المرضى بعد ذلك لم يبقوا أكثر من بضعة أسابيع.

إلا أن الأمر تطور وأصبح العلم أكثر نضجاً في معرفة خواص القلب الفيزيائية وأمراضه، وسبل الوقاية والمحافظة عليه من الضعف والأمراض وكذلك طرق التشخيص.

فالقلب أهم عضو في جسم الإنسان سواء فيزيائياً أو معنوياً، فمعنوياً ارتبط كما ذكرنا بكل من الفهم والمشاعر، ففي كثير من اللغات القديمة اجتمع ذكره كثيراً مع الروح والنفس والعقل.

وقديماً كانوا يرون القلب يقوم بكل الوظائف الهامة للإنسان متجاهلين دور الدماغ في هذه الوظائف، وتحديد القلب كمقر للعواطف يعود إلى الطبيب اليوناني جالينوس، الذي

حدد الكبد كمقر للآلام، والدماغ كمقر للمنطق. ونجد الكثير من الآيات والأحاديث التي تحدثت عن القلب البشري، ونسبت له وظائف عديدة في العادة ترتبط بالدماغ مثل الوعي والبصيرة والإدراك.

فما وظيفة القلب وتأويله في جسم الإنسان؟! وهل هو العقل، هل يضخ الدم فقط في الجسد والعقل هو المسئول عن الإدراك والوعي والبصيرة؟!

إن نظرنا للقب وطريقة عمله ومن الناحية الطبية فهو مضخة عضلية مهمته استقبال الدم الوارد وهو باللون الأزرق وضخه للرئتين واستقبال الدم العائد المحمل بالأكسجين باللون الأحمر، وتلك النظرية تبين أهمية القلب التأويلية وهي استقبال ما تستعين به في حياتك وانتقائه ومن ثم إعادة ضخه لأعضاء الجسد، وما تستعين به في حياتك ليس الهواء فقط فالهواء للنفس، بينما الروح تحتاج إلى ما تستعين به في الحياة لتسمو وتنجو من أعداء الحياة والمتاع المؤقت، وأخبر الله سبحانه وكما ذكرنا أن الهدى سيأتي ذكراً ووحياً كلامياً لذلك فإن القلب له من المهام ما هو أكبر من ضخ الدم وإعادة توزيعه نقياً، وهذا هو تأويل القلب ومهامه.

القلب كما لاحظت يبدأ عمله في الجسد بعيداً عن العقل والدماغ تماماً، فهو أول ما ينمو ويعمل في الجنين منذ أن يخلق وحتى يموت لا يتوقف ولا تستطيع إيقافه، وحتى أثناء عمليات زرع القلب، فعندما يتم وصل القلب الجديد في صدر المريض يبدأ القلب بالنبض في جسد الشخص وذلك قبل أن يتم وصل القلب بالدماغ عن طريق العصب الشوكي أي أن القلب بدأ بالعمل والتأويل دون النظر إلى الدماغ، وأيضاً عند فصل القلب من الجسد

بعملية جراحية فإنه يستمر بالنبض والحركة لمدة تزيد عن أربع ساعات وهذا يدل على أن القلب له خصوصيات مقتصرة عليه وحده دون غيره من الأعضاء في الجسد.

فكما أن القلب هو مصدر الحياة للبشر ومصدر ضخ الدم، فإنه كذلك مصدر الوعي الذي هو أساس الحياة التي أنت كائن بسببها، فتعلم آدم الأسماء كان تمهيداً للوعي والخلافة والتمييز فهذا هو الأصل، وكذلك الوعي والهدى هو الأصل والأصل ينتمي إلى الأصل وما وجدت عضو في جسم الإنسان له كل تلك الخواص والأهمية والوظائف مثل القلب البشري فهو شديد التمييز والخصوصية.

بدأ البيان عندما تعلم آدم الأسماء ولم يذكر الكيفية التي تعلم آدم بها الأسماء أو كيفية إدراكها واستيعابها ولكن ذكر بعد ذلك ما توصل من خلاله إلى تلك الكيفية.

قال تعالى: (**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**) سورة ص 72.

فإن آدم لما نفخ فيه أول ما تحرك قلبه فشعر بنبض قلبه وهو ما نراه في الجنين وآخر ما يموت في الجسد هو القلب أيضاً، فمبدأ ومنتهى الروح قبلها القلب أو متلازمة معه، لذلك فإن أول ما استوعب من آدم قلبه وأول ما حوى وعقل وأدرك هو القلب.

وبعد العصية والهبوط أخبر الله بما سيكون من الأدلة والبراهين بجانب توارث الأسماء إلى ذريته ليستعينوا به على مكائد الشيطان الذي أنظره الله إلى يوم يُبعث الإنس والجان.

قال تعالى: (**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ....**) سورة البقرة 38.

ومن هنا نجد أن الكل ضال إلا من هدى الله وتبع هداه، فما هذا الهدى الذي سيأتي لبني آدم ليتجنب الضلال والخوف والحزن!

الهدى في الكتاب والكتاب جاء لكل أنبياء الله والهدى في القرآن أيضاً والذي يتضمن الكتاب والذكر بداخله، وهذه الكتب إنما جاءت وحياً كلامياً للرسل والأنبياء ولكنها لم تكن كذلك مع آدم فآدم تعلم الأسماء كلها جملةً ومن بعد ذلك سمع بها وأبصرها وأدركها ولكن في الحياة الدنيا في الهبوط حدث العكس مع الأنبياء فهم سمعوا أولاً ونظروا إليها ومن ثم أدركوها، فمع الرسول ﷺ بدأ الوحي صوتياً بـ"إقرأ باسم ربك"، لكن الفرق بين خاتم الأنبياء وباقي الرسل أن الرسول أتاه الله القرآن الكريم بما يحتويه من الكتاب والذكر والأسماء كلها كآية وهي النهاية للهدى فهي أقصاه ومبلغه للبشر لذلك كان لابد من نزوله عليه بطريقة أشبه بالتي كانت مع آدم عليه السلام حيث هو خاتم الأنبياء و المرسلين.

قال تعالى: (**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ ... مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**) سورة البقرة 97.

وقال تعالى: (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ**) سورة الشعراء آية 193-194.

نزل جبريل عليه السلام بالقرآن والكتاب والعلم على قلب محمد ﷺ. مباشرة ليكون مصدر إنذار لجميع الخلق، فالقرآن هو نهاية العلم والبرهان لبني آدم.

فالنزول على القلب أبلغ وأشد تثبيتاً ولقدر العلم الذي سيأتيه فإنه سيكون محصلاً لما قبله "مصدقاً لما بين يديه فيه الذكر والكتاب، مبلغ وأصل التأويل فكان واجباً نزوله على القلب، فكل ما في الكتاب نور وهدىً ورحمة يهدي به الله ما يشاء من عباده إنه هو الرحمن الرحيم.

فتأثير الكلام وحياً كان أو إعلام يقع تأثيره في القلب ويكون مستقره هناك وكذلك القلب العامر بالعلم أو بالبينات ينطق اللسان دائماً بالكلام الحسن المبين وبما يجذب به أوجه الخلائق إليه.

قال تعالى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ**) سورة البقرة 204.

فتعجب الناس من صنيع كلامه وتأثيره كان عكس ما كان مستقراً في قلبه، فهؤلاء نوع وصنف من البشر تنطق ألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولذلك هم أشر الأعداء، ذو مكيدة نافذة ونفاقٍ مبين، سره غير علانيته، فهو أشد أنواع الفصام و لذلك كان ألد الخصام.

وذُكر في بعض الكتب: "إن لله عباداً ألسنتهم أحلى من العسل، قلوبهم أمرَّ من الصبر، لبسوا للناس مسوك الضأن من اللين، يجترون الناس بالدين، قال الله تبارك وتعالى: أعليَّ يجترئون وبي يغترون؟؟ وعزتي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران!!

فمخالفة اللسان القلب كذب على الله قبل أن يكون كذب على الناس، فلا تعجب لهؤلاء إن وجدتهم في وضع التيه أو حلت بهم زلزلة أو بطش واحذرهم كل الحذر، فالله قد مكن ألسنتهم من مخالفة قلوبهم بسهولة وله في ذلك شئون فلله الحمد ومنه العون.

ولذلك فإن القلب هو محل الاحتواء والجمع المعلوماتي ومن ثم الإدراك!

فالإدراك يكون بعد جمع المعلومات السمعية أو البصرية أو كلاهما معاً، ومن ثم مروره على القلب ليميز الحق من الباطل والخبيث من الطيب ولذلك فإن الوحى والكتاب نزل على قلب الرسول ﷺ ليكون مصدر له مثبت به.

قال تعالى: **(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ)** سورة الأعراف آية 179.

والفقه هو الفهم بعد الجهل والإدراك بعد التفكير، والقلب هو محلهم ولذلك وجب نزول الكلام عليه ومن ثم تأويلاتها التي هي غاية الفهم والإدراك.

ووجب التنويه هنا إلى أمر في خلق الله الخلق لجهنم وهو الذرء، والمراد ليس خلقهم لتعذيبهم ولكنه تعالى أرسل لهم كل البراهين والآيات وأتم عليهم الحجة وإلا فالمراد الأسمى هو رحمة الله سبحانه وتعالى كقوله: **(إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ)** سورة هود.

فالأغراض كتأويل أفعال الفاعل المخلوق ونهايتها، فقد أعطاك كل ما تملك للتأويل أو على الأقل الفقه والبصيرة ولكن الكثيرون أبوا إلا أن يكونوا مثل الأنعام لهم قلوب تضخ الدم وأعين ترى لا تبصر وآذان تسمع ولا تسمع!!

ومن هنا احتجت طائفة على وظيفة القلب أصلاً ومع تقدم العلوم الطبية والتأكيد على أن العقل محله الدماغ، بدأ البعض يُئول القلب إلى أنه هو العقل والصدور هي الدماغ.

قال تعالى: **(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ)** سورة الحج آية 46.

فذهب البعض إلى أن القلوب هي العقول التي في الدماغ أي أن الصدور هي الجبهة، لأن ما في المقدمة يعد صدر الشيء!!

ونسبة العمى أيضاً إلى القلوب محل البصر ليؤكد على أن القلب هو المسئول عن التمييز كما ذكرنا بين الحق والباطل والهدى والضلال.

وذهبوا أيضاً إلى تفسير معنى الفؤاد الذي ذكر مقروناً دائماً في القرآن بالسمع والبصر، كما في قوله تعالى: (**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)،

وكقوله: (**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ...**).

فقالوا بأن العلم الحديث وجد مركزاً للعواطف والغرائز يقع في منتصف المخ فسموه فؤاداً مرتبطاً بالسمع والبصر ارتباطاً عضوياً مخياً، فالسمع يشير إلى مركز السمع والبصر يشير إلى الإبصار والفؤاد مرتبط بهما فألمحوا إلى أنه يقع في المخ وصنفوا المخ إلى أجزاء كثيرة أيضاً نحن في غنى هنا عن ذكرها كلها مرتبطة بالتحكم في الحركات والإبصار واللمس والتذوق والحرارة وغيرها.

وقالوا بأن الإنسان مميز عن الحيوانات بالعقل، فلو أننا استبدلنا قلباً مثلاً لإمرئ غير مؤمن بقلباً آخر لشخص مؤمن هل سيتبدل حاله؟!

وللحيوانات قلوباً مثلنا فهل عليها الحساب والمساءلة؟! كما ذكر للفؤاد؟!

قال تعالى: **(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)** سورة الإسراء آية 36.

والناس التي تعيش بقلوب اصطناعية هل تعيش من غير أي تدبر أو تعلم؟!

وللرد على كل هذه التساؤلات وجب القول بأن الحب أيضاً يكون من المخ هو الآخر وكذلك الخوف والطمأنينة وغيرهما من أعمال القلب المعروفة؟!

في البدء نود أن نعرف أعمال القلب أولاً وليس بالطبع حصرها فإن لها من الخصائص ما خفى علينا حتى الآن!

أولها بالطبع الإدراك والفقه كما في الآية وغيرها من الآيات كقوله تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم ....) الأعراف.

ومتى لا يفقه القلب أصبحت مثلك مثل الأنعام ويأتي ذلك من طبع الله على قلبك فأنت لا تفقه ولا تعلم والطبع لا يأتي إلا لشيء له مدخل ومخرج وهذا ينطبق على القلب القلب أو القلب العقل.

والطبع هو الختم وطبع الشيء أي عابه والمراد أنهم لا يدخل إليهم علم أو آيات ولا يخرج منهم إيمان أو فقه.

قال تعالى: (**وَطُبِعَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**) سورة التوبة.

وليس الفقه و التدبر فقط و لكن القلب ذكر فى القرآن مقرونا بكثير من الأفعال و الجوارح .

فالقلب أيضاً ارتبط بالخشوع والخشوع هو الذل والخضوع.

قال تعالى: (**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**) سورة الحديد.

وذكر الله هو أعظم الحديث والكلام فإن لم يكن له تأثير على القلب فعلى ماذا يكون التأثير، وكما علمنا سابقاً أن الكتاب والقرآن نزلوا على قلب الرسول ﷺ ليكون أسمى وأصدق الإيمان.

والقلب هو محل الرأفة والرحمة، فقال تعالى في سورة الحديد أيضاً.

(**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً**) فالرحمة من القلب ولما كان الله هو الرحمن الرحيم وكلامه هو الحق المبين ونزل به الروح الأمين على قلب الرسول الأمين وجب ذلك أن يجعله رحمة الله للعالمين.

وكما للرأفة والرحمة كانت أيضاً الطمأنينة والسكينة فهي من جنسها وذكرها.

قال تعالى: (**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) سورة الرعد.

وقال أيضا: (**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**).

وكقوله على عمار بن ياسر رضي الله عنه حينا تعدى عليه وعذبه مشركو مكة فقال كلمة الكفر فأنزل الله (**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**) سورة النحل.

ولذلك قال له رسول الله ﷺ إن عادوا فعُد وقل لهم مثلما قلت.

وبالطبع القلوب هي مركز المحبة والألفة والتي دائماً ما ارتبطت بها.

قال تعالى: (**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**) سورة آل عمران.

وعلى الجانب الآخر من القلوب نجد أنها أيضاً حوت عكس ما سبق ذكره فذكر أنها قاسية وتحمل الحقد والغل والشك والريب والتعالي والكبر والخوف والرعب وسنذكر آياتها بالترتيب بإيجاز.

قال تعالى: (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ۚ) سورة البقرة.

وهذه الآية من الآيات الدالة على أن القلب هو الذي نعرفه الذي في الصدور وليس العقل في الدماغ وسوف نعود إليها إن شاء الله.

وقال سبحانه: (**وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا**) سورة الحشر.

وقال في القلوب أيضاً: (**لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ**) سورة آل عمران.

وقال واصفاً فيه الكبر: (**كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**) سورة غافر.

وكما بها السكينة ففيها الرعب والقسوة والضغينة.

قال سبحانه: (**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**) سورة آل عمران.

وقال تعالى: (**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ۖ) سورة آل عمران.

فالقلب حوى كل الأمور الهادية وعكسها من الضلالات والتأويلات العكسية، ولو لاحظت في كل الآيات ستجد أنها أفعال ربانية من عند الله فالخير منه في تلك الأفعال والشر من نفسك وأفعالك، فارتباط القلب بالله أمر بديهي فهي المضغة المسئولة عن الهدى والضلال والصلاح والفساد.

قال تعالى: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) سورة ق.

فكيف لهذه المضغة أن لا يكون لها عقل بداخلها يحركها ويدلها أو مركز تحكم يقود هذه المضغة، وقبل أن نستعرض ذلك وجب تأكيد وإثبات أن القلب هو العضو العضلي الذي يقع في صدر الإنسان وليس العقل الذي في الدماغ.

قد علمنا وظيفة القلب العضوية وهي استقبال الدم الفاسد وضخه للرئتين ومن ثم إعادته للجسم وعلى هذا فإن الإنسان ضال إلا من هدى الله كما أخبر آدم عليه السلام حين الهبوط مع حواء وإبليس وكما علمه الله الأسماء وأنزلها في قلبه فإن معصية آدم آلت لكل هذه التأويلات السلبية في قلوب بنيه من بعده فمنهم من هدى وزُيِّن الإيمان في قلوبهم ومنهم من صد عن السبيل وطبع الله على قلوبهم.

قال تعالى: (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ** ..) سورة البقرة.

فالقلب عضو أجوف عضلي جاء تشبيهه بالحجارة أو أشد قسوة ليدل على أن القلب لم يعد يعمل بعد بتأويله بل هو صلب قاس خلا من الإيمان والطمأنينة بل إن الحجارة (منها) لما يتفجر منه الأنهار وهذا دليل على أن القلب الذي وجب أن يضخ الدم الصالح إلى جميع أجزاء الجسم ليس المقصود منه ذلك فقط بل ضخ الخير والإيمان والفقه من بعد انتقائها مثل الأنهار التي تعبر عن النماء وإن الحجارة أيضاً تتشقق فيخرج منها الماء وإن منها ما يهبط من خشية الله ومن الماء كل شيء حي فحتى الحجارة خرج منها ما أحيا الله به شيئاً غير أن قلوب هؤلاء لم تعد تحيي شيء ومن هذا ليس من المعقول أن يكون المقصود بالقلب العقل

في الدماغ فإن الدماغ التي في الرأس صلبة أصلاً فكيف يكون تشبيهها بالحجارة في حالة فسادها!!

ولذلك نقول بالعامية "دماغك حجر أو ناشفة" أي لا تغير رأيها وهو قول خاطئ، فلم يعلموا حينها أن القلب قد يكون أغلظ وأقسى من الدماغ والحجارة!

قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**).

لا يخفى على أحد الراحة النفسية والانشراح الصدري التي يشعر بها المرء حينما يرى أو يسمع ما يفرحه و يسره و الهدوء الذى قد يأتيك فجأةً أو حين التوبة إلى الله تعالى فإنك تجد راحة بصدرك يشعر بها حتى من اقترب منك من خلال طاقتك التي تتولد من المجال الكهرومغناطيسي والتي تسمى "رِيح" ولكنك لا تشعر بالتأكيد بالراحة أو الطمأنينة في الدماغ!!

قال تعالى: (**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ...**) سورة الأنعام 125.

وتلك الآيه من الدلائل القوية على أن الصدر هو صدر الإنسان الذي يحوي القلب والرئتين وليس الدماغ، فعند الصعود لأعلى من على الأرض ينخفض ضغط الهواء ونسبته ويضيق التنفس وتضغط عضلة الحجاب الحاجز على الرئتين فتنقبضان بشدة ويضيف صدر الإنسان الذي به القلب نتيجة الضغط الشديد على الرئتين والقلب مما يمزق خلاياهما وأنسجتهما فلا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية على أكمل وجه، فتبدأ في التوقف وظيفة تلو الأخرى وهكذا الحال مع العازفين عن الهداية الضالين اللذين لم يدركوا

القلب وماهيته فأوقفوه على ضخ الدم فقط وتركوا روحانياته، فتوقفت أيضاً وظائف الجسد الروحية هي الأخرى وكل هذا يحدث للقلب الذي في الصدر ولا يحدث في الدماغ!!

(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ).

وقال تعالى مخبراً عن موسى: **(وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ)**

وهذا ربط قوي على العلاقة بين ما بداخل الصدر وبين ما ينطق به لسانك فحينما أحس موسى بأن صدره سيضيق من الرهب والخوف شعر بالقصور في تبليغ الرسالة ولذلك سأل الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدره.

قال تعالى: **(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي)** على لسان موسى عليه السلام.

قال بن القيم:

فإذا أردت أن تستدل على ما في الصدور فاستدل عليه بحركة اللسان، فإنه يطلعك على ما في القلب شاء صاحبه أم أبى.

كقول يحيى بن معاذ "القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها" فانظر إلى المرء حين يتكلم فإن لسانه يغترف لك بما في قلبه لحو وحامض.

وكحديث الرسل ﷺ: **" لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"**.

ولذلك فإن الوسوسة تكون في الصدور فهي مصدر النطق والتفكير، ومن فضائل الرحمن أنه لم يجعل الوسوسة في القلوب مباشرةً وإلا لضاقت قلوبنا وما تزينت ولا عرفت طريق الإيمان وذلك من فضل الله.

قال تعالى: (**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**) سورة النساء آية 83.

ولذلك فإن إبليس لما وسوس لآدم وسوس له في صدره وهو من خلال السمع ولكنها وسوسة.

قال تعالى: (**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**) سورة الناس، وسواء كانت الوسوسة من الإنس أو الجن فاعلم أنها لم تبلغ قلبك بعد وقد تستعيذ بالله فيعيذك وتستحضر قلبك فتنجو بأمر الله، وقد علمت الآن لما نضع أيدينا في الصلاة على صدورنا أثناء القيام وليس على دماغنا وذلك ليوافق ما نقوله ما في صدورنا من الكلام والآيات والإيمان فكل منهما يشد الآخر ويؤثر فيه، سواء الصدر للسان واللسان للصدر.

ومن فضائل الله هنا التي نراها أنه علم آدم الأسماء كلها في قلبه وأنزل القرآن على محمد ﷺ على قلبه وهي للإنسان توارثاً ولكن جعل الوسوسة خارجية فقط في الصدور وهي من فضل الله ورحمته أيضاً، إذ لو عل العلم بجانب الوسوسة لهلك الكثير وضل من البشر الجمع الغزير، فالله الحمد والفضل.

(**وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**) سورة النساء.

والقلب له وظيفتين، وظيفة عضوية وهي ضخ الدم لأجزاء الجسم وقد بيَّنا تأويلها، ووظيفة روحية وبها يسمو الإنسان ويهتدي وينتقي ممن حوله ليفقه ويعقل ويفهم ومازال القلب يحمل الكثير من الأسرار الروحية والباطنية.

ولذلك سُمِّي **القلب** عند بعض الفلاسفة "بالنفس الناطقة والروح الباطنة والنفس المدركة العالمة من الإنسان والمطالبة والمعاقبة".

وقال الجرجاني: "القلب مصطلح على اللطيفة الربانية بالقلب الجسماني المودع من الصدر وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان".

وقال الغزالي: "هو المدرك العارف العالم من الإنسان، وهو المخاطب والمعاتب والمطالب".

ولذلك فإن عضواً بهذه الحساسيات والقدرات كيف يكون بدون جهاز تحكم داخلي به يوجهه ويهيئه وإلا لطاح القلب أمام كل حدث يراه ويواجهه.

فمن المعروف الآن أن القلب يحتوي على نظام عصبي خاص به يحتوي هذا النظام على 40000 خلية عصبية تمكنه من الإحساس والشعور والتعلم متصلاً بالمخ ليؤثر على الإدراك واتخاذ القرارات للإنسان.

ووفق الأبحاث التي نشرتها كلية الطب بجامعة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية والتي قالت أن الإيمان بالله له مكان بالتصميم الداخلي للمخ وهي الفطرة التي فطره الله عليها والتي تجعله يبحث ويذهب ويميل للتدين دائماً وتمكنه من الاستنتاج والتحليل للوصول لله الخالق البارئ والقول هنا هل هذا التصميم في المخ أم في القلب، أم أن القلب هو المسئول عن توجيه هذا التصميم داخل المخ فمازلنا في البحث والتحقيق؟ في محاولة لفهم هذا العضو الغامض وما يحتويه من كنوز وعلم. ولكني أرى أن مركز الإيمان في مركز

القلب داخل صدر الإنسان وهو تأويلاً لقوله تعالى: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) سورة ق 16.

فمركز الإيمان والعبودية لله بداخله.

وكما علمنا فإن أول عضو يبدأ بالحركة داخل الجنين هو القلب أي أن القلب يبدأ عمله دون النظر أصلاً إلى الدماغ ليعطيه إشارة بذلك وفي هذا دليل على أن القلب عضو عضلي وروحاني مستقل ميزه الله عن غيره من الأعضاء داخل جسد الإنسان ولذلك أنزل كلامه على قلب رسوله ليحوي هذا العلم المبين الواسع.

وقد ثبت بالتجربة أن إحدى الأعراض الناتجة عن العمليات الجراحية بالقلب هو فقد شيء من الذاكرة ولذلك استنتج الأطباء أن القلب له قدرة كبيرة على تخزين المعلومات القريبة والبعيدة في ذاكرة بداخله تشبه ذاكرة المخ!.

وذكر د/ زغلول النجار أن أطباء من جامعة بيل الأمريكية ومعهد هارتمان بكاليفورنيا قالوا بأن القلب جهاز فائق التعقيد وأن من صور هذا التعقيد وجود جهاز عصبي يشبه المخ كما ذكرنا ولكن هذا الجهاز يحوي العواطف والمشاعر والذكريات والمواهب والتفصيلات الخاصة بالشخص وقد تبين ذلك حينما تم نقل قلب من إنسان إلى إنسان آخر فيأخذ القلب المنقول معه ما ذكرنا، فنجد الشخص المنقول له بتصرفات بعيدة كل البعد عن ما كان عليه في السابق، وثبت بذلك أن القلب هو أكثر أجزاء الجسم تعقيداً وأنه يتحكم في المخ أكثر من تحكم المخ فيه، ويرسل إليه من المعلومات أضعاف ما يتلقى منه وهو ما أثبتناه من قبل والتي قاسها الأطباء بجهاز إرسال بين القلب والمخ يعمل بواسطة

عدد من الحقول المغناطيسية التي يصدر أقواها من القلب إلى المخ فيسبق القلب المخ في ردات فعله، وهو مناسب تماماً لتعلُم الأسماء في القلب ونزول الوحي على القلب الذي في الصدور.

بعد هذا القدر الكبير لهذه المضغة في جسد الإنسان، تبقى لها أن تحتاج للقوة الروحية الكبرى والجائزة الأولى لآدم وبنيه من بعده والتي تسمو بها للمراتب العلى وللدرجات العظمى ألا وهى نعمة الحب!.

فما هو الحب؟ وما الداعي له؟ ولماذا جعل الله سبحانه وتعالى القلوب أوعية له؟ وما طرقه والسبيل له وأصحه وأبغضه، كل ذلك سوف يتبين إن شـــاء الله فى تأويل الحب!!

من تأويل الحب

الحُب: اللفظة في الأغلب مأخوذة من "الحَب" وهو جمع "حبة " وهي أصل الشيء ولبابه.

فحبة العين: مقلتها وبؤبؤها،،، وحبة القلب: مهجته وسويداؤه فسميت بذلك لوصولها إلى أصل القلب والتي هي أعمق نقطة في جسد الإنسان وهي أصدق شعور لبني آدم .

للحب أسماء كثيرة تدل عليه وتساوي معناه أو تقترب منه منها: الهوى والشغف والشوق واللهف والود والعشق والهيام والغرام والفتون والتيَّم وغيرها الكثير من الأسماء التى أُستخدمت بغرض التعبير عن الحب.

وكلها تدل على ميل النفس إلى الشيء أو الأشخاص وإيراداته هو بالخصوص لا بالعموم بصفاته وحاله، فأوردوا له معاني كثيرة، واختلفوا في ماهيته فهي أصعب مهمة على أي إنسان عالماً كان أو فيلسوفاً وهى تعريف الحب.

فالحب في التاريخ الإنساني دائماً ما أثار جدلاً فلسفياً كبيراً حول ماهيته، فتناوله علم الاجتماع وعلم النفس والأديان أيضاً لارتباطها بالمجالات الروحية والفلسفية ولكن في الغالب ارتبط تعريف الحب بالطابع الفلسفي.

فهناك من يراه وهماً كبيراً، فليس هناك حب أصلاً وأن البعض يوهمنا بوجود شيء اسمه الحب، والبعض الآخر يرى أن الحب شعور غامض ولا جدوى من طرح الأسئلة حول ماهيته لأنه لا إجابة لها.

فقال البعض بأن الحب هو انجذاب الشخص إلى آخر والشعور بالإعجاب تجاهه أو التفاهم المتبادل بين شخصين أو الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل: هو استقلال الكثير منك لمحبوبك واستكثار القليل منه إليك، وقيل أن تمحو من قلبك ما سوى المحبوب، وقالوا هو حضور المحبوب على قلب المحب دائماً و هو قول لإبن القيم، فتحدث عنه الكثير من الأدباء والشعراء والفلاسفة منهم المحب العاشق ومنهم الكاره الماحق وهذا قليلاً من كلامهم ::

فقال الإمام القشيري فيه: لا توصف المحبة بوصف ولا تحدد بحدٍّ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبة والاستقصاء في المقال عند حصول الإشكال، فإذا زاد الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق في شرح الكلام.

وقال سيمون دي بوفوار: الحب هو اللعبة الوحيدة التي يشترك فيها اثنان ويكسبان فيها معاً أو يخسران معاً فهو جزء من وجود الرجل ولكنه وجود المرأة بأكمله.

وقال: إن الحب كالحرب من السهل أن تشعلها ومن الصعب أن تخمدها.

وقال بيرون: الحب تجربة حية لا يعاينها إلا من يعايشها. وقال: هو تاريخ المرأة وليس إلا حادثاً عابراً في حياة لرجل!.

وقال شكسبير "جملته المشهورة: " الحب جحيم يطاق، والحياة بدون حب نعيم لا يُطاق وهو ربيع المرأة وخريف الرجل ".

وقال جان جاك روسو: الحب لا يقتل العشاق، هو فقط يجعلهم معلقين بين الحياة والموت.

وقال: الذي يحب يصدِّق كل شيء أو لا يصدِّق أي شيء، مثل المجانين!!

كقول أحد العشاق:

جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيد الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

وأنيس منصور يقول: الحب أنانية اثنين!!

بينما محمود عباس العقاد: من يحب، يحب إلى الأبد، وفي الحب خطابات نبعث بها وأخرى نمزقها بينما أجمل الخطابات هي التي لا نكتبها!

وقال تشارلز ثوب: الحب عند الرجال مرض خطير وعند المرأة فضيلة كبرى.

وقال برنارد شو: إذا أحبت المرأة فعلت كثيراً وتكلمت قليلاً.

وجورج صاند يقول: خير لنا من أن نحب فنخفق من أن لا نحب أبداً.

ومثله في قول أحدهم:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فما لك في طيب الحياة نصيب

وقال سرفانتيس: المرأة لغز، مفتاحه كلمة واحدة هي: الحب.

وقال أفلاطون: الحب وردة والمرأة شوكتها.

وقال: ليس بالحب إلا ما نتخيله.

وقال محيي الدين بن عربي: اختلف الناس في حده، فما رأيت أحداً حدَّه بالحد الذاتي، فما حده من حده إلا بنتائجه وآثاره ولوازمه ولا سيما وقد اتصف به الجانب العزيز وهو الله.

وقال العاشق البغدادي "سمنون المحب" : لا يعبر عن شيء إلا بما هو أرق منه ولا شيء أرق من المحبة، فما يعبر عنها؟!

وفي ذلك قيل:

ولا خير في الدنيا بغير حبابة .. ولا في نعيم ليس فيه حبيب

فالحب هو رقة الدنيا له ونعيمها!!.

وقال الرازي: المحبة في الشاهد عبارة عن الشهوة، وميل الطبع ورغبة النفس.

وقال القرطبي: المحبة هي ميل لما فيه غرض يستكمل به الإنسان ما نقصه، وسكون لما تلتزم به النفس وتكمل بحصوله.

وقال جبران: إن الحب يهبط على المرأة في لحظة سكون مملوءة بالشك والإعجاب.

وقال الشاعر "داريدن": لم يمت أحدٌ من الحب إلا فوق خشبة المسرح.

وقال "لازوشفوكو": الحب الحقيقي كالأشباح هم الذين رأوه.

وقال برتراند راسل: الحب حكيم والكراهية حمقاء!.

والقاضي عياض قال: أصل المحبة أميل لما يوفق المحب.

والإمام ابن القيم يقول في حب الله تعالى: المحبة هي ركن العبادة الأعظم فالعبادة تقوم على ثلاثة أركان هي المحبة والخوف والرجاء.

ويقول بأن المحبة هي موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وأما أرسطو فيقول جملته المشهورة والتي دائماً ما كنت أميل لها ::

"الحب الذي ينتهي ليس حباً حقيقياً"!.

أي أن الحب لا نهاية له.

بينما تعريفه عند علماء النفس: هو شعور فيزيولوجي يؤثر على سلوك الشخص إيجاباً أو سلباً وهو شيء داخلي ينشأ في ذات الإنسان ويسيطر على أعضائه وحواسه.

وقال أحدهم: يبدأ الحب بعاصفة، لكن الحب الحقيقي هو ما يتبقى بعد انتهاء العاصفة.

وأحد الباحثين يقول: الحب منظومة كاملة من المشاعر والسلوك والثقافة فإننا نحب بكل كياننا، بالدماغ والهرمونات والحواس الخمس وبالطبقات الداخلية للنفس.

وآخر يقول: الحب هو عندما ترمش الأهداب بسرعة وتلمع النظرات مشعة كالنجوم.

وآخر يقول: الحب هو إحساسك أن المحب يلفظ اسمك بشكل مختلف، فتتأكد أن اسمك في مكان آمن في فمه.

مثل قول أحد المحبين:

خيالك في عيني، وذكرك في فمي

ومثواك في قلبي، فأين تغيب؟؟

**وقلت في تعريفى للحب من خلال روئيتى ووجهة نظرى :

"إن الحب نعمة!!، كثيراً ما ذكروه، فلم يعرفوه ولم ينكروه فمنهم ذاماً ومنهم مادحاً، غريبٌ طبعه، لئيمٌ مدخله، سريعٌ تأثيره، تجنبه مستحيل ووصفه مستميل، فهو النعمة الأبدية والإرادة العلية للنفس البشرية ".

وقلت أيضاً : "الحب هو جمال الاختيار من حسن القرار!".

فالمحبة أو الحب شعور صادق يشعر به كل من له قلب حتى الحيوانات ولكنه يختلف بين البشر والحيوانات، فالبشر لهم كرامة وتمييز وقلوب عاقلة والتي ليست بعاقلة ذكرنا أنهم كالأنعام وهذا هو الفرق فى الحب أيضاً، فإننا كثيراً نجد من الكلاب والقطط أو حتى القطط الكبيرة المفترسة مثل الأسود والنمور وغيرها من الحيوانات من يتعلق بصاحبه تعلقاً شديداً نستعجب منه فهم لهم قلوب ولكن لا يعقلون بها ولكننا نجد منهم حباً كبيراً فكيف وهم لا يعقلون؟!

فبعدما علمنا حقيقة القلب وقدره وجب له ما يميزه غير صفاته للجنس البشرية فاصطفى الله لهم الحب!.

الحب هو أول نعمة أنعمها الله على آدم وقبل أن يخلقه، فإنك إن نظرت وجدت في بادئ الأمر أن الله سبحانه وتعالى كان له وهو العلي القدير أن يجعل الملائكة أو من صفوتهم من يخلفونه في الأرض من صفات وعبادات وحتى إبليس الذي كان يُلقب بطاووس الملائكة من فَنِّه في العبادة كان من الممكن أن يختاره ربه لذلك ولكن لست أرى من هذا الاصطفاء لآدم إلا أنه للحب!!.

حب الله لآدم هو أول النعم وهي الكنز الدفين في قلبه، فالله خلق الحب ليحبه ثم خلق قلبه ليكون وعاءاً للحب والعلم كما سنرى.

وقيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فإن لم يكن القلب يعرف الهوى مسبقاً لما تمكن الهوى منه، ولذلك قلت إن الحب مخلوق قبل القلب ولكن القلب هو أنسب وعاء له، لما فيه من قدرة على الانتقاء، والتمييز والاختيار، فالدنيا مليئة بالأهواء والأسماء، كلٌ له بحر في الهوى وإن تركت قلبك لهم فسد وانطوى!.

فوظيفة القلب في الانتقاء والتعقل أساسها للحب وانتقاء الحب أولاً فهو الأصل ومن بعدها يأتي انتقاء الأسماء والكلام والعلم وباقي المدخلات، ولذلك ارتبط كثيراً الحب بالقلب منذ القدم فهو شعور راسخ هبط مع آدم من الجنة وظل الحب بالقلب متعلقاً بالله حتى ازداد الناس وكثرت المدخلات وأغوى الشيطان الإنسان فلم يعد يميز من يحب ومن يكره ونسى الحب الأول الذي له خُلِق وهو: حب الله!!.

ولكن قبل أن نتكلم عن حب الله وحب الله لآدم وجب معرفة لما كان الحب في الدنيا ولما خلقه الله أصلاً لآدم ولغيره من خلق الله تعالى.

لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء وجعل له حرية الاختيار ما بين الطاعة والعصيان مثله مثل إبليس فلما اختار آدم طاعة ربه واختار إبليس الكبر والعصيان وتوعد آدم وذريته، كانت الحاجة إلى ما هو أكبر من الطاعة والعصيان، حاجة هي أقرب

للرحمة بعباده من شغف الأهواء والأنداد والشهوات، تلك الحاجة الداعية للعودة للقرب لرب السموات والأرض ومعرفة المراد والسمو للسماء فمن تأويلات آدم الفساد وسفك الدماء.

فتلك الإرادة التي بداخل الإنسان هي الداعي الأول للوصول للحق سبحانه وتعالى، فهي الداعي للتأويل ومن ثم العلم والعبادة ولك أن تعلم أن حركة الأكوان والأفلاك تابعة للحركة الداعية للمحبة وحركة الملائكة والتي هي سبب كل حركة في الكون حيث أن كل ملك موكل بشئ فسببها المحبة والرسالة والطاعة وحركة الإنسان في حياته إنما تأتي بسبب الحب والإرادة وإلا لما خرج من بيته، فالخلق كله كائن وكان وسيكون بالمحبة وبالحب والتي هي قياس الغرض من الحياة الدنيا أصلاً.

قال تعالى: (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**) سورة الملك.

فخلق الله الموت والحياة بمتاعها وزينتها للابتلاء والاختبار في أحسن العمل، وأحسن العمل هو ما كان موافقة لأوامر الله سبحانه وتعالى وهي العبودية والتي تشمل محبته والتي هي نهاية تأويل العبودية والتي هي أصلاً منه تبارك وتعالى أولاً.

فالحب خلق أولاً للاصطفاء، لاصطفاء الله لآدم ومن سائر خلقه من المخلوقات جميعها المطيع والفاجر ومن ثم قد أتى بعده رسوله محمد ﷺ وهو أحب خلق الله إلى الله تبارك وتعالى.

ومن ثم أودع الله هذا الحب في قلب آدم ليتوارثه ذريته من بعده فهو أقرب إليهم من العلم فهو الداعي له الموصل إليه فكان الحب هو الوسيلة المثلى للوصول للرب الخالق،

ومع تكاثر البشر والأهواء، فإن الحب هو الوجه الوحيد والخلق الأول الذي لا ترى معه ماديات فهو الحاجة الأولى للهروب من شبح الماديات، فتجد الكثير من الملاحدة غلاظ القلوب ويدَّعون العلم والوصول ولو كان؟ لأوصلهم ذلك إلى رب الزمان والمكان ولكن كيف وهو يكفر به وينكره؟!، فتجدهم دائماً يميلون لإحكام العقل والدماغ في كل شيء، حتى جعلوه هو الذي يعبد ويحب ويكره ويفكر وينكر، ومنهم من عبدوه وجعلوه أساساً للحياة والتطور، وتلك هي الحياة المادية فإننا لا نستطيع أن نسير بالحياة المادية المحسوبة دائماً لأننا لا نملك مصادر العلم وليست المعرفة فكيف نسير بالورقة والقلم والحسابات وأنت لا تعلم لا تأويل الورقة ولا القلم ولا ما تكتبه أصلاً.

وهذا غير أن الذي يعقل أصلاً هو القلب وليس الدماغ!!

لذلك فالحب هو الخلاص والملاذ الأخير للإنسان إن لم يجد ما يصله إلى ربه وإن لم يأتيه ما يتعين به على الإيمان، فإن صدق فسيصدقه الله ويجد الحب بداخله الذي يوصله إلى الله.

ومثل ذلك مثل ما حدث مع إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا... وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**) سورة الأنعام آية 74 _ 80.

فإبراهيم الحليم أبو الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه بعدما رأى أبيه وقومه في عبادة الأصنام، علم بالصبغة الفطرية أنها لا تضر ولا تنفع وكان لم يصل بعد للحقيقة الجلية "من توحيد الربوبية"، فاصطفاه الله من بين خلقه ليصل إليه بقلبه فأخبر أنه أراه ملكوت السموات والأرض والأفلاك وحركتها وعلمها، فكلما رأى كوكباً قال هذا ربي

على سبيل الاختبار والسؤال لا على سبيل العبادة فلما اختفى عن نظره، قال لا أحب الآفلين، وهنا أول حب يظهر لإبراهيم فلم يوافق الكوكب حب قلبه وهذا هو الاختبار المنشود من رؤياه ملكوت السموات والأرض ومثل ذلك مع القمر والشمس فسأل الله الهداية فوجهه الله لما في قلبه فعلم من خلقهم وفطرهم والذي لا يغيب عنه رغم أنه لا يراه ولكنه في قلبه وحبه قال تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**).

فكان إبراهيم في ذلك الوقت هو العبد الوحيد الذي يعبد الله على الأرض من بين خلقه من البشر فتخلل الحب إلى قلبه عليه السلام فاتخذه الله خليلاً.

قال تعالى: (**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**).

والخلة من أعلى مراتب الحب وهي تخلل الحب روح المحب وقلبه.

ومثل ذلك:

قد تخللت مسلك الروح مني ** ولذا سُمي الخليل خليلاً

وهي توحيد الحب في القلب فلا يكون هناك مكان لحب آخر وكما أن إبراهيم وصل إلى الله بالحب وأوحده وأوحد حبه في قلبه فإن الله صدقه واتخذه خليلاً.

وهذه المرتبة انفرد بها سيدنا إبراهيم ونبينا محمد صلى الله عليهما وسلم.

قال ﷺ: **"إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً"**.

وهذا هو أقوى داعي للحب، وهو الوصول لرب العزة وهي شدة الطلب، ولا نرى نهاية لشدة الطلب والإرادة أقوى وأكبر من طلب البارئ عز وجل، فهي كالخيط المتين

الذي يربط بين العبد وربه وتزداد مع الأنس به وتوحيد حبه في قلبه كما توحيد عبادته في جوارحه وهذه هي أكبر غاية.

ومن دواعي الحب الأخرى هو خلق الجمال وهو قبله فإن الله جميل يحب الجمال فوجود المحبة والحب لحب الجمال وللميل إلى كل جميل من خلقه سبحانه وتعالى ومن ثم معرفته هو.

قال تعالى: (**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**) سورة البقرة 138.

وقال: (**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**) سورة السجدة.

وقال: (**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**) سورة التين 4.

فجمال الخالق أتبع جمالاً في مخلوقاته وحُسنها ولذلك وُجِدَت الألوان كما ذكرناها لحسن التأمل فيها وفي جمالها وأيضاً كل المخلوقات حولنا اشترك فيها الجمال والحب والألوان وكلهم يئولوا إلى الله الجميل الذي أحسن خلقهم جميعاً، فالنفس بطبيعتها تميل إلى كل جميل وتستحسنه فنقول **"الله"** عند رؤيتها فهي حقاً تئول إليه سبحانه وتعالى.

وكلما ازداد الجمال ازداد الحب طبعاً فهو شريكه ومتلازمه والقصص مليئة في هذا الباب ولعل أشهرها قصة يوسف الصديق وإن كان يوسف أوَّلى اشترك فيه الحب والجمال والعلم

والإخلاص فإنه أسر الجميع رجـالاً و نسـاءا وليست امرأة العزيز فقط ولكن نذكره لأنه اشترك فيه الحُسن كما أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه عليه السلام أوتي شطر الحُسن.

وكان الرسول محمد ﷺ أيضاً جميل الخلق بل أجمل خلق الله وأحسنهم وجهاً.

سُئل البراء بن عازب رضي الله عنه: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمرّ.

ولذلك لم يبعث الله نبياً إلا جميل الوجه، حسن الصوت، كريم النسب لتميل إليه الأنفس ولتعظمه القلوب.

وهكذا خلق الله النفوس تميل إلى كل جميل!!

- خرج نسوة يوم العيد ينظرون إلى الناس، فسُئلوا وقيل لهن: من أحسن من مر بكن؟! قلن: شيخ عليه عمامة سوداء، يقصدن الإمـــام الحسن البصري!

وقال بن القيم في الروضة : كثير من الناس يرى محبوبه فيصفر ويرتعد " يتغير وجهه و حاله "؟! وهو من شدة الأخذ بالقلب والتعلق، فيقول إن هذا سببه أن الجمال سلطانٌ على القلوب، وإذا ظهر راع القلوب بسلطانه، كما يروعها الملك مثلاً ممن لهم سلطان على الأجسام، فسلطان الجمال والمحبة على القلوب، وسلطان الملوك على الأبدان، وأيضاً لأن الجمال يأسر القلب فيشعر القلب بأنه أسير، ولابد لتلك الصورة التي ظهرت له والتي أول مدخلها النظرة من الأسير والجمال من المحبوب.

كقول الشاعر:

علامة من كان الهوى بفؤاده

إذا ما رأى محبوبه يتغير.

ولهذا ارتبط الجمال بالمحبة والحب، فأصلها من الله الجميل وهو أجمل الحب والتعلق، فالحب يقتضي وجود جمال يزيده والجمال يقتضي وجود حب يتعلق به ويبحث عنه، فيا لحسن حظ من تعلقت قلوبهم بربهم وأوحدوا له الحب فإنهم لفي كرامةٍ وعزة قلوبهم ملئى تميل إليهم الخلائق يحبون كل جميل وهم جمال تنظر إليهم الخلائق مأسورين.

قال داود عليه السلام: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال مؤمن حسن الصورة، قال: فأي عبادك أبغض إليك؟ قال: كافر قبيح الصورة.

وأما من تعلق بجمال آخر وقلبه فارغ فإنه يقع في الذل ولابد.

قال ﷺ: **"لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه"**.

وهو مطابق لحال العشاق، فراغ القلوب فإن قلبه كما ذكرنا وقع أسيراً لمحبوبه.

قال أحدهم:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم

عليها تراب الذل بين المقابر

فلتحذر إطالة النظر إلى كل جميل من البشر وقلبك فارغ فإنه أول طريق الهلاك والذل و التعلق غير المنشود وإن أردت فانظر قبله إلى جمال الله في خلقه من الجبال والأنهار والأفلاك وأدخل النور إلى قلبك أولاً قبل أن تسقط أسيراً وإن لم تفعل وتعلقت فاجعل الصبر ردائك.

قال أحدهم:

أحين ملكتني أعرضت عني كأني قد قتلت لكم قتيلا

فهلا إذ هممت بصرم حبلى جعلت إلى التصبر لي سبيلا

ولتعلم أن لفظة " جميل " ذكرت في القرآن مقرونة مع الصبر فقط وفى قصة يوسف عليه السلام!!

قال تعالى مخبراً عن يعقوب أبيه (**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ..**) يوسف 18.

وقال أيضاً: (**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** سورة يوسف 83.

وكـــان هذا على لسان سيدنا يعقوب الذي تعلق قلبه بابنه الجميل يوسف والذي عوقب بغيابه عنه لتعلق قلبه به مع الله وهو نبي الله عليه السلام وجب عليه توحيد الحب أيضاً، فوجدنا الصبر الذى إتصف بالجميل و تلك ليست بالمصادفة قطعاً و لكنها مناسبة للتعلق بالجمال الذى هو سلطان على القلب، فكما أن الحب و التعلق كان للجمال فالصبر الذى هو علاجه أيضا يوصف بالجمال، فسبحان من أنزل هذا القرآن على قلب رسوله محمد ﷺ ولو كان من عند غير الله لوجدنا فيه اختلافاً كبيراً!!.

محاسنها هيولى كل حسنٍ ** ومغناطيس أفئدة الرجال

ومن دواعي وجود الحب أيضاً البقـاء والخلافة، فبعد هبوط آدم إلى الأرض وبعد ما رأى ما في الجنة "من نعيم" وهو أشد البلاء لم تعد هناك حاجة للمكوث في الأرض والخلافة وللعبادة إلا للحب فحب الله أراد الوجود فأحب آدم ذلك وأحب زوجته وأولاده ومن بعدهم أحب الناس الوجود والبقاء، فبحثوا عن مطالب العيش هنا وهناك ومصادر العلم هذا وذاك وهذا بالحب، فأحبوا الحياة والعلم والبحث والتطور ومن قبل قد سخر لهم الله ما في السموات وما في الأرض لتعينهم على الخلافة في الأرض ولنشر القيم والعدل ومكارم الأخلاق الذي سببها الحب والمحبة.

فالنفس تميل إلى ما يشابهها ويساعدها، سواء كان ذلك في الأشخاص أو في المكنونات وقد لا يعتمد هذا على الجمال فقط أو الحُسن وقد لا يلزمه أصلاً وإنما هو تمازجها وتشابهها في الروح.

قال ﷺ: **"إن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"**.

وكما قال بعضهم لمحبوبه: صادفت فيك جوهر نفسي ومشاكلتها في كل أحوالها، فانبعث نفسي نحوك وإنقادك إليك، وإنما أنا هويت نفسي. وهذا لشدة التشابه بينه وبين

محبوبه وقد يكون هذا من شدة حبه لها فهيئ له كمال التشابه والتعلق وقد يكون بدون أي سبب أصلاً سوى فراغ في قلبه جعله أسيراً.

"وما الحب من حسنٍ ولا ملاحة ولكنه شيءٌ به الروح تكلف"

يقول طرفه بن العبد:

تعارف أرواح الرجال إذا التقوا فمنهم عدوٌ يُتقى وخليل

وإن امرئ لم يعفُ يوماً فكاهةً لمن لم يرد سوءاً بها لجهول

وقال بعض الفلاسفة: أن الله تبارك وتعالى خلق كل روح مدوَّرة مثل الكرة، ثم قطعها، فجعل في كل جسد نصفاً، وكل جسد لقى الجسد الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي معه، كان بينهما عشق للمناسبة القديمة وهي قطع الروح.

كقول الشاعر:

إن المحبة أمرها عجب * * تُلقى عليك وما لها من سبب

وكما قال جالينوس: أن المحبة قد تقع من العاقلين من باب تشابههما في العقل، ولا تقع بين الأحمقين من باب تشابههما في الحمق، لأن العقل يجري على ترتيب، فيجوز أن يُتفق فيه على طريق واحد، والحمق لا يجري على ترتيب، فلا يجوز أن يقع به اتفاق بين اثنين!.

وهذا أدى أيضاً للبقاء والخلافة وهو التقرب والميل إلى المتشابهات وهو من الثوابت القوية في المحبة والحب بين المتحابين فلا يزول ذلك الحب إلا لمانع قوي أشد من حبهم، وإن لم يكن الحب لذلك فإنه يكون لغرض أو مصلحة ما يقل حين انقضائه ولم يجد المحبين لذةً في الوصال بعد حصول المقصود والغرض المنشود فيدق الفتور بابهم ويقترب الفراق من دارهم.

كقول بطليموس: أن الصداقة والعداوة تكون على ثلاثة أنواع، إما لاتفاق الأرواح فلا يجد المرء بُداً من أن يحب صاحبه وإما لمنفعةٍ وإما لحزنٍ وفرح.

وشاعر يقول:

ثلاثة أحباب فحب علاقة وحبُ تملاق وحبُ هو القتل

وقول امرأة من العرب:

حججت ولم أحجج لذنب عملته ولكن لتعينيني على قاطع الحبل

ذهب بعقلي في هواه صغيرة وقد كبرت سني فردَّ به عقلي

وإلا فسوِّ الحب بيني وبينه فإنك يا مولاي توصف بالعدلِ

وحبٌ ذَهب بأخرى فقالت:

أدعو الذي صرف الهوى مني إليك ومنك عني

أن يبتليك بما ابتلاني أو أن يسلَّ الحب مني

ومن دواعي الحب أيضاً العلم والمعرفة، فمن أكبر دواعي وجود الحب هو العلم، فآدم أول ما شعر به هو العلم فأحبه وأحب الله لما عرفه وهذا هو الحال مع العباد وهو المراد، فكيف تحب الله وانت لا تعرفه ولا تعلمه، فكيف وصل إبراهيم لمنزلة الخلة؟! فحتماً لم يكن ليصل إليها إلا بعدما يعلم عن الله كثيراً، فالعلم أوجب وجود الحب والعلم ليس فقط عن الله بل لعلم بكل ما هو كائن أو محيط بك، فحب التعلم نفسه أهم من التعلم فهو الطريق المنجي، فلولا وجود حب التعلم لما تطور الإنسان في فكره وطريقته ولاستقر به الحال لا يعرف إلا القليل، على الرغم من أن الإنسان الأول يعلم أكثر ومن العلم ما ضاع بين الأزمان إلا أن حب العلم والمعرفة جعل الإنسان دائم البحث والتفكير في كل ما هو جديد حوله باحثاً عن الحق والحقيقة الكامنة أصلاً في قلبه.

"من لا يعرف شيئاً لا يحب أحداً، ومن لا يستطيع أن يفعل شيئاً لا يفهم أحداً"

باراسيلسوس

حقاً وجدت أن الحب يزداد وبقوة تجاه الأشخاص الذين يمتلكون مهارات وقدرات وعلوم مختلفة، وتزداد معدلات الجذب لديهم والنضارة ولمعان الأعين والغموض والاحتواء والقدرة على الإلقاء والإقناع. وبما أن الله تعالى هو العليم الحكيم، فعلمه فوق كل علم فهو "بكل شيء عليم" أحاط بالمكنونات كلها مبتدئها ومنتهاها، مصدرها وتأويلها، ظاهرها وباطنها ولذلك فإن حبه هو أشد الحب وهو الأحق والأولى به كما سنذكر إن شاء الله.

فالعلاقة واضحة بين العلم والحب والجذب والتي هي من روح الله الحق العليم فخلق آدم وصوَّره بيده وعلمه الأسماء التي هي أصل العلوم كلها فكان على أتم الخلق والجمال والجذب فسجدت له الملائكة وأحبته محبةً لله الذي أحبه على ملائكته وأحسن صورته والتي سندخل الجنة إن شاء الله على صورته الجمالية!.

وأيضاً نبي الله يوسف عليه السلام الذي علمه ربه كما قلنا وصاحب العلوم ومن أشبه الناس بآدم عليه السلام فئوَّل الأحاديث، فمجرد أن أتاه الله "حكماً وعلماً" راودته امرأة العزيز وقد "شغفها حباً" وإن كنت تظن أن ذلك سببه الجمال فقط فعد إلى باب المئولين في القرآن، فيوسف في القصر منذ الصغر والعين كما تعلم تألف الشيء طالما تراه باستمرار وهي كانت تراه، ولكن نقطة التحول والتي ساعدت على تمكين هذا الشغف من قلبها هو الحكم والعلم الذي أتاه الله إياه وعلمه له فهو الذي زاد به جماله ونضارته.

قال تعالى: (**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ... وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ...**) سورة يوسف 22

والأمثلة كثيرة في وضوح العلاقة بين العلم والجذب والحب ولعل أقواها حب العلماء لله وحب الله لهم!!. (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**).

فأصل الحب من الله أولاً لمن أراد أن يعلمهم كما مع آدم ولذلك أشدهم علماً وحباً الأنبياء ثم الراسخون في العلم والعلماء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل!!

قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: تعلمت هذا العلم لله؟! فقال أما لله فزيز، ولكن شيء حُبب إلى ففعلته.

وقال "شيخ الإسلام" بن تيمية: جاءني مرضٌ، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وسُرت قويت الطبيعة فدفعت المرض؟ فقال الطبيب: بلى، فقلت له: فإن نفسي تُسرُ بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة، فقال الطبيب: هذا خارج عن علاجنا.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ** ونترك الذكر أحياناً فننتكس

وهو التداوي والاستشفاء بالذكر والعلم...

ومن أهدم دواعي وجود الحب وخلقه والذي هو منه ومن أجزائه "الرحمة"، فالرحمة هي أساس كل باب من أبواب الخلق كلها بدئها وتأويلها، كلها نابعة من باب الرحمة ومنها خلقت.

(**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**) سورة الإسراء 110

فاسما الله والرحمن تعود إليها تأويل كل الأسماء الحسنى وكل الأسماء الحسنى تسير بها كل الأسماء الأخرى وهي منها ولذلك فإن الرحمة هي أصل كل باب.

فالبسملة اشتملت على أسماء الله والرحمن والرحيم، فالله هو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه فلا يخرج شيء عن أمره ولا ينفذ أمر إلا بإذنه أحاط بكل شيء علماً، لا إله إلا هو له العبادة والحب والعلم والخشية والخضوع ... الخ.

ثم الرحمة التي هي أصل الخلق كله وإلا لما خلقهم الله سبحانه وتعالى وأرسل لهم الهدى والآيات والبينات والرسل ليعودوا إليه، ومن الرحمة قدَّر لهم أرزاقهم وأقواتهم وأنعم عليهم وكما أخبر عن نفسه تبارك وتعالى (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**).

فكل شيء باسم الله الرحمن، وسع اسمه كل خلقه وكما قال تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) فلا يخرج شيء عن رحمته كما استوى على العرش برحمته فرحمته فوق كل شيء وهو الحق فوق كل شيء.

فالرحمة والحب والعلم ثلاث أوجه لعملة واحدة، كل اثنين يأتيان بالثالث، فهم أول النعم وأول التأويلات والخلق، ولذلك فإن العلاقة بينهم دائماً طردية كلما ازداد طرف زاد معه الطرفين الآخرين.

فإن أولهم الرحمة، فمن رحمة الله أنه اصطفى آدم وخلقه بيده وأحبه وهي ثاني المنازل بعد الرحمة وهي الحب وكما ذكرنا فإن الله تعالى اصطفى خير نطفةٍ في قلبه ليضع بها تلك النعمة العظيمة وهي "الحب". فآدم يملك الآن الرحمة والحب بقي له العلم، فعلمه الله الأسماء كلها أولها وآخرها مبدئها وتأويلها، ففضل بالثلاثة على كل مخلوقات الله جميعاً هو وذريته ممن اتبع هدى الله من الأنبياء والأولياء وهي نعمة الله لهم فالحمد لله رب العالمين.

وتلك الثلاثة هي نفخة الروح التي أعطاها الله لآدم حين قال تعالى:

(**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**) سورة الحجر 29.

وتلك الروح تحوي النفس والحياة للإنسان ولكن أصلها العلم والرحمة والحب فإنك قد تكون حياً تتنفس ولكنك لا تملك تلك الثلاثة الذين هم أساس الهدى، فإنك بذلك تكون ميتاً!.

قال تعالى: (**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا...**) سورة الأنعام 122

فهؤلاء أحياء بالنفس والحياة وليس بالروح، فمنهم مهتدى ومنهم ضال، فالهدى من الله ورحمته ومن اهتدى يعلم وهي في أولها أصلاً لحب الله له. (يحبهم ويحبونه) (والذين آمنوا أشد حباً لله)

فالروح من الأمور الصعبة التأويل وقد نعرف الكثير عنها فيما بعد،

قال تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**) سورة الإسراء85 .

فارتباطها بالعلم واضح ولكنهم أوتوا قليلاً من العلم لأنهم فقدوا الصفتين الأخرتين وهما الحب والرحمة، فلا أحبهم الله تعالى ولا أعطى لهم من الرحمة ليهتدوا!

لذلك فالروح من الأمور الغامضة إلى حدٍ ما فى تأويلها إلا أنها حتى الآن "بالنسبة إلى هي الثلاثة اللاتي أعطاهم الله لآدم وذريته وأعطاه الحواس لإدراكها.

قال تعالى: (**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**) سورة السجدة.

وهي التي ميز الله بها الأنبياء والأولياء من أهل الرحمة والعلم، فالنسبة للأنبياء هي الوحي والكتب والتي تحتوي الثلاثة وبالنسبة للعباد الصالحين هي الهداية والرحمة والعلم ومن قبلهم الحب وتلك الصفات هي التي ترفع درجاتهم وتعلو بها منازلهم.

(**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ**) سورة غافر15 .

فنجد اشتراك الأنبياء جميعاً ومن بعدهم الأولياء والمؤولين في تلك الصفات وهي الرحمة والحب والعلم، فهي صفات متتابعة مشتركة بين من أحبهم الله وأعطاهم الرحمة والعلم.

قال تعالى: (**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**) سورة الكهف 15.

قول أصحاب الكهف في الدعاء بالرحمة والرشد، فإن بادئ الأمر هو حب الله لهم ليصطفيهم للحق ومن ثم دعوتهم بالرحمة والرشد، والرشد هو العلم بما يجهلونه والذي هو من أسباب الهدى وتبعيته.

وكما ذكرنا في باب الكلمة والحرف إن أكبر الرحمات والهدى هو الكتاب وكلام الله الذي نزله على عباده والذي يتضمن الرحمة والهدى والعلم والحب، وقد يظن البعض أن هذا حاصل فقط للأنبياء ولو كان كذلك لما كان القرآن إلى الآن فهو الكتاب الخالد بين البشر، فإن الله قد يصطفي من عباده من يعطيه ويعلمه من غير الأنبياء لحكمةٍ يعلمها هو سبحانه وتعالى.

قال تعالى: (**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**) سورة الكهف 65.

مخبراً "سبحانه" عن موسى وفتاه عندما ذهب إلى العبد الذي طلبه موسى ليتعلم منه حينما علم أن على الأرض من هو أعلم منه و غير ذلك أنه يملك العلم الأول فى الأرض، فوجدا عبداً من عباد الله جمع الله له ما بين الرحمة والعلم ولأنه علمه غزير وهو علم لَدُنِّي فإنه من قبل ذلك رحيم وكذلك وجب أن يكون وكما ذكرنا فإن هذا العلم هو علم التأويل!!

وإن كنت تساءلت لما نزل القرآن على محمد ﷺ يحوي الكتاب والذكر، تجد الإجابة واضحة لأنه أرحم الأنبياء كما أخبر الله عنه وعن خلقه.

قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**) (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**).

فالكتاب والفرقان كان لأمم قبل الرسول ﷺ ولكن تجد في هؤلاء القوم تكبُر بالعلم فجعلوا منه ماديات ونظريات وفقدوا السمة الأصلية التي تعقب هذا العلم أو تسبقه وهي الرحمة، وأكثر هؤلاء هم بني إسرائيل، أكثر ما أرى أنهم فقدوا هي الرحمة ومن قبله الحب، أى الصفات التي توجب القرب من الرب تبارك وتعالى وكما يزعمون على أنفسهم "أنهم" أحباب الله فأنزل الله فيهم تكذيب ما يزعمون ولابد، فقصصهم مليئة وأخبارهم رديئةّ.

فالحب يوجب الرحمة مع العلم، وقصص هؤلاء مع الأنبياء لم نرى فيها الرحمة ولا وجدنا فيها العلم والحب، لذلك فإن القرآن الذي هو خاتم الكلام وجب أن يكون على أرحم الناس أجمعين رحمة الله للعالمين محمد ﷺ "الذي كان" (بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً) وتعلم كذلك أنه كلما زادت الرحمة زاد العلم والحب أو العكس، فكان العلم هو القرآن والرحمة في محمد ﷺ والحب في اصطفاء الله له في الغار من قبل وحبه له.

وكونه أرحم الناس ﷺ كان الصحابة على قدر كبير من تلك الصفات من الرحمة والحب والعلم.

قال تعالى: (**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**) سورة الفتح 29.

وكان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي أكمل الناس بعد الأنبياء من أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ ولذلك أتبع ذلك وجوب "وجود" الرحمة والعلم معه.

قال ﷺ **"أرحم أمتي بأمتي أبو بكر"** وكان أيضاً أعلم الصحابة بالاتفاق.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه "وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا به، يقصد النبي ﷺ فجمع بين الحب والرحمة والعلم، وقد علمت أن أبا بكر من المئولين وكان يئول الأحاديث والأحلام أيضاً!!.

فسبحان الرحمن الرحيم الذي هو أرحم بنا من الأم برضيعها وأعلم بكل شيء خلقه وأحب عباده وأحبوه وعبدوه ووحدوه كما وعدوه. (**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**).

ومما سبق تبين لنا أن الحب وجب أن يكون أولاً لله الملك خالق كل شيء الذي بيده الأمر ومن ثم أحب الأشياء والخلائق لحبه تبعاً له سبحانه وتعالى.

وليس هذا فضلاً منك لله بل هو الحق، فالأحق بالحب هو الله وليس للأسباب التي ذكرناها فقط، بل لسبب آخر رئيسي وهو العطاء والذي ينحدر منه العناصر الرئيسية للحب والتي هي أربعة على لسان إيريك فروم وهما:

المسئولية، والرعاية، والاحترام "التكريم"، والمعرفة.

تلك العناصر هي أساسية في جميع أشكال الحب، وهي العناصر التي تستطيع من خلالها الحكم على علاقتك مع محبوبك إن كانت ذو أواصل قوية قادرة على الصمود لفترات بعيدة المدى أم لا، وهل هذا الحب قادر على مواجهة ظروف و إبتلاءات الحياة أم لا؟!!

فأولاً: المسئولية:

المسئولية هي الواجب الذي تشعر به تجاه آخر من حقوق له عليك وعليك له، والاستجابة لاحتياجات هذا الآخر وقدرتك على تلبية تلك الاحتياجات. فمسئوليتك تجاه والديك أو أطفالك وزوجتك أو محبوبك دليل قوي على الحب والروابط التي بينكم وكلما

ازدادت مسئوليتك تجاههم وشعورك بها كلما كان ذلك دليلاً على قوة الحب، لذلك فهو من العناصر الأساسية في قياس الحب.

ولذلك فإذا أردت الحكم على علاقة ما، فإن المسئولية هي أحد عوامل هذا القياس، بل هي عامل مهم تجاه الحكم على هذا الحب ومدى قوته ومدى شدة أواصله، ولا بد لك و أن ترى أو تشعر على أقل التقدير بمسئولية محبوبك تجاهك ومسئوليتك تجاهه وإلا فالروابط فى الغالب أقل مما ينبغى.

وإن نظرنا إلى أبعد من ذلك وجدنا أن أكبر مسئولية هي التي بين الله وعباده، بل التي بين الله وآدم وبنيه على وجه الخصوص.

بدء ذلك منذ اصطفى آدم ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء، فكل ذلك كان تهيئاً له لتحمل مسئولية مسئولية الله عنه!!.

قال تعالى: (**نَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ**...) الأحزاب 72

تلك الأمانة وجب لها ما أعطاه الله للإنسان دون عن سائر خلق الله من حواس وقلب وكتب إلهية وعلم وحرية اختيار فكل ذلك أنت مسئول عنه وهو من مسئولية الله عنك إذ لم يتركك في غيبات الحياة وفي قبضة إبليس.

قال تعالى: (**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا**) سورة الإسراء.

وقوله سبحانه لإبليس في نفس السورة.

(**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلً**) الإسراء 65.

ومن مسئولية الله تجاه عباده أيضاً هي استجابته لدعائهم إذا أصابهم خير أو سوء في البر أو البحر على الرغم من أن ما حدث نتيجة لعمل أو فعل عملته أنت خارج نظام الخلق فكان الضر نتيجةً له، فإن أى سوء لك يكون من نفسك.

قوله: (**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**) الشورى 30.

وقوله محدثاً عن مسئوليته تعالى تجاه خلقه وفي سورة الإسراء أيضاً. (**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ**) الإسراء 67.

وفي الزمر

قوله: (**وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ**) الزمر 8.

وغيرها الكثير من الآيات، لذلك فإن مسئولية الله تجاه الإنسان أكبر وأوثق من مسئولية الإنسان تجاه ربه، فإن أغلب الناس كافرين (**وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**).

ومن مسئولية الله أيضاً، تسخير كل نواحي الحياة تجاه الإنسان والتي تعينه على الفكر والتدبر والعيش الرغد السعيد، فنجد قول إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه الذين اتخذوا الأصنام آلهة من دون الله تبارك وتعالى، فقال لهم (**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ**) سورة الشعراء 73.

ثم أخبر عن مسئولية الله تجاه عباده جميعاً، منكراً عبادة ما سوى الله فقال: (**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا**

مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) سورة الشعراء.

فذكر أن ما أنت فيه من الله من سكون وحركات وكلام وخطرات، إلا المرض جعله من نفسه وذلك للأدب مع الله ولأن المصيبة أصلا من نفسك كما قلنا لفعل أو قول كان خارج منظومة الخلق وجب أمامها مرض أو غيره.

قد علمت الآن ما استطعنا حصره من مسئولية الله تجاهك، فأول عنصر من عناصر قياس الحب وجدناه لله فهو أولى به وأحق وليس فضلاً منك ولا شفق.

ثاني عنصر من عناصر قياس الحب هو الرعاية:

الرعاية هي حفظ الشيء والاهتمام به وتولي أمره كرعاية الأم بطفلها ورعاية الأب لأسرته وغيرها من أنواع الرعاية والاهتمام وهي الجانب الثاني بعد المسئولية فهي تكملها ولازمة لها، وهذه الرعاية ليست فقط بين البشر وبعضهم البعض، بل نجد أناساً يرعون المزارع والحيوانات والطيور وغيرها من مخلوقات الله الذين هم مسئولون عنها.

وفي الحديث قال " ﷺ: **"كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته فالأب راع ...."**

فالراعية تكملة للمسئولية، بما أنك مسئول وجب عليك الرعاية، وهي من علامات إثبات أن حب الرجل دائماً يكون أكبر من حب المرأة له فالرجل دائماً ما تجده مسئولاً ويهتم ويرعى زوجته أو محبوبته وقد يكون هذا جلياً فى بادئ العلاقة ثم سرعان مايقل لدى الذين فى حبهم خلل ولكن الأصل أن الرجل رعايته أكبر ولكن بالمثل وجب أن تجد منها رعاية

ما تقيس بها مستوى هذا الحب وهذه العلاقة و هذا يبدأ فى الظهور بعد توطيد العلاقة بعد كسر حاجز الخجل لديها فتزداد الرعاية منها تجاهك ومن هنا تستطيع الحكم ويتجلى أمامك بوضوح قياس هذا العنصر.

وكما رأينا مسئولية الله تجاه عباده والتي هي أكبر كثيراً من مسئوليتهم تجاهه سبحانه، فإن رعايته أيضاً لنا واضحة جلية بدءاً من آدم حيث أسكنه الجنة وليس ذلك وحسب بل إنه أخبره بعداوته لإبليس وحذره منها كما تحذر الأم طفليها والوالد أبنائه ولله المثل الأعلى.

فقال تعالى: (**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى**) سورة طه 117.

فمنع عنه الجوع والعطش والحر والبطش ووارى عنهم سوءاتهما إلى أن ظلما أنفسهم فبدت لهم سوءاتهم.

وهذه الرعاية أيضاً نجدها مع الرسول ﷺ حيث قال الله له في سورة الضحى: (**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**) وقال له: (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**) سورة الضحى.

وهو رعايته له سبحانه وتعالى وهي دليل على كمال المحبة والحب من الله إلى رسوله الكريم.

ومن رعايته أيضاً سبحانه رعايته لعموم البشر أجمعين، فحينما بدت لآدم وزوجته سوءاتهما لم يجعلهم عراة ويتركهم كذلك بل واراها ثانية رعايةً لهم ولذريتهم وكما قال

تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ...**) سوة الأعراف 26.

فاللباس هو الملبس الذي تداري به الناس عوراتهم وسوءاتهم، أما الريش فهو ما يتجملون به ولذلك فإن لباس الناس طبقتين جزء تداري به العورات وآخر تتجمل به وتتزين، ولذلك فإن إقتصار لباس الناس على ما يدارون به عوراتهم فقط وهو ما نجدً مثلاً في البحار والشواطئ وغيرها هى من فتنة الشيطان وأغلب هذا يكون عند البحر حيث عرش إبليس.

قال تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا...**) سورة الأعراف 27.

وهذا ليس فقط لخدش الحياء، فإنك إن لم تستح فاصنع ما شئت، ولكن هذا الفعل يكشف ستر الله عن العباد حيث فتنة الشيطان وقد تركت نفسك لها، فاحذر واحذري من هذه الفتنة فقد تفضح بسبب ذلك، فإن نزع الملبس يئول للمعصية و الفضح كما ان المعصية تئول إلى هتك الستر،وكم من افعال لا تدري لها بالاً وتأتي عليك بحسرتها وبالاً!.

ومن رعايته أيضاً أنه يمسك السماء أن تقع على الأرض وينزل الغيث ويقسم الأرزاق وغيرها من نعم الله التي لا حصر لها والتي تثبت رعايته لك في كل نفس تتنفسه وخطوة تخطوها.

فالعنصر الثاني له أيضاً سبحانه وتعالى، فالرعاية منه أكبر و أشد تجاه مخلوقاته و أولها البشر.

العنصر الثالث من العناصر الرئيسية في الحب هو "الاحترام" وهذا في العلاقات إما بالنسبة من الخالق لمخلوقه فهو "التكريم".

الاحترام في العلاقات يقوم على تقبل الآخر على ما هو عليه وتوقيره في عينك وقلبك حتى مع علمك بأخطائه وعثراته، فتنظر في فكره ومراده وغايته واستدلاله من أفعاله وأقواله ولذلك يقولوا احترمت رأيك أي نظرت فيه وبَجَّلته أي أعظمته، وإنك مثلاً إن رأيت شخصاً يحبس شخصاً في غرفةٍ أو سجنٍ فإنك سترى عدم احترام السجين للمسجون ولذلك قلنا إن الاحترام قائم على تعظيم الشخص أو الطرف الآخر مع علمك بعثراته وعيوبه وترك له مساحة في التفكير وإبداء الرأي وعدم تقييده على فكر عين إلا في حالة الفساد ولكن المعتقد يختاره "بحرية" وتناقشه فيه.

لذلك فإن الاحترام من علامات قياس قوة العلاقة بين الاثنين والحكم عليها، فإن الطبائع تختلف ولكن قوة تقبل كل للآخر من العوامل القوية على العلاقات طويلة المدى وهي من علامات الحب أيضاً.

فإنك مثلاً إن كنت تكره العناد وبشدة من الطرف الآخر، فإن من علامات الحب أن تجد العناد يسير على قلبك أو أقل قوة وتأثيراً عليك من ذي قبل، والبخل مثلاً الذي تكرهه المرأة من الرجل فإنها تجده ليس بالعيب الشديد فيه بل تراه فى هذا الشخص مع هذا العيب بالشخص المريد.

والعصبية قد تكرهينها في حياتك ومن الرجال مثلاً وفجأة فى هذا الرجل تجديها على قلبك حلوة المذاق بعد أن كانت لا تُطاق!!.

وهذا هو " الإحترام " فى العلاقات وهو أن تحترم وتتقبل إختلاف أراء أو صفات المحبوب أو تجدها أقل تأثيرا عليك من المعتاد مع الناس العاديين و الأشخاص الأخرين .

وبالنظرة التأويلية لحب الله للإنسان وجدنا تكريما كبيراً له على الرغم من علمه به وبحاله وأنه أقرب للعصيان منه إلى الرشد لولا فضل الله علينا (**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلً**).

ولذلك مع علم الله بحال بني آدم إلا أنه كرمه وميزه.

قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلً**) سورة الإسراء 70.

وهو أكرم التكريم فجعله مكرم في الأرض وفي السماء قبلها يوم خلق آدم بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وفضله على كثير ممن خلق واستدل بها على أنهم أفضل من الملائكة وقد أثبتنا ذلك.

ومن تكريمه له أيضاً خلقه في أحسن تقويم.

(**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**) فجعله يمشي مستوياً غير لحيوانات ويأكل بيديه ويبصر ويسمع ويعقل ويفقه ويميز بين الأشياء وقبلهم أنه جعل الإنسان يحب!!.

ومن علامات تكريمه أيضاً للإنسان، الدفن بعد الموت فلا يُلقى في البحار ولا بجوار الأشجار، وتلك السُنة أتت من جراء قتل قابيل لأخيه هابيل.

قال تعالى: (**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**) سورة المائدة.

فكان قابيل لا يعلم كيف يدفن، فأرسل الله إليه غرابين أخويين وقتل أحدهما الآخر فحفر له ثم حثا عليه التراب حتى واراه فتعلم الدفن وكـان هذا تكريماً للإنسان.

وهذا التكريم مع علم الله بآدم وذريته وبنيه ومساوئهم ولكنه دلالة حب الله لآدم وبنيه وتشريفهم لهم.

لاحظنا ارتباط الاحترام والتكريم بالعلم والمعرفة، فلكي تحترم رأياً أو شخصاً وأيضاً تكريم الله لآدم ارتبط بمعرفته به وبخواصه وتأويله، لذلك كان لزاما وجود العنصر الرابع.

العنصر الرابع من العناصر الرئيسية هو: المعرفة:

والمعرفة هي العلم بالشيء وإدراكه بأي حاسة من الحواس فتصبح مدركاً ما تراه أو تسمعه أو تحسه.

المعرفة في الحب لازمة بل إننا وجدنا أن الاهتمام والرعاية والمسئولية لا يظهروا بدون المعرفة، فالمعرفة هي المدخل لهم لأن بدئها يكون بالحواس ومن ثم تأتي القرارات والإجراءات التبعية لها من اهتمام ومسئولية ورعاية وعطاء .... الخ.

والمعرفة درجات فأولاً المعرفة السطحية وهذا من جانب البشر طبعاً، وهي أن تسمع عن الآخر أو تكون فكرة بسيطة عنه تستحسنه بداخلك فتجعلك تريده، وثانياً المعرفة العميقة وهي أن تعرف ما بداخل الآخر بدون أن يبوح لك فتعرف ما عليك فعله من رعاية أو اهتمام أو ما يناسب الموقف والحالة التي عليها الآخر وكلما عرفت الآخر أكثر كلما تعمقت بداخله أكثر وأردت ذلك وأباح هو لك ذلك أيضاً وفتح قلبه لك فهو مستودع الأسرار والأخبار!

فالمعرفة من العناصر الرئيسية للحكم على قوة العلاقة والروابط بينك وبين شريكك، فانظر إلى ما تعلمه عنه ويعرفه عنك من أمور دفينة وأعماق حزينة، فهل يفهمك في كل موقف لا تتحدث فيه عن حالتك؟!

وقد يحبك الشخص ولكن لا يتخلل إلى داخل قلبك ولم يحثه فضول الحب على العمق بداخلك و لا بالسؤال عنك كثيرا، و لا بشغف المعرفة التى تجعله حيراناً طالما أنه خفى عليه حدث أو خبر عنك، فاعلم حينها أن هذا ليس هو الشخص المنشود ولا هذا هو الحب المقصود.

ومن يعلمك ويعرفك أكثر من خالقك وبارئك الله الخالق البارئ، فهو الذي أحاط بكل شيء علماً، دائماً ما تجده بجانبك يعرف خباياك ويغفرها وجناياك ويسترها.

قال تعالى: (**قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**) آل عمران 29.

سواء أسررت أو أعلنت فهو أعلم بك من نفسك وأقرب منك منك نفسك.

قال تعالى: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) سورة ق.

وهذا دليل على قرب الله من عباده ومعرفته بهم، بل إن العبد يشعر بهذا القرب من حين لآخر حتى لو كان ملحداً.

فإن المعرفة تتطلب حباً شديداً كفضول الأطفال لمعرفة ألعابهم وفضول الفيزيائيين والكيميائيين في البحث والتجارب مثلاً، فالمعرفة تنتج من الحب، وبالقياس فإننا نجد أن الأربعة عناصر كان الله الحق الأحق فيها بهذا الحب، فالأربعة عناصر أوضحنا فيها أن الله

يحب الإنسان حباً شديداً وهو حب جلي واضح من النعم والآلاء والتسخير والخلافة والخلق والكتب والنور والقرب والتكليم والتحكيم والملك والعلم والحلم والرفعة والعلو والسمو، فكيف بآيات الله ونعمه نتلوها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها!!.

ولذلك كلما عرف العبد ربه أكثر كلما ازداد حباً له وقرباً، وإنما هي في البدء من حب الله له أولاً بل حب الله له أشد.

قال تعالى: (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**) البقرة 165.

وهو إخلاص المحبة فلا يشرك مع حب الله حب، وكيف يشرك معه حب وقد علم حب الله له وقربه منه فليس لأحدٍ أقرب منه من الله ولا أحد يحب مثل حب الله فكيف يجعل له نداً في الحب، والعجيب وليس بغريب أن حب الله للعبد إن ازداد بعلم العبد وتقربه من الله فإن الله أوجب محبة الخلائق له وجذبه لهم وكيف لا؟ وهي تأويلية واضحة للحب فإن حب الله لك وحبك له لهما من الطاقات والأسرار ما جعلت الأنبياء أنبياء والأولياء أولياء.

قال ﷺ **"إذا أحب الله العبد دعا جبريل، فقال إني أحب فلاناً، فأحبه، فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول في الأرض"**.

ولذلك علم العارفون والمقربون أهمية محبة الله للعبد ومنزلتها وتأويلها فذهبوا يطلبونها في دعائهم ويبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب.

قال النبي ﷺ "كان من دعاء داود عليه السلام: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسي وأهلي ومن الماء البارد".

والنبي ﷺ كان يقول في دعائه: "اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك. اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما آويت عني مما أحب فاجعله فراغاً فيما تحب".

فالتمسوا محبته في كل فعل وقول ليتقربوا منه ويعلموا عنه، وهنالك أعمال "ومنازل" تساعدك على الحب خاصةً والقرب عامةَ من الله القريب المجيب منها ماسنذكر بعضاً منها لتحصِّل من هذا الحب ولو القليل وتعلم أى الأعمال أحب إليه سبحانه وتعالى وهى ::

**ذكر الله دائماً باللسان والقلب والفكر.

قال موسى عيه السلام: أي رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال: من أذكر برؤيته.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قال موسى عليه السلام: يا رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكراً.

سأل أعرابي رسول الله ﷺ: "أي الأعمال أفضل؟! فقال: أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله".

وفي الأثر لإلهي: يقول الله تعالى: (إذا كان الغالب على عبدي ذكري، أحببته وأحببني).

وقال تعالى: (**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) سورة الأنفال 45.

وقال تعالى: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**).

وفي الحديث القدسي: "من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيراً منه".

وغيرها الكثير من الدلائل، فالذكر مفتاح القلوب والقرآن ذكر والتفكر ذكر وحبه من بعدهم ذكر.

****الخشية والمناجاة :** من الأعمال المقربة والمنجية من الدنيا وملاذها

قال تعالى: (**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**) سورة الزمر9.

فالآية جمعت بين الخشية والمناجاة والتفكر والعلم، فكل يأتي بالآخر، فهؤلاء الليل أنيسهم يخلون فيه بحبيبهم.

وذكر أحمد الحواري، قال دخلت على أبي سليمان للداراني، فوجدته يبكي، فقلت له: وما يبكيك يا سيدي؟ قال لي: يا أحمد، إن أهل المحبة إذا أتاهم الليل، افترشوا أقدامهم، فدموعهم تجري على صدورهم بين راكع وساجد، فإذا أشرف المولى سبحانه عليهم، قال: يا جبريل، بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إلى مناجاتي، وإني لمطلع عليهم، أسمع كلامهم وأرى حنينهم وبكاؤهم، فنادهم يا جبريل وقل هم: ما هذا الجزع الذي أرى

بكم؟ هل أخبركم مخبرٌ أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار؟ أم هل يحمل بي أن أبيِّت قوماً، وعند البيات أمرهم إلى النار؟ لا يليق هذا بعبدٍ ذميم، فكيف بالملك الكريم؟!

فبعزتي لأجعلن هديتي إليهم أن أكشف لهم عن وجهي الكريم فأنظر إليهم وينظرون إليّ.

عن أبي الجلد قال: قرأت في الحكمة "من كان له من نفسه واعظ، كان له من الله حافظ".

وقال لقمان لابنه : أي بني، إن الدنيا بحر عميق، قد غرق فيه ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله عز وجل، وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو، ولا أراك ناجياً"

وعن عون بن عبد الله قال: "قال لقمان لابنه: ارج الله عز وجل رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافةً لا تيأس فيها من رحمته، قال: يا أبتاه، وكيف أستطيع ذلك؛ وإنما لي قلب واحد؟ قال: يا بني، إن المؤمن لذو قلبين: قلب يرجو به، وقلب يخاف به".

وعن ثابت أبا يزيد قال: "كان داود عليه السلام يطيل الصلاة، ثم يركع، ثم يرفع رأسه، ثم يقول: إليك رفعت رأسي يا عامر السماء، تنظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء".

وكان أويس القوني يقول: لأعبدن الله عبادة الملائكة، فكان يقوم ليلة قائماً وليلة راكعاً وليلة ساجداً!!

جنحت شمس حياتي وتدلت للغروب

وتولى ليل رأسي وبدا فجر المشيب

رب خلصني فقد لججت في بحر الذنوب

وأذلني العفو يا أقرب من كل قريب

وكان منصور بن المعتمر يبكي طوال الليل وصام أربعين وقام ليلها، فأشفقت أمه عليه وقالت له: يا بني لعلك قتلت قتيلاً؟

فقال: كم أنا أعلم بما صنعت نفسي وقال:

وكان الرسول ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه يدعو ربه ويناجيه.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: "ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا".

**** مجالسة الصالحين والتقرب منهم ومجالس الذكر.**

فتلك المجالس تحفها الملائكة، فربما نجوت بدعوة أحدهم من الصالحين والأولياء، فطاقات هؤلاء مع تأمين الملائكة يبعث على دفع النور في الصدور وتحقير النفس من الشرور وطرد الكبر والغرور.

قال تعالى: **(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)** سورة الكهف.

أي اجلس يا محمد مع الذين يذكرون الله ويسبحونه بكرة وعشياً من عباد الله الفقراء كانوا أو الأغنياء، وهذه نزلت لما أراد أغنياء قريش أن ينفرد بهم الرسول وحده دون بعض الصحابة الضعفاء.

وقال ﷺ: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفوراً لكم قد بُدلت سيئاتكم حسنات".

ذكر ابن المبارك في الزهد عن عبيد الله بن عمر قال: "قال لقمان لابنه: يا بني، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك؛ فإن الله تبارك وتعالى ليحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء"

- الوابل: المطر الشديد.

وذكر أيضاً ولكن عن معاوية بن قرة قال: "قال لقمان لابنه : يا بني جالس الصالحين من عباد الله؛ فإنك تصيب من محاسنهم خيراً، ولعله أن يكون آخر ذلك أن تنزل عليهم الرحمة، فتصيبك معهم، يا بني لا تجالس الأشرار فإنك لا تصيب من مجالسهم خيراً، ولعله أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم عقوبة، فتصيبك معهم".

كقول أبو بكر الصيدلاني : سمعت سليمان بن عمار يقول: رأيت أبي في المنام فقلت له: ما فعل بك ربك؟! فقال: إن الرب فربني وأدناني، وقال لي: يا شيخ السوء أتدري لم غفرت لك؟ فقلت: لا يا إلهي. قال: إنك جلست للناس يوماً مجلساً فأبكيتهم، فبكى عبد من

عبيدي لم يبك من خشيتي قط، فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

وقال ﷺ: **"لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده"**.

وقال أيضاً ﷺ: **"أيها الناس، ارتعوا في رياض الجنة، قالوا يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ فقال: مجالس الذكر"**.

فذكر الله من القربان، وكما ذكرنا في باب الكلمة والحرف فإن الكتاب الذي أنزله على رسوله فيه من الذكر والتأويل والقرب ما يجعلك لا تفتر منه أبداً، ولا تمل منه دهراً، ففيه ذكر القلب واللسان والجوارح والأركان.

"إذ ما خلونا والرقيب بمجلس ** فنحن سكوت، والهوى يتكلم"

وهذا حال المحبين في مجالس الذكر وغيرها..

** العلم والتعلُّم والتفكر...

من أعظم وأجلى وأرفع الأشياء، فبه سجدوا لآدم فكانت له الرفعة والعلاء، هو سبيل الراحة والنماء ومعه تصل وتعلو إلى السابع من السماء و **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)** سورة فاطر.

هو سبيل الهداية والحب والقرب، أرفع المنازل وأيسر الهداية، يزيح لك الغيوم من الدراية، يجعلك كالنجوم في السماء ويحقق لك العافية والرخاء.

قال رسول الله ﷺ: **"إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة".**

فالعلم والتفكر يجعلان العبد في نعمة وقرب لم يأتيا من قبل في مخيلته وهذا غير محبة الرب التي نحن بصدد البحث عنها وعن سبل الوصول إليها.

قال عيسى عليه السلام: **من تعلم وعلم وعمل فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.**

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبة عباده، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنس في الوحدة والصاحب في الخلوة".

وعن أم هاني قالت قال ﷺ: **"العلم ميراثي وميراث الأنبياء قبلي، فمن كان يرثني فهو معي في الجنة".**

وعن البراء بن عازب وأنس رضي الله عنهما قالا:

"العلماء ورثة الأنبياء تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة".

وعن معاذ بن جبل أن العالم هو أمين الله في الأرض.

وعن أنس قال: العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوماً خير من قيام ثلاثة أشهر.

وعن يزيد بن صبيح قال: قالت الحكمة: "يا ابن آدم، تلتمسني وأنت تجدني في حرفين: تعمل بخير ما تعلم، وتدع شر ما تعلم".

وذكر أبو نعيم في الحلية عن كتاب بن قلابه قال: "عن لقمان أنه قيل له: أي الناس أعلم؟ قال: من ازداد من علم الناس إلى علمه، قال: فأي الناس أغنى؟ قال: الذي يرضى بما أوتي، قال: فأي الناس خير؟ قال: المؤمن الغني، قال: من المال؟؟ قال لقمان: لا، بل من العلم؛ فإن احتاجوا إليه وجدوا عنده علماً، وإن لم يحتاجوا له أغنى نفسه".

وقال ﷺ: **"من سلك طريقاً يلتمس سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وأن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر"**.

وإن البعض يرى صعوبة لتحصيل العلم في الوقت الحاضر مع ظروف الحياة وضيق الوقت والعيش، وهذا رغم سهولة العثور والحصول على أية معلومات في أية وقت فلم يعد هناك حاجة لسفر أو لشد رحال لتحصيل حديث أو كسب علم، وهناك من يقول إن العلم يؤتيه الله لصفوة من عباده وليس لكل عباده، فقلت: صدقت ولكن من صدق في طلبه صدقه الله وإن لم يحصله، فموسى بلغ مجمع البحرين وناله التعب والجهد من أجل تحصيل علمٍ ما لم يناله ولكن الله صدقه وسواء أعلمه هذا العلم الذي للخضر أم لا فإن رجع بأفضل مما جاء به وهو طلب العلم في حد ذاته.

وقلت إنك إن لم تستطع تحصيل العلم فلابد لك من التفكر في آيات الله ونعمه ومخلوقاته وبديع صنعه وماهية تأويلاتها وهي الغاية من الخلق، فقد أوردنا باباً للألوان وحدها وعن تأويلها والقلوب والحب في الجزء الأول من التأويل وهناك الكثير من التأويلات في كل مخلوقات الله ومصنوعاته.

قال تعالى: (**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**) سورة يونس 101.

وهو التفكر في خلق بديع السموات والأرض وليس النظر المجرد إلى السموات والأرض، ومثل هذا كثير جداً في القرآن.

قال تعالى: (**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ**) سورة الحج.

وقال تعالى: (**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**) سورة ق.

والتبصر والتذكر اقتران بالإنابة الحاصلة من العبد إلى ربه وهي بداية من التفكر في آيات الله فكل مربوط بالآخر، فهذا يأتي بذاك والعكس صحيح.

قال الحسن البصري: مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت، فإذا لها أسماع وأبصار، فنطقت بالحكمة وضربت الأمثال، فأورثت العلم.

وقال لقمان: طول الوحدة أفهم للتفكر، وطول التفكر دليل على طريق الجنة.

وقال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة.

وقالت أم الدرداء رضي الله عنها عن أبي الدرداء قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

وقال ﷺ: "تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله".

**** وآخر تلك المراتب وأعلاها منزلة: خلو القلب مما سوى الله.**

وهي أعلى درجة قد يصل إليها العبد من حبه لله ومن حب الله له، فتجعلك لا ترى الأهواء لا يشارك محبة الله عليها، فيكون قلبك للأنس طالباً فلا يأنس إلا به، له همه في طلب الوصال فيذهب تارة للذكر وتارة للعزلة وتارة للتدبر والتفكر وأخرى يبتهل ويتجهد فيكون له في كل بابٍ مسلك وليس لأحدٍ مع الله في قلبه يُشرك!!.

فطاب قلبه وعلم لما وصل من معرفة حبيبه الأول، فبعث الله نوراً له لا يسكن قلبه إلا به، فيتململ القلب إذا سكنه غيره في غير رضاه سبحانه وتعالى، فلا يرتاح ولا يسعد حتى يعود لحبيبه الأولِ.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبـــيب الأوَّل

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبداً لأول منـــــزل

وفي الخبر، قال الله لداود عليه السلام: يا داود، إن كنت تزعم أنك تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك، فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب واحد، يا داود، من أحبني، يتهج بين

يدي إذا نام البطالون ويذكرني في خلوته إذا لها عن ذكري الغافلون، ويشكر نعمتي عليه إذا غفل عني الساهون.

طوبى لمن سهرت بالليل عيناه وبات في قلق من حب مولاه

وقام يرعى نجوم الليل منفرداً شوقاً إليه وعين الله ترعاه

يروي عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى أنه قال: خرجت أريد الحجاز ولم أصحب أحداً من الناس، فبينما أنا سائر، إذ وقعت في أرض صحراء من التيه، وقد نفذ زادي، فأشرفت على الهلاك، إذ لاحت لي شجرة في وسط الصحراء دانية الفروع، متدلية الأغصان، كثيرة الأوراق، فقلت في نفسي: أسير نحو هذه الشجرة، فأكون في ظلها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فلما وصلت إلى الشجرة، ودنوت منها، وأردت الدخول في ظلها، فأخذ غصن من أغصانها بركوتي، فانهرق الماء الذي كان بقي لي فيها أحيي به رمقي، فأيقنت بالهلاك، وطرحت نفسي في ظل الشجرة، وبقيت أنتظر ملك الموت ليقبض روحي، فإذا أنا بصوت حزين وهو يقول: إلهي وسيدي ومولاي، إن كان هذا رضاك مني، فزد حتى ترضى عني يا أرحم الراحمين.

فقمت وجعلت أمشي نحو الصوت، فإذا أنا بشخص حسن الصورة، وهو ملقى على الرمل، والنسور قد أحدقت به تريد أن تنهش من لحمه، فسلمت عليه فردّ السلام، وقال لي: يا ذا النون، لما نفذ الزاد، وانهرق الماء، أيقنت بالموت والفناء، فجلست عند رأسه، وجعلت أبكي رحمة لبكائه، وشفقة لما رأيت منه.

فبينما أنا كذلك، إذ أنا بقصعة من الطعام وضعت بين يدي، فوكز الأرض بعرقوبه، فإذا بعين من الماء قد تفجرت، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فقال لي: يا ذا النون، كل واشرب، لا بد لك من الوصول إلى بيت الله الحرام، ولكن يا ذا النون لي إليك حاجة، فإن قضيتها فلك الأجر والثواب، فقلت: وما هي؟ قال: إذا أنا مت، فاغسلني وادفني، واسترني من الوحش والطير، وسر فإذا قضيت الحج، فإنك تصل إلى مدينة بغداد، وتدخل من باب الزعفران، فإنك تجد هنالك الصبيان يلعبون، وعليهم ألوان الثياب، فتجد هنالك شاباً، صغير السن، ليس يشغله شيء عن ذكر الله تعالى، قد تحزّم بخرقة، وجعل على كتفيه أخرى، في وجهه خطان أسودان من آثار الدموع، فإذا وجدته فذلك ولدي وقرّة عيني، فأقرئه مني السلام.

قال ذا النون: فلما فرغ من كلامه، سمعته يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وشهق شهقة فارق الدنيا رحمة الله عليه، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكان معي قميص في وعائي لا أفارقه فغسلته من ذلك الماء، وكفنته وواريته التراب، وسرت إلى بيت الله الحرام وقضيت مناسك الحج، وخرجت إلى زيارة قبر رسول الله، فلما قضيت الزيارة وسرت إلى مدينة بغداد، فدخلتها في يوم عيد، فإذا أنا بالصبيان يلعبون وعليهم ألوان الثياب، فنظرت فرأيت الصبي الموصوف جالساً لا يشغله الموهوب عن علام الغيوب، وقد ظهرت على وجهه الأحزان، وفي وجهه خطان أسودان من آثار الدموع، وهو يقول:

الناس كلهم للعيد قد فرحوا وقد فرحت أنا بالواحد الصمد

الناس كلهم للعيد قد صبغوا وقد صبغت ثياب الذل والكمد

الناس كلهم للعيد قد غسلوا وقد غسلت أنا بالدمع للكبد

قال ذو النون: فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، وقال: مرحباً برسول أتى من أبي، فقلت له: من أخبرك بأني رسول أتيتك من أبيك؟ قال: الذي أخبرني أنك دفنته بالصحراء. يا ذا النون، أتزعم أنك دفنت أبي بالصحراء؟! تعالى سر معي إلى جدتي.

فأخذ بيدي وسار معي إلى منزله، فلما وصل إلى الباب نقر نقراً خفيفاً، فإذا بالعجوز قد خرجت إلينا، فلما رأتني، قالت مرحباً بمن تمتع بالنظر في وجه حبيبي وقرّة عيني.

قلت لها: من أخبرك بأني رأيته؟ قالت: الذي أخبرني بأنك كفنته وإن الكفن مردود عليك. يا ذا النون، فوعزة ربي وجلاله، إن خرقة ابني يباهي الله بها الملائكة في الملأ الأعلى.

ثم قالت: يا ذا النون، صف لي كيف تركت ابني وقرة عيني وثمرة فؤادي؟ قلت لها: تركته في القيافي والقفار بين الرمال والأحجار، وقد حضي بما أمل من العزيز الغفار.

فلما سمعت العجوز ذلك بكت وضمّت الصبي إلى صدرها، وغابت عني، وحجبت عن نظري، فلا أدري: أفي السماء صعد بها، أو في جوف الأرض هبط بها، فصرت أطلبهما في أركان الدار، فما وجدتهما، فسمعت هاتفاً يقول: يا ذا النون لا تتعب نفسك، فلقد طلبتهم الأملاك، فلم يجدوهم.

فقلت: أين صاروا فقال لي: إن الشهداء يموتون بسيوف المشركين، وهؤلاء المحبون يموتون بالشوق إلى رب العالمين، فيحملون في مركب من نور في مقعد صدق عند مليك مقتدر...

فتلك قلوبهم الشوق والحب لله وحده، فهي ملاذهم وخلاصهم، وهذا هو المقصود والطلب المنشود، فإن استطعت أن تفعل فحينها تستطيع أن تحب العالم كله لأن قلبك قد استكان وعلم ما فيه من برهان، فالحب في حقيقة الحب وليس في الأشخاص، فإن علمت حقيقة الحب وعلمت الله حقاً فقد وصلت لذروة المحبة لقلبك أي قوة طاقته وتشغيله فإن أحببت بعدها العالم كله بما فيه لم يشبعك ولم يغنيك، فقلبك تعود على درجة كبيرة من عوامل قياس المحبة من اهتمام أو رعاية ومسئولية وغيرها، ولا يُفهم من كلامي أنك لا تحب أحداً لأنه لن يغنيك ولكن اعلم كيف تحبه وتستفيد من حبه ليكون ذلك عوناً لك لا شقاءاً عليك؟!!

ولذلك قلت:

*** "إن قلبك هو ترجمان الأزمان، والحب فيه بمنزلة الشجرة في البستان*.**

❁ ❁ ❁

البستان

إن قلب الإنسان هو البستان، مستودع الحب والحنان، قد خلق من قبل من الرحمن فالأولى به الله الملك ذا المن والإنعام.

وإن مرض القلوب من الذنوب وكثرة الناس فيه من العيوب، فخلوا به مع الله وقت الغروب، فإن الله هو أول اسم فيه مكتوب.

إن القلب دار وقبل أن تدخله وجب أن تتقي النار، فهو جميل مع الأخيار وإن شئت فاحفظ فيه من الأسرار.

تعلم أنك لابد لك وأن تدخل الجنة قبل أن تتزوج الحور العين وتدخل البستان قبل أن تزرع فيه زرعك وأن ترى فيه وردك.

وكذلك القلب لابد أن تعمره قبل أن تسكن فيه أحداً، فهو كالبستان تماماً لابد لك أن تبني البستان وتهيئه قبل أن تزرع فيه الشجر والنخل، وهذا البناء هو حب الله الرحمن والذي هو منبع الحب، فإنك إن أحسنت بناء البستان وزينته بالقرب منه سبحانه وتعالى بات المنظر جميلاً والبستان مزدهراً، وأصبح كل ما تزرعه جميل وله منظر أصيل فالأرض مزينة من قبل الجميل وأصبح البستان الآن جاهزاً لتزرع فيه نخلة أو شجرة أو وردة فالبستان جاهز تماماً لاستقبال الزوار وكل إضافة فيه من لطائف الأسرار، فهي تزيده حتماً جمالاً ووقار!!

ولذلك فإن الحب سيزداد وينمو فالبستان لله فيأتيك المطر والغيث و الإمداد وهم معونات و مؤن الحياة وذلك متى أردت ومتى احتاجت أى شجرة من الشجر، وهي مؤنثة كناية عن التشبيه بالنســـاء وكذلك الوردة والنخلة والثمرة والبذرة كلها لو لاحظت مؤنثة تعامل معاملة النســـاء في القلوب فاحرص على الاهتمام بزرعك وبستانك.

فكلما كان البستان جميلاً كان المزروع فيه جميلاً، لأن ما حول الشيء يجمله ويزينه ويزيده نضرة وليس ذلك فحسب، بل إن جمال البستان يزيد من جاذبية مالك البستان فتتسابق الورود والأشجار لتكون ضمن محتويات هذا البستان فهى تنجذب إليه بالفطرة الخلقية، فهو سوف يزيد من قيمتها ونضارتها.

واحذر بعد ذلك من أنك قد تسهو وتنسى البستان وتصب تركيزك واهتمامك على نخلة أو شجرة معينة، زوجة كانت أو حرفة أو محبوب أو أي حب كان، فتأخذ من وقتك وتنمو وتتعلق بها فيبدأ اهتمامك بها يأخذ من اهتمامك بباقي البستان فتأخذ تلك الشجرة حجماً أكبر من حجمها المقدَّر لها بداخل البستان ومن هنا فاعلم أنك ذاهب للابتلاء بتلك الشجرة، وهي وحدها دون غيرها داخل البستان الذي بدأ يدب التقصير فيه فبدأ يصفر ويقل جماله، وهذه الزيادة في النمو الزائد للشجرة هي بداية النهاية فكل تطور نهايته هلاك (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**) فهي طبيعة النمو.

أما مع جمال البستان وجمال الشجرة مع بعضهما البعض فإن الزمن سيطول لأنه سيكون ضمن تسبيح الله فإن الله حي فتطول مدة الحب وتزداد فيه البركة، بينما في الزيادة للشجرة وحدها فإن الهلاك موعدها، والموت والهلاك له نهايتان لا ثالث لهما، إما عذاب أو راحة تريح صاحبه من حياته.

أما العذاب فقد علمناه فعذاب الحب معروف في غير مرضاة الله وفى نشأة الحب الخاطئة فقصص الحب مليئة ولأنه أيضاً يكون دائماً مقارن مع حب الله في القلب أو بدونه أصلاً فيذهب بالطبيعة إلى البوار والهلاك.

بينما الراحة فسوف تجدها بعد فترة من مفارقة الحبيب، فتجد قلبك بعد العذاب استراح فقد كان الحب أو الشجرة بداخله تنمو عبثاً بغير نظامٍ ولا احترام.

قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا**) سورة التغابن.

وكقول الكاتب إيريك فروم: وإن من أخطاء الحب الشائعة، أن اثنين يكونا غريبين شأننا جميعاً ويسمحا فجأة للحائط بينهما أن يسقط ويشعرا بالقربى، شعرا بأنهما أصبحا شخصاً واحداً، فإن هذهاللحظة الخاصة بالشعور بالواحدية هي من أشد التجارب في الحياة ابتعاثاً للبهجة والإثارة. وهذا النمط من الحب لا يدوم بطبيعته نفسها، فالشخصان يزدادان تعرفاً على بعضهما، وتشرع حميمتهما في فقدان طابعها الإعجازي إلى أن يقتل تطاحنهما وخيبات أملهما وهمهما المشترك ما تبقى من الإثارة الأولى.

قول إيريك فروم ينقصه القول بأن هذه الإثارة الأولى إنما هي متعة توحيد الرب في القلب، ربما هو لم يذق تلك المتعة والشوق ولكنه ذكر كما ذكرنا ولكن من جانب آخر أن النمو العبثي للحبيب بالقلب سرعان ما سينهار.

ولذلك كتبت باب البستان، فإن الحب إذا تمكن من قلبك خالياً عاقبه واشتد به وجعله أسيراً وإنك قد تجد بعضاً من الناس يجعل شغفه وحبه للهواية مثلاً أو مهنةٍ ما وهذا لا بأس به ولكنه أخف الضرر، لأنهما في النهاية سيكونا صراعاً فيكون حتفان حب صغيرين مهما

بلغ شغفك وحبك لهم، فكل منهما سيتصارع من أجل كسب مكان الآخر في البستان فالحبيبة والمهنة أو الهواية في النهاية حبان صغيران بالمقارنة بالحب الأبدي الفطري الذي ذكرناه، وهذا الصراع بين الحبيبين غالباً ستون الغلبة فيه للحب الأول أيضاً ألا وهي الهواية أو المهنة فتجد نفسك عبداً لها لا إلى تلك ولا إلى ذاك، فقد تفتت قلبك بين حبيبين صغيرين وقد تظن حينها أن قلبك قد امتلأ بهم ولكنك واهم، فإن قلبك في الحقيقة خالي، فقد زرعت فيه حبين، ولكن على أرضٍ بور، حيث لا اطمئنان فيه ولا شعور.

وكثير من الناس يضرب لي أمثلة لفنان كذا ومطرب كذا أو مشهور كذا ويرى أنه يعيش الحياة المثالية بين زوجة تحبه وعمل ناجح فيه ومخلص له، وقلت هذا لا بأس به فنحن لا نعلم في أي درجة في السموات قد تعلق قلبه، ولكني سألت هل يستطيع أن يتخلى عن الظهور والضوء والطلب؟! سواء كان رجلاً أو امرأة، فإن استطاع فعل ذلك، فإن قلبه مليء من قبل الهواية أو الزوجة أو أي غرس داخل قلبه، ولكن إن لم يستطع كالأغلبية فهو تائه على ما أظن يملأ قلبه بما يشغله عن التفكير في ربه ويملأ ذهنه عن النظر إلى ما في قلبه، وكثير منهم إلا ما هدى ربنا نراه في النهاية يميل إلى الوحدة وإنما لابد له ذلك، وإلا فإنه سوف يترك الجميع أو يجن!!.

وقد رأيناه في كثير من الفنانين والسياسيين وغيرهم الذين لاقوا حتفهم بنهايات مأساوية إما بانتحار أو بمرض غريب أو إدمان ما على الرغم مما يملكه من حب أو شهرة أو مال أو حتى نفوذ!!

وقد أفردت الحب في آخر جزء من هذا الكتاب لأنه يتحكم فيه كل الأبواب التي تسبقه.

"فالحب بدأه بالقلب وفهمه بالعلم وتوصيفه بالكلمة".

فالحب نصفه إرادي والنصف الآخر لا إرادي مثل كل شيء كونى للإنسان مثله مثل العباده و التفكير والتدبر والتعلم وغيره، فإنه إرادياً في أنك توجهه وتستطيع أن تتحكم فيه ولا إرادياً في إنك سوف تقع فيه ولابد لك منه!!.

فالكل واقع في حب الله والتعلق به فطرياً كما بيَّنا، فمنهم من فهم واختار، ومنهم من ضل واحتار!!

** جلس الحسن البصري يوعظ يوماً فقال: والله لقد مررت ذات يوم بامرأة من المتعبدات، وهي تقول إلهي، قد سئمت الحياة شوقاً ورجاء فيك. فقلت لها: يا هذه، أتراك على يقين من عملك؟ فقالت: حبي فيه وحرصي على لقائه بسطني. أتراه يعذبني وأنا أحب؟.

فبينما أنا كذلك أخاطبها، إذ مرّ بي صبي صغير من بعض أهلي، فأخذته في ذراعي، وضممته إلى صدري، ثم قبلته. فقالت لي: أتحب هذا الصبي؟ قلت: نعم. قال: فبكت، وقالت: لو يُعلم الله الخلائق ما يستقبلون غداً، ما قرّ أعينهم، ولا التذت قلوبهم بشيء من الدنيا أبداً.

قال: فبينما أنا كذلك، إذ أقبل لها ولد يقال له: ضيغم، فقالت: يا ضيغم، أتراني أراك غداً يوم القيامة في المحشر أو يحال بيني وبينك؟ قال: فصاح الصبي صيحة ظننت أنه قد انشق قلبه، ثم خرّ مغشياً عليه، فجعلت تبكي عليه، وبكيت لبكائها.

فلما أفاق من غشيته، قالت له: يا ضيغم، قال لها لبيك يا أماه. قالت: أتحب الموت؟ قال: نعم. قالت: ولم يا بني؟ قال لها: لأصبر إلى من هو خير منك، وهو أرحم الراحمين، إلى من غذاني في ظلمة أحشائك، وأخرجني من أضيق المسالك، ولو شاء لأماتني عند الخروج من ضيق ذلك المسلك حتى تموتي أنت من شدة أوجاعك، لكنه برحمته ولطفه، سهّل ذلك عليّ وعليك. أما سمعتيه عز وجل يقول: (**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ**) سورة الحجر 49-50.

وجعل يبكي وينادي: أواه أواه، إن لم أنج غداً من عذاب الله، ولم يزل يبكي حتى غشي عليه، وسقط على الأرض، فدنت منه أمه، فلمسته بيدها، فإذا هو ميت رحمه الله.

فجعلت تبكي وتقول: يا ضغيماه، يا قتيلاً في حب مولاه، ولم تزل كذلك حتى صاحت صيحة عظيمة، ووقعت في الأرض، قال: فحركتها، فإذا هي قد ماتت، رحمة الله عليه وعليها، ورحمنا الله بهما.

تزيد بلى في كل يوم وليلةٍ ** وتسأل لما تبلى وأنت حبيب
مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ** لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

** قال ذا النون المصري رضي الله عنه: رأيت امرأة متعبدة، فلما دنوت منها، ودنت مني، سلمت عليّ، فرددت عليها السلام، فقال لي: من أين أقبلت؟ فقلت من عند حكيم لا يوجد مثله، فصاحت صيحة شديدة، ثم قالت: ويحك كيف وجدت معه وحشة الغربة

حتى فارقته، وهو أنيس الغرباء، ومعين الضعفاء، ومولى الموالي؟! أم كيف سمحت نفسك بمفارقته؟

فأبكاني كلامها. فقالت لي: مم بكاؤك؟ فقلت لها: وقع الدواء على الجرح، فأسرع في نجاحه، فقالت لو كنت صادقاً، فلم بكيت؟ فقلت لها: فالصادق لا يبكي؟ قالت: لا. قلت: ولم؟ قالت: لأن البكاء راحة للقلب. وهو نقص عند ذوي العقول.

قتل لها: علميني شيئاً ينفعني الله به.

قالت: اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه، فإن له يوماً يتجلى فيه إلى أوليائه، لأنه سبحانه سقاهم في الدنيا من محبته كأساً لا يظمؤون بعدها أبداً.

ثم أقبت تبكي وتقول: إلهي وسيدي، إلى كم تدعني في دار لا أجد لي فيها أنيساً يساعدني على بلائي، ثم جعلت تقول:

إذا كان داء العبد حب مليكه * فمن دونه يرجى طبيباً مداوياً**

يا أخي، إذا طردك مولاك عن بابه؟ فإلى باب من ترجع، وإلى أي طريق تذهب، وإلى أي جهة تقصد؟ لازم باب مولاك، فلعل وعسى يثمر عودك.

فهؤلاء اختاروا حب الله العلي الوهاب، فأغناهم الله بحبه عن كل الأسباب!!

ولكن لما كانت الحاجة لحب النساء ولما كان وجودهم وعلى تلك الهيئة ووجود الحب والعشق بينها وبين الرجل؟!

قلت: إن هذا كان للتخفيف على العباد، فإن حب الله كبير وطاعته عظيمة ولكن الحب العفيف والعشق اللطيف بين الرجل والمرأة يورث نوراً وبشاشة في وجههما، ويبعث السعادة فى قلوب المحبين، وهذا غير الداعي أصلاً لوجودهم للخلافة وغير ذلك من المساعدة والمدد للرجال في حياتهم، فلا شك ولا عجب أن أول من آمن مع آدم زوجته حواء وأول من آمن مع إبراهيم خليل الرحمن على الأرض كانت زوجته سارة.

وأول مسلم في التاريخ كانت امرأة وهي السيدة خديجة رضي الله عنها سيدة النساء والسيدة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها فآتاها الله بعيسى روح الله وكلمته "مبرئاً من كل داء" وأم موسى التي حملته على خوف من فرعون وزوجة فرعون التي ربته ودعت له وغيرهم الكثير، فوجود المرأة في الحياة أمر بديهي فهي المعين والوتد المتين ووجودها رحمة للمحبين.

ولذلك وُجد الحب والعشق بينهم للتقرب من بعضهم البعض غير أنه يزيد من جملة الأخلاق الحميدة ويبعث على الفرح والسرور ويصفي العقل ويذهب الهم.

فقال أحدهم: العشق هو أنيس من لا أنيس له وجليس من لا جليس له.

وقالوا: العشق دواء أفئدة الكرام، ولا يصلح إلا لذي مروءة ظاهرة وخليقة ظاهرة ولذي لسان فاضل وإحسان كامل.

وآخر يقول: العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان، إن تركته ضدك، وإن أكثرت منه قتلك.

فلا خير في الدنيا بغير صبابة ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وأخر يقول :

ولا خير فى الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولا وافـــى إليك حبيب

ورؤى شاباً في الطواف نحيف الجسم يلوذ ويتعوذ ويقول:

وددت بأن الحب يجـمع كله فيقذف في قلبي وينغلق الصدر

فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى ومن فرحي بالحب أو ينقض العمرُ

هذا من المغالاة قليلاً في هذا الموضع من الأرض، فهناك أسمى من الذي كان يدعو به، ولكن لا شك في أن الحب يحمل على جملة مكارم الطبائع والتزود به يزيد من جمال الصنائع.

قال أحدهم:

وما أحببتها فُحشاً ولكن رأيت الحب أخلاق الكرام

فترى للمحبين قوة لا تستطيع قياسها و طاقة لا تقدر على إيقافها ولذلك تملك الحب منهما واشتدت الأواصل بينهما، فأصابهم شريعة التملك والتي هي من روح الله بالتوارث فجاءتهم خاصية من خواص البشر لم يدروا لها بالاً وهى من تسمى نفسها **" بالغيرة "**.

فالحب يزيد التملك والتملك يزيد الغيرة، وكلما علمت أن ما من حب فوق حب الله لعبده فإن الله هو الأشد غيرة ولذلك حكم على عباده بالعبودية له وحده لا شريك له، وكلما ازداد حبه لعبد من عباده اشتدت غيرته سبحانه وتعالى عليه من أن يشاركه أحداً آخر بقلبه وقد ضربنا قصص لحب الله لعباد وحبهم له والتي هي من أعجب العجب وليس بعجب!

قال ﷺ: **"إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله: أن يأتي العبد ما حرَّم عليه"** وتلك هي الغيرة العامة من الله على جميع عباده ولذلك حرم الفواحش والمعاصي على عباده غيرةً منه سبحانه وتعالى عليهم فهو ربهم وخالقهم.

فالغيرة هي شدة الحرص على المحبوب من أن يفوتك منه شيء أو أن يعطي لأحداً غيرك شيء من أي مظهر من مظاهر الحب التي ذكرناها، فتجد نفسك مصاباً للأذى من ذكره غيرك ومشاركة غيرك له فيه.

والغيرة لا تسمى غيرة إلا لتملك وحب، فإذا انقطعت إحدى الصفتين فهي تسمى أنانية وليست غيرة، فاحذر من أن ترهق نفسك في غير موضع تحسبه في حب وهو في الهباء ماضٍ.

فالغيرة تحتاج **حب** وتملك ولذلك قلنا إن الله هو الأشد غيرة، وغيرة الرسول ﷺ فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم غير أنه يحمل رسالة الإسلام على عاتقه مع جملة الرحمة والخُلق العظيم اللذان فيه فهو الأشد غيرة بعد الله سبحانه وتعالى.

وكلما زادت الغيرة من أحد كانت الغيرة له أكبر بالطبع، فمثله مثل الحب والتملك، فإن الله هو الأشد حباً فكانت محبة العباد الصالحين له هي الأكبر وداً، وكذلك التملك فهو سبحانه مالك الملك ولذلك أوجب على مملوكاته العبودية له وحده ولا شريك له، وكذلك المثل فى الغيرة فإنه تعالى الأشد غيرة فكان المؤمن هو الأشد غيرة أن تنتهك حرمات الله سبحانه وتعالى وكانت بالتبعية الغيرة لهم هي الأكبر والأشد بين الخلق.

فنجد أقرب الناس منزلة من الله هم الأنبياء، فبدءاً من آدم عليه السلام الذي غاروا منه الملائكة وإبليس من قرب منزلته من الله ولكنها أنانية وليست غيرة لخلوها من التملك ولكنهم أحبوه بعد ذلك وغاروا له عدا إبليس الذي أصبح عدوه.

وغيرة السيدة سارة على إبراهيم عليه السلام من السيدة هاجر، فإن إبراهيم من الأولين أبو الأنبياء فكانت الغيرة عليه أشد، فلم تستطع ساره أن تساكن هاجر مع إبراهيم عليه السلام فأمره ربه أن ينقلها إلى مكة ففعل وحزن عليها حزناً شديداً فكان يزورها بانتظام من شدة حبه لها دون أن تعلم سارة ولا حتى هاجر.

وتلك القصة مليئة بأنواع الغيرات فمنها غيرة المحب على محبوبه كغيرة سارة على إبراهيم ومنها غيرة المحب لمحبوبه كغيرة إبراهيم لسارة وإلا لما نقل السيدة هاجر، ومنها غيرة البعض على محبوبه من نفسه وهي قريبة لغيرة هاجر على إبراهيم ولذلك وافقته على الرحيل ولكنها سألته: آالله أمرك بهذا؟! إذاً لم يضيعنا.

فكانت ما فعلته من أحداث هي ورضيعها سُنة للمؤمنين حتى قيام الساعة في مناسك الحج والعمرة.

وهي شبيهة بغيرة أحدهم على محبوبه من نفسه حتى يفضل الهجر لأنه موافق لمحبوبه كقول أحدهم:

سررت بهجرك لما علمت أن لقبك فيه ســـــروراً

ولولا سرورك ما سرني ولا كنت يوماً عليه صبوراً

فاختار سرور محبوبه على سروره وهو ما فعله إبراهيم مع ساره من نقل السيدة هاجر، وغيرة إبراهيم على هاجر فكان لا يطيق الانتظار ليراها.

وهو شبيه من قول الشاعر:

أشـقفت أن يرد الزمان بغدره أو ابتلى بعد الوفاء بهجـره

قمر أنا استـخرجته من دجــنه بمودتى وجنيته من خـِدره

فقتلــته و له عـلى كـــرامـةً مليء الحشا وله الفؤاد بأسره

فاحرص على أن تجعل الغيرة في محلها، فالغيرة توجب وجود التملك والحب أولاً، وبعد ذلك لا عيب فيها فهي محمودة ودليل على الحب، ولست أعلم كيف يقول الجهال من أنها عدم ثقة بالنفس أو عدم ثقة بالمحبوب، إن اكتمال الثقة يكون بالتمام والكمال وليس لأحد من البشر الكمال فكلنا نقص وهي صفة بشرية على الأرض حتى ندخل الجنة، فتبدل خواصنا ولذلك ألزمنا الله بالعبادة اليومية والأسبوعية والشهرية والموسمية لتعويض ذلك النقص، بينما في الجنة لا يوجد عبادة بل هي حب و لذة وسرور.

فلا تغار قبل أن تتمكن من محبوبك فلا تغار من بُعد على محبوبك، فإنك إذاً من السفهاء، ولكن بعد أن تمتلك وتحَب أو تُحِب وتمتلك أيهم أقرب، فإنه من الحق لك أن تغار وسيأتيك وحده أصلاً إن كنت ذو مروءة وطبع أصيل، فتغار على محبوبك وتغار لمحبوبك وبين هذا وذاك وجب عليك أن تضع غيرتك وإلا كانت ناقصة أو مفرطة.

فالغيرة على المحبوب من أن تغار أن يشاركه فيه غيرك أو يكون له هو اهتمامات غيرك أو أكبر منك، وغيرتك لمحبوبك هو أن تكره ما يكره وتحب ما يحبه، فنجد البعض من غيرته يطيح بمحبوبه ولا يدري له بالاً حياً كان أو ميتاً، فهذا إفراط في الغيرة وضرب من ضروب الأنانية وقلة الثقة بالنفس وهناك من يغار لمحبوبه فقط فيلبي له كل طلباته بغير مشورة ولا إقناع فينفذ ما يريده بغير فكر ولا إمتاع وهذه غيرة له ولكن ناقصة يشوبها نقص الشخصية والرجولة الصفية.

لذلك كن بين الأمرين لا إلى ذلك ولا إلى تلك، واعلم أنه كلما أحببت محبوبك كانت غيرتك أجمل وألطف وأرحم سواء منك أو منها، فالغيرة بينكما أولى بها أن تقوى حبكما لا أن تضعفه و تقومه لا أن تعوجه ولتتحمل جمال مسئولية الحب وإلا لما كنت أحببت، فمداخلة كثيرة وطرق وفيرة، فإعلم مداخله لتعرف أين موضعك منه!!

مداخل الحب والهوى

مداخل الحب والهوى كثيرة جداً في الحياة الدنيا، فكل خطوة تخطوها تكون مدخلاً للحب أو للتعلق بشيء أو بشخص أو عودة للحب الأولي وهو حب الله، فكثير نسمع عن الذين عادوا لربهم من كلمة سمعها أو موقف رآه تبدل حاله فيها من بعد ما اصطفاه.

وهناك من وقع في الغرام فجأةً دون أن يدري سواء من نظرة أو من سمع أيضاً أو حتى من خطرة خطرت بباله.

مداخل الحب والهوى تتشابه في كثير من الأحيان مع دواعي ومقتضيات الحب والمحبة إلا أنهما يختلفان في أن دواعي ومقتضيات المحبة كلها حميدة تهدف وتئول في النهاية إلى الله الأول ولكن مداخل الحب كثير منها ضار يوقع المحب في العديد من الأخطار، والبعض منها نافع قد يجلب لصاحبه الحب الماتع.

وسوف نذكر بعضاً من تلك المداخل لتستفيد منها بالصالح وتتجنب منها الطالح ولتعلم ما هي مدخلات الحب لتأتي به إن كنت تريده وتبحث عن الزواج مثلاً أو لأي هدف آخر..

** أول مداخل الحب والهوى هو فراغ القلب، فالقلب كما ذكرنا وعاء الحب والكثير من مساعدات الإنسان في التأويل والوصول إلى الله بالدليل.

فراغ القلب من العلم أو التفكر أو حتى الحب يجعله غير مستقر وغير متزن فيكون متقلب المزاج والأهواء لا نموٌ فيه ولا إنماء، وكل أرائه للرياء، وبذلك يصبح صيداً سهلاً للأسر فلن يكون حبه عفيف ولا وصاله شريف!.

فيسير القلب يبحث عن هوىً ليملئه ليستقر به سواء كان هذا الهوى في مرضاة الله أم غيره، فيكون صيداً سهلاً للأهواء والأماني الكاذبة يدعو بها خطواته للظفر بأي غَرفٍ يملأ به وعاء قلبه وهذا الكلام لا ينطبق على الرجال فقط بل هو في الأصل للنساء، فالنساء في الغالب لديهم إشعارات الإحساس عالية وقابلية شديدة للحب ولكنهم في الوقت نفسه فراغ القلوب يلزمون البيت في سكونٍ وظنون، فنادراً ما تجد منهم من أوحدت قلبها لله أو حبها له ولذلك تقع فريسة في العذاب الأبدي من الحب والتعلق ولست أقول ذلك لتخرج من بيتها ولكن لتتعلم وتتفكر ولا تجعل قلبها فريسة سهلة لفراغه من الهوى، وحسبما أرى فإن هذا هو السبب في أنهم أكثر أهل النار لشرك قلوبهم دائماً مع غير الله، فاحذري قبل الندم ولا تنتظري العذاب من العدم.

الرجال أيضاً لهم في مثل ذلك نصيب ولكنهم أقل قليلاً لأنهم في فكر دائم سواء للعمل أو لغيره من الأمور الضارة أو النافعة ولكنهم يملأون القلب بما يضر أو ينفع وليس الغالبية همه الأول أن يملئه بالحب، ولكنه حين يتعلق فتعلقه أيضاً سيكون شديداً إن لم يكن قلبه مليئ بما ذكرنا أنه أحوط وأنفع بما يدفع عنه السقوط في المستنقع!!

"أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلباً خالياً فتمكنا"

ومثله قلت :

" وإملئ قلبك من قبل التمكين

فالحب عذابك وبلائك يقين "

**** من مداخل الحب والهوى أيضاً ومن أقواها: النظرة ..**

النظرة عامة من أقوى وسائل الإدراك والوعي لدى الإنسان، وكذلك مدخل الشهوات والأحزان، فهو من أسرع مداخل الحب والهوى، فالنظر أعمق من الرؤية، وكما ذكرنا حث الله لعباده أن ينظروا في ملكوت السموات والأرض فذلك النظر، فهو أداة كالقلب ومن الحواس تدرك بها الجنايا والتأويل والتأصيل وكل على حسب مبتغاه ومسعاه، فإنه إن اجتمع فكرك وقلبك على مسار وأمعنت النظر فيه فبالتأكيد سيأتيك تأويله أو تفسيره أو على الأقل ستحصل على مدخل من مداخل أسئلتك وهذا بتأثير النظر من العين والتي رسمها وخلقها وحورها الله بهذا الشكل الذي سنأوِّله فيما بعد إن شاء الله!!

وإنك مثلاً إن أطلت النظر إلى شخص ما لفترة دون أن يشعر فبالتأكيد سينظر إليك إن كان متيقظاً وحتى وإن كان نائماً فإنه سيتململ من تأثير نظرتك إليه.

ومنها ما فعله إبراهيم عليه السلام حينما نظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم أي مريض فرأى ما لم يره غيره وهذا بفضل التأويل، ولسنا في تفصيل كيفية النظر الآن ولكن النظر من

العين له تأويل كبير سنتحدث عنه لاحقاً وكما أمرنا ربنا تبارك وتعالى في سورة الغاشية **(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)**.

فالنظر أعمق من الرؤية، فتأثيره أشد، فكثير من الناس قد يحب غيره دون أن يراه أصلاً ولذلك نهى النبي ﷺ المرأة أن تنعت وتصف امرأة أخرى لزوجها حتى كأنه ينظر إليها!.

فكأنما ينظر إليها أبعد من أن يراها، فإن النظر يولد الفكر ويحرك القلب كما ذكرنا وهذا إما لصالح أو لباطل وفي تلك الحالات نتحدث عنه في مداخل الحب والهوى فهو بابه الرئيسي ولذلك كانت النظرة سهم مسموم من سهام إبليس والسهم مثل النظر يصيب قليلاً ثم يزداد تأثيره وكذلك تأثيره النظرة فإن الناظر قد لا يدري بالاً أولاً ثم تجده قد وقع في المحظور دون أن يشعر أو يدريّ.

** ذكر في بعض الأثر أنه كان في بني إسرائيل رجل متعبد شديد الاجتهاد والعبادة، فرأى يوما امرأة وغرَّه إيمانه فنظر إليها فوقعت في نفسه، فقام مسرعاً إليها حتى لحقها، فنادى وقال: إنتظرى يا هذه، فوقفت وعرفته وقالت: ما حاجتك؟! قال: ألك زوج أنت؟؟، قالت: نعم فما تريد؟ قال: لو كان غير هذا لكان لنا رأي آخر، قالت: علىَّ ذلك فما هو؟! قال: عرض بقلبي من أمرك عارض، قالت: وما يمنعك من إنفاذه؟ّ قال: وتتابعيني على ما أريد؟ قالت: نعم.

فخلوا في موضع لا يراهم أحد، فلما رأته مجداً في ما قاله واقتربا، قالت: رويدك يا مسكين لا تسقط جاهك عنده " أى عند الله "!!، فانتبه لما قالت وذهب عنه ما كان يريد وقال: لا حرمك الله ثواب فعلك وابتعد عنها، ثم ذهب بنفسه بعيداً وقال لنفسه : اختاري لنفسك إما عمى العينين أو السياحة في الأدغال والصحاري مع الوحوش، فاختارت نفسه السياحة مع الوحوش والحيوانات فلم يروه بعدها أبداً وظل كذلك حتى مات!!

فكل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة بلغت قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر

ولذلك قال ﷺ " لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الأخرى".

فالنظرة تولد الطمع والبحث عن المزيد، سواءً كنت للخير أم للشر مريد، والطمع يزيد الوصال وإن غلب على الإنسان فإنه قد يوصله للتيه أو الجنون فيعذب صاحبه حتى يصل إلى مراده كان ذلك حراماً أم حلالاً.

نظر العيون إلى العيون هو الذي جعل الهلاك إلى الفؤاد قتيلاً

مازالت اللحظات تغزو قلبه حتى تشحط بينهن فتيلاً

**** ومن المداخل الأخرى للهوى: الحركة والخطرة**

كما علمنا أن الحب هو أصل كل شيء وكل حركة سواء لإنسان أو للأكوان، فكل الحركات أصلها من الحب ولو حتى حب الحركة نفسها فمن يحب العلم يتحرك له ومن

يحب العمل لا يشغله ومن يحب الرياضة لا يتركها ولا يملها ومن يحب الله "والقرآن" تجده في كل وادٍ هائماً للرحمن وكذلك فإن الحركة وحدها لقلب فارغ قد تولد حباً وقد يكون ذلك الحب من جنس تلك الحركة أو لا ولكنه في الغالب يولده في قلبك، فالحركة تزيد من اشتغال الحواس وبما أن القلب فارغاً فإن الحواس تجدها تبحث عن من يشغلها فمنهم من يجد حبه ومنهم من يعود إلى توبةً مثلاً ومنهم من يجد نصفه الآخر ومنهم من يصتدم بشغفٍ ما وهكذا، والحركة أيضاً تولد الخطرات والخطرات قد تولد الحركات، فالحركة تشغل الحواس التي قد تولد فكرة أو خطرة في قلبك وهي بداية الشرر فتجد القلب ينتبه ويُشعر الجسم كله بأنه خالي ويحتاج إلى من يملئه فيتحرك الجسم ويسبح في الأماكن ليس بحثاً عن الحب ولكنه لا يدري لما يتحرك كثيراً وينتقل من هنا لهناك وتلك هي سببها ولا يدري وقد يصادف ما يبحث عنه ويروي به ظمأه.

وكذلك فإن الخطرة تأتي على الإنسان الفارغ القلب دوماً ولكنها تكون متقلبة متحيرة ومترددة فتحثه على الحركة لشغل تفكيره عنها، فينتقل أيضاً بحثاً عن ما لا يعرف إجابته ولا يعرف سكونه حتى يقابل ما يظن أنه حلاً لأسئلته.

قال بعض الصوفية: نفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل!!

وهذا صحيح من جهة أنه حتى إن لم تشغلك بالباطل في بادئ الأمر، فإنه حين تقع في الهوى أو في ما لا تعرفه لن يعرف قلبك التمييز الجيد لأنه لم يتعود عن ذلك قبلاً وإن نجوت فإنك إذاً من الفائزين.

**** مدخل آخر من مداخل الهوى وهو: تأهيل النفس للزواج :**

وهي جولان الفكرة بخاطرك وقلبك، ولم أضع ذلك المدخل مع الخطرات والأفكار لأنهم قد يأتوا بأي هوى أو تعلق بينما ذلك المدخل فإنه يأتي بهوى المرأة فقط.

إن من وسائل سرعة الزواج عامةً، أن تؤهل نفسك لكل ما يحيط بالزواج أولاً، كتحمل المسئولية وطريقة الإنفاق وتعلم القيادة و الإدارة وحسن التصرف، أى تدبير الأمور واتخاذ القرار والرعاية واترك الشيء الأخير في البحث عن الزوجة فإنك إن أهلت نفسك لما سبق أولاً وجعلت تركيزك عليه أكثر، جاءك ما يناسبه وما يشاكله ولذلك هو أحد مداخل الهوى و الحب، وان ذلك أفضل قطعاً من البحث عن زوجة أولاً، فإنك إن وجدتها لا تدري كانت مناسبة لحالك أم لا فتضطر بعدها لتغيير بعضاً من ما يحيط بشخصيتك لتناسب أهواء الزواج وأهواله أو لإفتتانك بالشخص مع ضعف حال قلبك فتضطر للتغيير وتكون قد أضعت الكثير من الوقت، وإن كنت تقرأ هذا الكلام وأنت في سن متأخرة فكن على توازي من الاثنين من أن تؤهل نفسك أولاً من متطلبات الزواج وأقصد منها الشخصية والنفسية، والأخرى في البحث عن الزوجة وأدعوك أن تهتم أكثر بالمطلب الأول فهو في حد ذاته باحث حقيقي عن زوجة أو رزق دون أن تدري وهو من التأويل أيضاً!!!

وعلى قدر تأهيل نفسك على قدر ما سيأتيك إن شاء الله من زوجة تحفظك وتناسب شاكلتك وهي خير المتاع.

قال ﷺ: **"الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"**

وكان بن مسعود رضي الله عنه يقرأ القرآن فإذا فرغ قال: أين العزاب؟ فيقول: ادنوا مني، ثم قولوا: اللهم ارزقني امرأةً إذا نظرت إليها سرتني، إذا أمرتها أطاعتني، وإذا غبت عنها حفظت غيبتي في نفسها ومالي.

**** مدخل آخر هام من مداخل الهوى: مقابلة المرء لمشابهه ومشاكله**

من أهم المداخل لأنه باعث حقيقي على الحب والهوى حتى وإن كنت لا تريده!!! وهو مدخل جميل وخطر في الوقت نفسه، فإنه إذا جاء للعازب أو العازبة لم يحتاجا لوقت طويل لإدراك ما وقعا فيه من الأسر وقد يتطلب الأمر لنظرة فقط!

وإن جاء للمتزوج فإنه سيكون في ورطة لطمع الوصال إلى ذلك الشبيه، فعليه حينها إما عزم النية على الوصال الحلال أو غض الطرف لكي لا يزيد من تعلقه وعذابه.

فإن القلب مهما عشق وحب وقابل فى حياته، فإنه لابد له ويأتيه يوم يقف أمام أعلى طموحه أو أعلى مقام له في الحب وقد يدرك ذلك فيلحظه أولاً ويدرك سريعاً أن هذا مايبحث عنه و يتمناه، فحينئذٍ يريده ولا يستطيع مقاومته حتى وإن كان غير مناسبٍ له، وهيهات إن كان المحب من أصحاب القلوب الفارغة "ولكن نقية" والمحبوب من الأوليين أو العارفين ملئَ القلوب " القلب البستانى " فعندها سوف نرى شغفاً غريباً وتعلقاً مزمناً وإرادة فاشية تعصف بالمُحب إلى الهاوية حتى ينظر المحبوب إلى المحب نظرة

رحمة يأويه فيها إلى جواره فتكون جنتهما على الأرض وإلا لكان الله في عون المحب لسوء حظه إن تعلق بالأوليين وذلك أعلى درجات الجاذبية والشغف وهو شبيه لقصة يوسف عليه السلام!

فدائماً ما تطمع النفس إلى ما تشابهها من الأمور والصفات والحركات واللمسات وحتى الهفوات، فتجد اقتراب اثنين كان قائماً على المنكر أصلاً أو حتى الجريمة و الفساد بغض النظر عن اكتمال هذا الحب من عدمه ولكنه سيولد هوىً قطعاً.

وكما قال ﷺ: **"إن الأرواح جنود مجندة فا تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"**.

ولذلك قال بعض الأطباء: العشق هو امتزاج الروح بالروح لما بينهما من التناسب والتشاكل، فإذا امتزج الماء بالماء صعب تخليصه من بعضه بعضاً، فتجد نفسك تحب ما يحب وتكره ما يكره وتفرح لما يفرحه وتألم لما يؤلمه.

قال الشافعي:

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه

الآن وقد علمت الهوى والحب في القلب وبعضاً من تأويله وجانب من مداخله وتأثيره، بت تستطيع الحكم على وضع قلبك أولاً ومن ثم قدر حبك وتعلقك فإنك تستطيع القياس بعوامل الحب التي ذكرناها من مسئولية ورعاية واحترام ومعرفة فترى

قدر مسئوليتك تجاهه ومسئوليته تجاهك وكذلك الرعاية ومقدار احترام الاختلاف بينكم وتقبل كل منكما لإختلافات الأخر وهذا غير ضبط وتعديل المشوَّه في الطرف الآخر وهذا هام، لكى لا تظن أو يظن أنه الحق ولذلك قلت هييء نفسك للحب أو الزواج قبل أن تحب أو تتزوج لكي لا تقع في مثل ذلك من التنقيح والتعديل الكثير والذى سوف يحتاج لكثير من الوقت لصعوبة التغيير فى حد ذاته، وكذلك الباب الأخير وهو المعرفة، فعلى قدر معرفته بك وفضوله في المعرفة على قدر هذا الحب المتولد وتكون هذه المعرفة بالخبرة كما ذكرنا فلا يحتاج لمعرفة كل أخبارك ليعلم كل أسرارك وهذا المطلوب، وإن شئت فانظر للعارفين بالله مثلاً لتعلم أين وصلوا من الحب مع بارئهم.

ولتعلم أمرين هامين فى الحب : أولهما:

- أن تشغل نفسك "بعيداً" عن الاحتياج والفضول فإنه تنخفض نسبة الخطأ في اختيارك إذا انخفضت نسبة الفضول والاحتياج، فما بعث آدم على الخطيئة غير الوسوسة إلا الفضول، الفضول في المزيد أو الفضول في التجربة، فقلل من احتياجاتك دائماً تأتيك أصح الاختيارات في الحال!!
- الثاني: أن طبيعة الحب قائمة على العطاء والتعلق، فالحب كان من الله الرحمن أولاً ومن ثم كان عطائه "للإنسان" فكان التعلق من عباده به سبحانه وتعالى، وكذلك بين الناس فإن المعطي والمحب يكون أقوى وليس أضعف فيكون التعلق من الطرف الآخر، في الغالب وهو الأصح يكون المحب والمعطي الرجل وليس كما يظن البعض أنها المرأة، فهو يعطي الرعاية والمسئولية والوداد ... الخ فيكون

التعلق به من المرأة ويكون على أشده والكفتان متساويتان لا عوج فيها ولا هذيان

.

فلا يحزنك أنك المبادر بالحب و العطـــــاء فأنت الطرف الأقوى و الأكبر سواء كنت رجل أو إمرأة، وحتما سيكون التعلق بك يوماً على أشده من أشد الناس حباً لك ومناسبة لك، ومثل ذلك ماتراه من حب الله للإنسان و على الرغم من ذلك تجد أكثرهم كافرين غير شاكرين!!

أنت الآن تستطيع الحكم على العلاقات وأسباب فشلها وعوامل نجاحها وظروفها من التأويل و المعرفة، وهو تأويل بسيط لا تعمق فيه ولا تشديد، وإليك بعضاً من قصص الهوى والحب لتنظر أيهما الخاطئ من الصحيح والعفيف من الصريح، وتنظر إلى ما آلت إليه القلوب وما فعل الحب بالنفوس؟!!

** ونبدئها بقصة عبد الله بن محمد حيث قال :: حدثني شيخ كان يخدمني وقد تجارينا أحاديث، قال بت ليلة في مكان ما لدعوة، فقتل رجل رجلاً، فخرجت والليل منتصف لا أدري أين أقصد وخفت العسس "الشرطة " فرأيت أتون حمَّام ولم يوقد بعد فقلت أختبيء فيه إلى أن يفتح الحمام فأدخله فجلست في ناحية من الأتون فما لبثت حتى سمعت وقع حافر، فإذا رجل معه جارية فأدخلها إلى الأتون، فذبحها وتركها ومضى فرأيت بريق خلخالين في رجلها فانتزعتهما منها وصبرت ساعة ثم خرجت وما زلت أمشي في طريق لا

اعرفه متحيرا إلى أن اجتزت بحمام قد فتح فدخلته، وخبأت ما معي في ثيابي وخرجت فعرفت الطريق وعلمت أني بالقرب من دار صديق لي، فطلبتها ودققت بابه ففتح لي وسر بقدومي وأدخلني فدفعت إليه دراهمي ليخبأها والخلخالين فلما نظر إليهما تغير وجهه فقلت مالك؟ فقال من أين لك هذان الخلخالان، فأخبرته بخبري كله في ليلتي تلك فقال لي تعرف الرجل الذي قتل الجارية فقلت اما بوجهه فلا لأن الظلمة كانت حائلة بيننا ولكن إن سمعت كلامه عرفته فأعد طعاما ونظر في أمره ثم خرج وعاد بعد ساعة ومعه رجل من الجند فكلمه وغمزني عليه فقلت نعم هو الرجل ثم أكلنا وحضر الشراب فحمل عليه بالنبيذ حتى سكر ونام في موضعه فغلق باب الدرب وذبح الرجل! وقال لي إن المقتولة أختي وكان هذا قد أفسدها بالحب و التعلق وأنا منذ مدة أتخبر فلا أصدق إلا أني طردت أختي وأبعدتها عني فمضت إليه ولست أدري ما كان بينهما حتى قتلها وإنما عرفت الخلخالين فدخلت وسألت عن أمرهما فقالوا لي هي عند فلان فقلت قد رضيت عنها فوجهوا ردوها فمضوا يعرفون خبرها فلجلج الرجل فعلمت أنه قد قتلها كما ذكرت فقتلته فقم حتى ندفنه فخرجنا ليلا أنا والرجل حتى دفناه وعدت إلى المشرعة هاربا من البصرة حتى وصلت إلى بغداد وحلفت بعدهـا أن لا أحضر دعوة أبدا!!!

** وقصة أخرى عن جعفر بن معاذ قال أخبرني أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب يتعبد لازم للمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت أى الهيئة، فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك

عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها: فأطرق مليا وقال لها هذا موضع تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا.

فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ االله أن يتشرف العباد إلى مثل هذا مني، والله إن الذي حملني على أن لقيتك في هذا الأمر بنفسي لمعرفتي

أن القليل من هذا عند الناس كثير وأنتم معاشر العباد في مثال القوارير أدنى شيء يعيبه، وجملة ما أكلمك به أن جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في أمري وأمرك .

قال فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى إليها الكتاب ورجع إلى منزله

وكان الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلمي أيتها المرأة أن االله تبارك وتعالى إذا عصى حلم فإذا عاود العبد المعصية ستره، فإذا لبس لها ملابسها غضب االله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال

والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه، فإن كان ما ذكرت باطلا فإني أذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري، وإن كان ما ذكرت حقا فإني أدلك على

طبيب هو أولى بالجروح الممرضة والأوجاع المرمضة، ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فإني متشاغل عنك بقوله عز وجل ::

" وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ... مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ " غافر 18 – 19

فأين المهرب من هذه الآية .

ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لئلا يراها، فقالت يا فتى لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا أبداً إلا بين يدي االله عز وجل

وبكت بكاء كثيرا ثم قالت أسأل االله عز وجل الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها

فقال لها الفتى أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله عز وجل :

" وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ " الأنعام 60

قال فأطرقت وبكت بكاء أشد من بكائها الأول ثم أفاقت ثم لزمت بيتها وأخذت في العبادة، قال فكانت إذا جهد بها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينيها فيقال لها وهل يغني هذا

شيئا فتقول وهل لي دواء غيره، وكان إذا جن عليها الليل قامت إلى محرابها فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا رحمها الله!

فكان الفتى يذكرها كثيراً ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك! وأنت أيستها فيقول إني ذبحت طَمعي منها في أول مرة وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله عز وجل وإني لأستحي من

الله عز وجل أن أسترد ذخيرة أدخرتها عنده ..

ومن القصص المشهورة و المحببة لدى أيضاً أنه:

حُكي عن عبدالله بن معمر القيسي أنه قال: حججت سنة إلى بيت الله الحرام، فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما أنا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة، إذ سمعت أنينًا عاليًا وحنينًا باديًا، فأنصت إليه، فإذا هو يقول هذه الأبيات:

ياليلة طالت على دنف يشكو الغرام وقلة الصبر

أسلمت من يهوى لحر جوى متوقد كتوقد الجمر

فالبدر يشهد أنني كلف مغرى بحب شبيهة البدر

قال: ثم انقطع الصوت ولم أدر من أين جاءني فبقيت حائرًا وإذا به قد أعاد البكاء والحنين وانشأ يقول هذه الأبيات :

البدر يسري في السماء كأنه ملك ترحل والنجوم عساكر

يا ليل طلت على محب ما له إلا الصباح مساعد وموازر

فأجابني مت حتف أنفك واعلمن أن الهوى لهو الهوان الحاضر

فنهضت عند ابتدائه الأبيات أؤم الصوت فما انتهى لآخر الأبيات إلا وأنا عنده فرأيت غلامًا ما سال عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين فقلت : نعمت غلامًا!

فقال: وأنت فمن الرجل؟ قلت: عبدالله بن معمر القيسي.

قال: أفلك حاجة"؟ قلت له : كنت جالسًا في الروضة فما راعني في هذه الليلة إلا صوتك، فبنفسي أفديك ما الذي تجده؟ قال: اجلس فجلست فقال: أنا عتبة بن الخباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري غدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راكعًا وساجدًا ثم اعتزلت غير بعيد فإذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة

الملاحة فوقفت على وقالت: يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك؟، ثم تركتني وذهبت.

فلم أسمع لها خبرًا ولا وقفت لها على أثر ومن حينها وأنا حيران انتقل من مكان إلى مكان!

ثم صرخ وانكب على الأرض مغشيًا عليه ثم أفاق فأنشد يقول هذه الأبيات:

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة تراكم تروني بالقلوب على بعد

فؤادي وطرفي يأسفان عليكم وعندكم روحي وذكركم عندي

ولست ألذ العيش حتى أراكم ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

فقلت له: يا ابن أخي تب إلى ربك واستغفره من ذنبك فإن بين يديك هول المطلع، فقال: هيهات ما أنا بسال حتى يثوب القارظان، ولم أزل معه حتى طلع الفجر فقلت: قم بنا إلى مسجد الأحزاب فلعل الله يكشف كربتك، فقمنا إليه فجلسنا حتى صلينا الظهر وإذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن: يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك؟ قال: وما بالها قلن: أخذها أبوها وارتحل إلى السماوة "مكان بين الكوفة والشام" فسألتهن على الجارية فقلن: هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع رأسه وأنشأ يقول:

خليلي! ريا قد أجد بكورها وسار إلى أرض السماوة عيرها

خليلي! إني قد عييت من البكا فهل عند غيري عبرة أستعيرها

فقلت له: يا عتبة إني وردت بهال جزيل أريد به أهل الستر ووالله لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا. فقم بنا إلى مسجد الأنصار فقمنا حتى أشرفنا على مائهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت: أيها الملأ

ما تقولون في عتبة وأبيه؟ قالوا: من سادات العرب، قلت: فإنه رمى بداهية من الهوى فأريد منكم المساعدة إلى السماوة قالوا: سمعًا وطاعة، وركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بني سليم فأعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادرًا واستقبلنا وقال: حييتم يا كرام! قلنا: وأنت حييت، إنا لك أضياف فقال: نزلتم بأكرم منزل.

ثم نادى: يا معشر العبيد انزلوا القوم، فنزلت العبيد وفرشت الأنطاع والوسائد وذبحت النعم والغنم، فقلنا: لسنا بذائقين طعامك حتى تقضي حاجتنا. قال: وما حاجتكم؟ قلنا: نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الخباب بن المنذر العالي الفخر الطيب العنصر. فقال: يا أخي، إن التي تخطبونها أمرها إلى نفسها وأنا أدخل وأخبرها.

ثم نهض مغضبًا ودخل إلى ريا فقالت: يا أبتي! ما لي أرى الغضب بين عينيك؟ فقال: ورد على قوم من الأنصار يخطبونك مني، فقالت: سادات كرام استغفر لهم النبي صلى الله

عليه وسلم فلمن الخطبة فيهم؟ قال: لفتي يعرف بعتبة بن الخباب قالت: سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما ويدرك ما طلب، فقال: أقسمت لا أزوجك به أبدًا فقد نمى إلى بعض حديثك معه، قالت: ما كان ذلك! قال: ولكن أقسمت أني ما أزوجك به، قالت: أحسن إليهم فإن الأنصار لا يردون ردًا قبيحًا، فأحسن الرد. قال: بأي شئ، قالت : أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون ولا يجيبون، فقال: ما أحسن ما قلت؟

ثم خرج مبادرًا فقال: إن فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها، فمن القائم به؟ قال عبدالله فقلت: أنا! فقال: أريد لها ألف سوار من ذهب أحمر، وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر، ومائة ثوب من الأبراد والحبر وخمسة أكرشة من العنبر.

قال قلت: لك ذلك، فهل أجبت؟ قال: أجل

فأنفذ عبدالله نفرًا من الأنصار إلى المدينة المنورة فأتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم، واجتمع الناس لأكل الطعام، قال: فأقمنا على هذا الحال أربعين يومًا. ثم قال: خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف وسرنا حتى إذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة، إذ خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب أنها من بني سليم، فحمل عليها عتبة بن الخباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعًا وبه طعنة، ثم سقط إلى الأرض. وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه، فقلنا: واعتباه! فسمعنا الجارية : واعتبتـــاه! فألقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة:

تصبرت لا أني صبرت، وإنما أعلل نفسي أنها بك لاحقة

ولو أنصفت روحي لكانت إلى الردي أمامك من دون البرية سابقة

فما أحد بعدي وبعدك منصف خليلاً ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت شهقة قضت نحبها وماتت، واحتفرنا لهما قبرًا وحدًا ووارياهما في التراب؛ ورجعت إلى ديار قومي وأقمت سبع سنين، ثم عدت إلى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت: لأعودن إلى قبر عتبة، فأتيت إلى القبر فإذا شجرة كبيرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لأرباب المنزل: ما يقال لهذه الشجرة؟ فقالوا: شجرة العروسين فأقمت عند القبر يومًا وليلة وانصرفت وكان هذا آخر العهد به رحمه الله .

وقبل النهاية وقد علمت عن تأويل الحب الكثير، إذ جاءني من لا أراه وسألني.

- يا من زعمت فهمك للتأويل والتفصيل، إليك أسـئلتى؟!

- فقلت له : تفضل؟!

- فقال: هل للحب زمن؟! أي هل "له بداية ونهاية؟!

- فقلت: بالطبع .....!

- فقاطعني : قبل أن تجيب بالطبع نعم أو لا، تذكر قولك أن كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه

ولكن إليك السؤال الثاني!

هل في الجنة حب أم لا وما الدليل عليها وإن كان يوجد حب فهل يوجد غَيرة أم لا ولماذا؟!!!

- : .....!!!

❁ ❁ ❁

" وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً، الله العليم الحكيم من أحاط بكل شيء علماً "

والحمد لله رب العالمين...

وإلى اللقاء في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

م/عمـــار مبـارك

❁ ❁ ❁